

مجلة المجمع العلمي

مجلة فصلية انشئت سنة ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م - الجزء الأول - المجلد الثالث والخمسون

١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م



مجلة المجمع العلمي

الجزء الاول ـ المجلد الثالث والخمسون

بغـداد

١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م

(شروط النشر وضوابطه)

١. تنشر المجلّة البحوث العلمية ذات السمة الفكرية والشمولية وبما يسهم في تحقيق أهداف المجمع.

٢. لغة المجلّة هي اللغة العربية ويراعي الباحثون والكتاب في صياغتهم الوضوح وسلامة اللغة.

٣. يشترط في البحث أن لايكون قد نشر أو قدم للنشر في مجلّة أخرى.

٤. تعرض البحوث المقدّمة للنشر في المجلّة على محكمين من ذوي الإختصاص لبيان مدى أصالتها وجودتها وقيمة نتائجها وسلامة لغتها وصلاحيتها للنشر.

٥. هيئة تحرير المجلّة غير ملزمة برد البحوث الى أصحابها في حالة عدم قبولها للنشر.

٦. يرسل البحث الى المجلّة بالمواصفات الآتية:

أ. أن يكون مطبوعاً على الآلة الكاتبة أو مكتوباً باليد بخط واضح وجيد وعلى وجه واحد من الورقة.

ب. ترسل نسخة واحدة من البحث تحمل إسم الكاتب وعنوانه كاملاً باللغة العربية.

ت. يجب أن لا يزيد عدد الصفحات على (٣٠) ثلاثين صفحة وبما لايتجاوز (٧٥٠٠) سبعة آلاف وخمسمائة كلمة.

ث. أن يكون مستوفياً للمصادر والمراجع، موثقة توثيقاً تاماً حسب الأصول المعتمدة في التوثيق العلمي.

ج. يرفق بالبحث ما يلزمه من أشكال أو صور أو رسوم أو خرائط أو بيانات توضيحية أخرى، على أن يوضح على كل ورقة مكانها من البحث ويشار الى المصدر إذا كانت مقتبسة.

ح. يرفق بالبحث ملخص باللغتين العربية والإنكليزية بحدود نصف صفحة لكل ملخص.

خ. تكتب الكلمات الدالة باللغة الإنكليزية.

٧. يعطى صاحب البحث (عند نشره) ثلاث نسخ من المجلّة مع عشرة مستلات من بحثه.

البحوث لا تعبّر بالضرورة عن رأي المجمع العلمي

مجلة المجمع العلمي

مجلة فصلية أنشئت سنة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م

ـ توجه البحوث والمراسلات إلى : رئيس تحرير مجلة المجمع العلمي

المجمع العلمي ـ ص. ب. (٤٠٢٣) بغداد ـ جمهورية العراق

هاتف : (٤٢٢٤٢٠٢) فاكس : (٤٢٢٢٠٦٦/ ١ ـ ٩٦٤)

البريد الإلكتروني : iraqacademy @ yahoo.com

ـ الاشتراكات : داخل العراق (٤٠٠٠) دينار سنوياً .

خارج العراق (٥٠) دولار أمريكي سنوياً وتضاف أجرة البريد .

الفهرس

الموضوع	الصفحة

نحو جهد وطني للنهوض
بالبيئة العلمية العراقية

أ.د.داخل حسن جريو
رئيس المجمع العلمي

الملخص

تعرضت البيئة العلمية العراقية الممثلة بالجامعات ومراكز البحوث والمؤسسات العلمية الأخر في منظمة الطاقة الذرية وهيئة التصنيع العسكري ووزارات اخر في اعقاب الغزو الأمريكي للعراق في اذار عام ٢٠٠٣ الى دمار هائل لم تشهده البلاد في تاريخها المعاصر، اذ دمر الكثير من المباني والأجهزة العلمية والمعدات وسرق الكثير من الكتب العلمية والوثائق والدوريات والمخطوطات والآثار النفيسة التي تمثل ثروة قومية لا تقدر بثمن، فضلا عن التصفية الجسدية لكثير من علماء العراق ومبدعيه ومفكريه في ظروف غامضة لم يوضع لها حد حتى يومنا هذا، مما اضطر الكثير منهم الى الهجرة الى بلدان اخرى طلباً للأمن والامان.

تسلط هذه الدراسة الضوء على بعض جوانب البيئة العلمية الممثلة بقطاع التعليم قبل شن الحرب الأمريكية على العراق، واقتراح بعض سبل اعادة بناء هذا القطاع الحيوي والهام جداً، والذي انهكته ظروف الحصار الشامل سنين طوال ودمرته الحرب الأمريكية الأخيرة وما اعقبها من اعمال سلب ونهب، اذ انه بدون منظومة تعليم راقية لا يمكن تحقيق نهضة وازدهار حقيقي لاية أمة من الأمم ذلك أن التعليم يعد أهم ركائز النهضة في عصرنا الناهض، ولا شيء سواه يمكن ان يفضي الى تقدم حقيقي. لقد امتازت منظومة التربية والتعليم في بلادنا بالجودة والتميز لسنين طوال بفضل الجهد المخلص والمثابر لرجال التربية والتعليم، لذا ينبغي أن تتضافر الجهود الخيرة لإعادة بنائها والنهوض بها بكل الوسائل الممكنة كي تستعيد بلادنا رقيها العلمي والتربوي وقدرتها المتميزة بإعداد الملاكات العلمية والتقنية التي تحتاجها مشاريع التنمية. ، ذلك أن العراق مهد الحضارة الأنسانية وموطن المعرفة، فحري به اليوم أن يستعيد سابق عزه ومجده.

المقدمة

شهد العراق منذ مطلع عقد الستينيات من القرن المنصرم نهضة علمية شاملة تمثلت بأرسال الألف الطلبة العراقيين للدراسة في دول العالم المختلفة في مشارق الارض ومغاربها، بهدف تأهيلهم للحصول على شهادات علمية جامعية في جميع حقول المعرفة وبشكل خاص في مجالات العلوم الصرفة والتطبيقية في الطب والهندسة والزراعة وغيرها، كما تمثل بأستحداث جامعات الموصل والبصرة والسليمانية بعد ان كان التعليم العالي محصوراً بجامعة واحدة هي جامعة بغداد والتي تنحصر جميع كلياتها في مدينة بغداد دون سواها. كما شهد عقد الستينيات استحداث مراكز بحوث علمية مرتبطة بجامعة بغداد، لتصبح فيما بعد موحدة في مؤسسة خاصة بالبحث العلمي مرتبطة بجامعة بغداد. وفي نهاية هذا العقد انشئت مؤسسة خاصة بالتعليم المهني والتقني لأعداد الأطر العلمية الوسطية التي تحتاجها خطط التنمية القومية. وفي مطلع عقد السبعينيات استحدثت لأول مرة وزارة خاصة بالتعليم العالي والبحث العلمي لرسم وتنفيذ سياسة التعليم العالي والبحث العلمي في العراق.

ونظراً لأهمية التعليم العالي والبحث العلمي بوصفه المرتكز الأساس لأية نهضة حقيقية فقد استحدث مجلساً أعلى للتعليم العالي والبحث العلمي برئاسة رئيس الجمهورية او من يمثله وعضوية وزيرا التعليم العالي والبحث العلمي والتربية ورؤساء الجامعات وممثلي جهات اخر، ابرزها وزارة التخطيط ونقابة المعلمين واتحاد الطلبة. والمجلس بحسب تشكيلته يمتلك صلاحيات اوسع من صلاحيات الوزارة، وبذلك فهو معني برسم الأستراتيجيات العامة للتعليم العالي والبحث العلمي، وترك تفصيلات تنفيذها ووضع خطط برامجها لمؤسسات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي التي نظم عملها وصلاحيات كل منها بموجب القانون رقم (١) لسنة ١٩٧٠ وتعديلاته اللاحقة.

وشهد عقد السبعينيات استحداث الجامعة التكنولوجية والجامعة المستنصرية والكثير من المعاهد والكليات ومراكز البحوث العلمية، فضلا عن توسيع نشاط منظمة الطاقة الذرية، وابتعاث الاف الطلبة للدراسة في دول اوربا الغربية واقطار

امريكا الشمالية، مما كان لها اثرها البارز بتحقيق نهضة العراق العلمية والتقنية، واستمر الحال على هذا المنوال حتى منتصف عقد الثمانينيات اذ بدأ العراق يشهد انحساراً واضحاً في عدد المبعوثين للدراسة في خارج العراق بسبب الصعوبات المالية التي واجهها البلد من جراء اثار الحرب العراقية الايرانية المدمرة.

كما شهد مطلع عقد الثمانينيات اعادة تنظيم مراكز البحوث العلمية بصدور القانون رقم ١٧٥ لسنة ١٩٨٠ الذي استحدث بموجبه مجلس البحث العلمي وارتباطه بمجلس الوزراء. كما استحدثت جامعات تكريت والأنبار والقادسية والكوفة. وفي نهاية هذا العقد الغي مجلس البحث العلمي والحق منتسبيه بجامعات العراق وهيئة التصنيع العسكري ووزارات أُخر.

وفي عقد التسعينيات استحدثت جامعات بابل وكربلاء وواسط وذي قار والسليمانية (الغيت هذه الجامعة في بداية عقد الثمانينيات ونقلت ممتلكاتها الى اربيل لتصبح جامعة اخرى بأسم جامعة صلاح الدين) وجامعة دهوك، ليصبح بذلك عدد جامعات العراق (٢٠) جامعة موزعة في جميع انحاء العراق .

التعليم الجامعي

تشير احصاءات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي الى ان عدد جامعات العراق في العام الدراسي ٢٠٠٣/٢٠٠٢ قد بلغ (٢٠) جامعة موزعة في جميع انحاء العراق، اضافة الى (٣) هيئات متخصصة هي: هيئة التعليم التقني المعنية بشؤون التعليم التقني، اذ انها تضم معاهد وكليات تقنية موزعة في جميع انحاء العراق، وتمنح شهادات الدبلوم التقني والبكالوريوس والماجستير في التخصصات التقنية، والهيئة العراقية للتخصصات الطبية التي تمنح شهادة زميل الهيئة التي هي اعلى شهادة مهنية طبية في حقل الاختصاصات الطبية السريرية، والهيئة العراقية للحاسبات والمعلوماتية التي تمنح شهادات الدبلوم والماجستير والدكتوراه في علوم الحاسوب والمعلوماتية. يبين الجدول (١) جامعات العراق وسنوات تأسيسها وعدد كلياتها في العام الدراسي ٢٠٠٣/٢٠٠٢.

يلاحظ من الجدول (١) ان جامعة بغداد هي اقدم واكبر جامعات العراق، وعلى الرغم ان تاريخ تأسيسها يشير الى العام ١٩٥٦، الا ان كليات الجامعة قد تأسست قبل هذا التاريخ كثيرا، اذ يعود تاريخ تأسيس كلية الحقوق مثلا الى العام ١٩٠٨ اي قبل تاريخ دولة العراق الحديث، وكلية الطب الى العام ١٩٢٧، وكلية الهندسة الى العام ١٩٤٢، وهكذا الامر بالنسبة لمعظم كليات الجامعة، الا ان هذه الكليات لم تنظم بادارة واحدة الا في العام ١٩٥٦.

وينطبق الشيء نفسه لجامعات الموصل والبصرة والمستنصرية والتكنولوجية، اذ تأسست كلية الطب في الموصل في العام ١٩٥٩ وكليات الهندسة والعلوم والاداب في العام ١٩٦٣، وفي البصرة تأسست كليات العلوم والهندسة والحقوق والاداب في العام ١٩٦٤. ويعود تاريخ انشاء الجامعة المستنصرية الى العام ١٩٦٣ بوصفها جامعة اهلية، اما الجامعة التكنولوجية فان بداياتها تعود الى العام ١٩٦١ باسم معهد الهندسة الصناعية العالي .

واستحدث في العام ١٩٨٨ والسنوات اللاحقة عدد من الكليات الاهلية في بغداد والموصل والبصرة والانبار وديالى، في الدراسات الانسانية وعلوم الحاسوب والادارة والاقتصاد. اقتصرت الدراسة في هذه الكليات على الدراسات الجامعية الاولية فقط.

من ذلك يتضح ان رقعة التعليم العالي قد امتدت الى جميع انحاء العراق اذ اصبحت كل محافظة تضم جامعة وبعض المعاهد وربما كلية تقنية او كلية اهلية باستثناء محافظتي ميسان والمثنى اذ لا يوجد فيهما جامعة حتى يومنا هذا، ويؤمل استكمال استحداثهما في الفترة القريبة القادمة.

يدرس في هذه الجامعات ما مجموعه (٢٥١٣٨٨) طالبا وطالبة ويشرف على تدريسهم (١٣٥٠٥) تدريسيا. وتبلغ نسبة طالب الى تدريسي (١٨,٦).وتتفاوت هذه النسبة بين جامعة واخرى، كما انها تتفاوت بين كليات الجامعة الواحدة، وتتفاوت كذلك بين التخصصات المتناظرة في الكليات المختلفة، اذ تبلغ اقصاها في جامعة واسط بنسبة (٥٢,١) وادناها في جامعة النهرين بنسبة(٦,٨).

يوضح الجدول (٢) اعداد التدريسيين والطلبة في جامعات العراق المختلفة ونسبهم للعام الدراسي ٢٠٠٢/٢٠٠٣.

وتجدد الاشارة الى ان نسبة طالب الى تدريسي محسوبة على اساس ان حملة الماجستير هم ضمن الملاك التدريسي بوصفهم مدرسين مساعدين طبقا لقانون وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ويحق لهم التدرج في سلم المراتب العلمية طبقا لتعليمات الترقيات العلمية.

واذا استثنينا حملة شهادة الماجستير من الملاكات التدريسية كما هو الحال في معظم الجامعات العربية والاجنبية فأن هذه النسب ستتغير كثيرا اذ ان مجموع حملة شهادة الماجستير في الجامعات(٧٩٤٣) تدريسيا مقابل (٥٥٦٢) تدريسيا من حملة شهادة الدكتوراه اي ماتسبته (٥٨,٩%) من مجموع اعضاء الهيئة التدريسية. ويبين الجدول (٣) اعداد اعضاء الهيئات التدريسية في الجامعات حسب الشهادة العلمية.

يلاحظ ان أعلى نسبة لحملة شهادة الماجستير الماجستير في جامعة كربلاء (٨٢,٢%)، وادنى نسبة في جامعة النهرين (١٢,٥%).

يبين الجدول (٤) توزيع الطلبة في الجامعات حسب الجنس اذ يبلغ عدد الطلاب (١٤١٨٠٨) طالبا اي ما نسبته(٥٦,٤%) وعدد الطالبات (١٠٩٥٨٠) طالبة اي ما نسبته(٤٣,٦%) من مجموع عدد الطلبة. وتتفاوت هذه النسب بين جامعة واخرى وبين كليات الجامعة الواحدة، اذ تبلغ اعلى نسبة للطلاب في الجامعة الاسلامية (١٠٠%) تليها بذلك الجامعة التكنولوجية (٧٤,٨%) .

وتعاني الجامعات من كثرة الاعباء التدريسية التي يتحملها اعضاء الهيئات التدريسية بسبب كثرة اعداد الطلبة ونقص التدريسيين، اذ يبلغ معدل الساعات التدريسية الاسبوعية في العام الدراسي ٢٠٠٢/٢٠٠٣ لمن هم بمرتبة استاذ (٢٠,٩) ساعة مقابل (٨) ساعات كما هو مقرر قانونا، والاستاذ المساعد (٢٢,٧) ساعة مقابل (١٠) ساعات مقررة والمدرس (٢٤,٧) ساعة مقابل (١٢) ساعة مقررة والمدرس المساعد (٢٧,٢) ساعة مقررة، وتجدر الاشارة هنا الى

ان المدرسين المساعدين غير مسموح لهم قانونا بالتدريسات النظرية، الا انهم في واقع الحال يكلفون بالكثير من التدربسات النظرية. وتتفاوت هذه الاعباء بين الجامعات، وكذلك بين كليات الجامعة الواحدة، اذ انها قد بلغت (٤٠) ساعة اسبوعيا لمن هو استاذ و(٣٥,٣) ساعة لمن هو استاذ مساعد و(٣٩) ساعة لمن هو مدرس (٣٩,٣) ساعة لمن هو مدرس مساعد بجامعة ذي قار على سبيل المثال. ولعل من المهم ان نشير هنا الى بروز اتجاه جديد في التعليم الجامعي منذ منتصف عقد الثمانينيات من القرن المنصرم تمثل باستحداث كليات خاصة بالطالبات، ابتداء بكليات التربية للبنات، ومن ثم كليات العلوم للبنات، وكان مقرراً ليشمل كليات أُخر. يوضح الجدول (٥) عدد كليات البنات في جامعات العراق للعام الدراسي ٢٠٠٢/٢٠٠٣.

ولأجل النهوض بالتعليم الجامعي لابد من اتخاذ اجراءات سريعة وحاسمة ابرزها ما يأتي :

١- استكمال انتشار الجامعات في جميع محافظات العراق وذلك باستحداث جامعة في كل من محافظتي ميسان والمثنى تحقيقا لمبدأ التوازن العلمي والتقني ونشر العلوم والمعارف في جميع ارجاء العراق.

٢- وضع خطط علمية عاجلة لتوفير الملاكات العلمية التي تحتاجها الجامعات وذلك بتأهيل جميع حملة شهادات الماجستير الى شهادات الدكتوراه لاسيما ان نسبة حملة الماجستير لاتقل في المعدل عن ٦٠% في الجامعات، وهذا يتطلب تخصيص بعثات لكل جامعة من الجامعات على وفق حاجاتها الفعلية، ورصد المبالغ المالية لتحقيق ذلك.

٣- تطوير الملاكات التدريسية في الجامعات لاسيما حملة شهادات الدكتوراه المتخرجين في الجامعات العراقية.

٤- اتاحة فرص التفرغ العلمي لاعضاء الهيئات التدريسية في جامعات عالمية رصينة ومرموقة في الاوساط العلمية اذ ان هذه الفرص قد اوقفت منذ عام ١٩٧٨ الا في حدود ضيقة لاتكاد تذكر.

٥- العمل على توأمة الجامعات واعتماد برامج شراكة علمية فاعلة ومؤثرة لصالح تطوير العملية العلمية والتربوية مع جامعات عالمية معروفة جيداً في الدول المتقدمة.

٦- إعادة نظر جادة وشاملة في جميع نظم التعليم وبرامجه ومناهجه لتواكب اخر مستجدات العلوم والتقانة واعتماد اساليب التدريس الحديثة وطرائقه التربوية المتطورة، وبما يلبي حاجات بلادنا الحالية والمستقبلية .

٧- اعتماد الاساليب الادارية الحديثة في جميع مفاصل العمل الجامعي بالأفادة من نظم الادارة الجامعية الحديثة.

٨- تشجيع اقامة جامعات خاصة وجامعات أهلية على وفق معايير وطنية تلبي حاجات البلاد من الملاكات العلمية العالية التأهيل والرفيعة المستوى العلمي في اطار الحفاظ على الهوية الوطنية وتعزيز روح المواطنة الصحيحة، فضلا عن تخفيف الأعباء المالية عن كاهل الحكومة المتزايدة عاماً بعد اخر.

٩- العمل على نشر التعليم الجامعي باللغة العربية ودعمه بكل الوسائل الممكنة ذلك أن تعريب العلوم والتقانة مسألة في غاية الأهمية لتوكيد هويتنا الوطنية وتعزيز مكانة بلادنا العلمية واستعادة مكانتها التي تستحقها في عالم اليوم كأمة أمة علم وحضارة راقية.

١٠- ابراز مكانة علماء العراق ومبدعيه ومفكريه من اساتذة الجامعات بكل الوسائل الممكنة وتوفير سبل العيش الكريم لهم.

١١- العمل على اكتشاف المبدعين والموهوبين والمتميزين من طلبة الجامعات وتوفير فرص التقدم أمامهم للأفادة من قدراتهم العلمية المتميزة بكل الوسائل الممكنة ذلك ان الابداع ليس حكراً على بلد معين بذاته.

١٢- توفير البيئة العلمية الأمنة التي يمكن ان تتفتح فيها القدرات الأبداعية للطلبة والتدريسيين على السواء إذ يبدو أن علماء العراق ومبدعيه

ومفكريه باتوا هدفاً سهلاً لأعداء العراق لتصفيتهم والقضاء عليهم بهدف ايقاف نهضة العراق وتقدمه .

١٣- عد الأنفاق في قطاع التعليم العالي والبحث العلمي انفاقاً إستثمارياً وليس إنفاقاً خدمياً كما هو عليه الحال في الوقت الحاضر.

١٤- تحديد حجوم مقبولة للجامعات اذ تتباين الجامعات في تخصصاتها واهتماماتها في اطار وحدة التكامل العلمي على صعيد القطر منعاً للتشتت وبعثرة الجهود وهدر الأموال والحد من ظاهرة بطالة الخريجين الأخذ في التفاقم عاماً بعد اخر.

١٥- ربط الجامعات بسوق العمل وفهم حركة السوق وآلياته لتأمين تخريج ملاكات علمية وتقنية يمكن الأفادة من مؤهلاتها فوراً في سوق العمل.

١٦- تعزيز القيم والأعراف والتقاليد الجامعية السليمة وإبعاد الجامعات عن الصراعات الحزبية الضيقة والنعرات العنصرية والطائفية والمذهبية تحت اية تسميات او اية اقنعة براقة. ذلك أن الجامعات حرم آمن ومنابر للفكر العلمي الحر وانماء المعرفة الأنسانية .

١٧- الأفادة من تجارب وخبرات الجامعات المتراكمة عبر سنين طوال بأكبر قدر ممكن ذلك انها تمثل جهداً مثابراً ودؤوباً لأعضاء الهيئات التدريسية في ظروف مختلفة كان لها الفضل الأول بأدامة واستمرار العملية التعليمية الجامعية في ظروف صعبة جداً.

١٨- تعزيز التعاون العلمي والثقافي مع الجامعات العربية الشقيقة كسياق عمل ثابت وبما يعود بالمنفعة على جميع الأطراف، وبلورة فلسفة تعليمية عربية واسلامية متفتحة بعيداً عن التعصب والمغالاة.

١٩- الأفادة من تقانات المعلومات بأستحداث جامعات الكترونية تشارك بنشر التعليم بأنواعه بين قطاعات واسعة من الناس بكلف إقتصادية مناسبة.

٢٠- إختيار بعض الجامعات لتكون جامعات متميزة ومراكز للجودة على وفق معايير الجودة المعتمدة في جامعات الدول المتقدمة ودعمها بكل الوسائل .

٢١- تطوير مكتبات الجامعات بالأفادة من تقانات المعلومات وربطها بمكتبات الجامعات المتقدمة ومراكز البحوث والدراسات المتميزة، واعتماد اساليب المكتبات الأفتراضية السائدة حالياً في الأوساط العلمية .

٢٢- انشاء جامعات بحثية متميزة اذ تكون مهمتها الأولى اجراء البحوث العلمية الراقية، ومهمتها الثانية التعليم في تخصصات علمية حديثة .

٢٣- انشاء جامعات تقنية في تخصصات علمية متقدمة وفي مواقع ذات نشاط صناعي كثيف او بالقرب منها بهدف التعاون في مجالات انشطة الحاضنات التقنية وما شابه ذلك في مجالات نقل التقانة والأفادة من نتائج البحوث العلمية والأبداعات والأختراعات العلمية .

٢٤-إعادة تنظيم الجامعات في بغداد إذ يلاحظ أن الجامعات الخمس في بغداد و الهيئات الثلاث جميعها تقع في جانب الرصافة، بينما لا توجد جامعة واحدة في جانب الكرخ الذي يمثل نصف مدينة بغداد، كما يلاحظ ان بعض هذه الجامعات يتداخل مع بعضها، كما هو الحال في جامعتي بغداد والنهرين في موقع الجادرية، وجامعتي بغداد والمستنصرية وهيئة التعليم التقني في موقع باب المعظم، فضلا عن تكرار أكثر من كلية واحدة في الجامعة الواحدة احيانا من دون وجود مبرر حقيقي لذلك كما هو حال كليتي الهندسة وكليتي الطب بجامعة بغداد. ولمعالجة هذه الحال، نقترح ضم الكليات الموجودة في الموقع الواحد الى إدارة جامعية واحدة وكذا الحال بالنسبة للكليات الموجودة في مواقع قريبة من بعضها، وإستحداث جامعات اخرى في بعض مواقع جانب الكرخ بالاستفادة من بعض الكليات الموجودة حاليا في مناطق اليرموك والبيّاع والكاظمية والدورة وأبوغريب.

٢٥- تحويل هيكل الجامعة التكنولوجية من هيكل كلية (السائد حاليا) الى هيكل جامعة كما هو عليه الحال في الجامعات الأخرى كي تنطلق الجامعة الى

افاق علمية وتقنية اوسع، وكذلك العمل الجاد على استعادة الجامعة موقعها في منطقة التاجي.

التعليم التقني

تشير إحصاءات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي الى وجود (٣٩) معهداً تقنياً في العام الدراسي ٢٠٠٣/٢٠٠٢ موزعة في جميع انحاء العراق، يدرس فيها (٥٨٤٩١) طالباً وطالبة، ويشرف على تدريسهم (٢٢٨٤) تدريسياً، وبذلك تكون نسبة طالب الى تدريسي (٢٥,٦). يوضح الجدول (٦) توزيع التدريسيين والطلبة في المعاهد التقنية.

كما أن هناك (٩) كليات تقنية يدرس فيها (٨٢١٠) طالباً وطالبة، ويشرف على تدريسهم (٢٨٨) تدريسياً، وبذلك تكون نسبة طالب الى تدريسي (٢٥,٥).

ويلاحظ من هذا الجدول أن معهد التكنولوجيا ببغداد ومعهد الادارة في الرصافة ومعهد البصرة ومعهد الموصل ومعهد كركوك لا يقل عدد طلبتها عن عدد طلبة الكثير من جامعات المحافظات. كما يلاحظ ان معظم المعاهد في منطقة الحكم الذاتي معاهد متواضعة جداً في اعداد الطلبة والتدريسيين على السواء.

ترتبط جميع الكليات التقنية والمعاهد التقنية بهيئة التعليم التقني عدا تلك المعاهد الموجودة في محافظات اربيل والسليمانية ودهوك. يبين الجدول (٧) توزيع التدريسيين والطلبة في الكليات التقنية للعام الدراسي ٢٠٠٣/٢٠٠٢ .

يوضح الجدول (٨) توزيع أعضاء الهيئات التدريسية في المعاهد حسب الشهادة العلمية إذ يبلغ عدد حملة شهادة الدكتوراه (١٨٤) أي ما نسبته (٨,٢%) من مجموع أعضاء الهيئة التدريسية، وعدد حملة شهادة الماجستير (٩٢٢) أي ما نسبته (٤٠,٨%)، وعدد حملة شهادة البكالوريوس (١١٥٢) أي ماتسبته (٥١%). وتبلغ اقصى نسبة حملة الدكتوراه في معهد الموصل (١٣%) واقصى نسبة حملة الماجستير في معهد الأدارة/ الرصافة (٥٨,٢%)، واقصى نسبة حملة البكالوريوس في معهد كوا (٩٣%).

يبين الجدول (٩) توزيع أعضاء الهيئات التدريسية حسب الشهادة في الكليات التقنية، إذ يبلغ عدد حملة شهادة الدكتوراه (٩٠) أي ما نسبته (١٨,٩%) من مجموع أعضاء الهيئة التدريسية، وعدد حملة الماجستير (١٧٥) أي ما نسبته (٣٦,٧%)، وعدد حملة شهادة البكالوريوس (٢١٢) أي ما نسبته (٤٤,٤%). وتبلغ أقصى نسبة حملة شهادة الدكتوراه في الكلية التقنية في المسيب (٣٦,٦%)، وأقصى نسبة حملة شهادة الماجستير في الكلية التقنية/ البصرة (63.6%). وأقصى نسبة حملة شهادة البكالوريوس في كلية التقنيات الطبية والصحية(65.3%).

تبلغ الأعباء التدريسية في المعاهد والكليات التقنية (١٦,٦) ساعة اسبوعية لمن هم بمرتبة استاذ و(١٨,٣) ساعة اسبوعية لمن هم بمرتبة استاذ مساعد و(٢١,٥) ساعة اسبوعية لمن هم بمرتبة مدرس و(٢٤,٦) ساعة اسبوعية لمن هم بمرتبة مدرس مساعد. تبلغ هذه الساعات اقصاها في معهد بابل بالنسبة للاساتذة (٢٩) ساعة اسبوعية، وفي كلية التقنيات الطبية والصحية بالنسبة للاساتذة المساعدين (٢٦,٤) ساعة اسبوعية، وبالنسبة للمدرسين (٣٠,٤) ساعة اسبوعية و للمدرسين المساعدين (٣٦,٨) ساعة اسبوعية. وادناها في معهد السليمانية (٢) ساعتين اسبوعية بالنسبة للاساتذة و(٤) ساعات اسبوعية بالنسبة للاساتذة المساعدين و(١٠) ساعات اسبوعية بالنسبة للمدرسين في معهد الكوفة و(١٠)ساعات اسبوعية بالنسبة للمدرسين المساعدين في معهد شقلاوة.

ولغرض النهوض بقطاع التعليم التقني نرى ضرورة الاخذ بالمقترحات الاتية:

١ـ استكمال البنى التحتية للمعاهد والكليات التقنية اذ فقد معظمها ما كان متوفراً لديها من اجهزة ومعدات علمية ومختبرية، على الرغم من قدم هذه الاجهزة والمعدات وتآكل الكثير منها وحاجتها الى الادامة والصيانة، واصبح التعليم التقني

في الكثير من المعاهد والكليات تعليما نظرياً صرفاً ينقصه التدريب العملي الذي يعد اساس التعليم التقني.

٢ـ تخصيص بعثات علمية لتأهيل ملاكات المعاهد والكليات التقنية اذ ان نسبة عالية جداً من ملاكات المعاهد لا يحملون اكثر من شهادة البكالوريوس، ويفتقر الكثير منهم الى الخبرات الصناعية الضرورية لمثل هذا النمط من التعليم الذي يعتمد التطبيق العملي الى جانب التدريس النظري لأكساب الطلبة المهارات العملية. كما نقترح هنا أن تكون شهادة الماجستير الحد الأدنى لعضو هيئة التدريس في المعاهد التقنية، مصحوبة بقدر معقول من الخبرة العملية في مجال التخصص، ويلاحظ أن أغلب التدريسيين في الكليات التقنية هم من حملة شهادة الماجستير وبمراتب علمية متدنية (مدرس مساعد في الغالب)، وهو امر يتطلب خفض أعداد الطلبة في هذه الكليات بما يتوافق وامكاناتها، واعتماد خطة سريعة لتأهيل ملاكات الكليات التقنية بحصولهم على شهادات الدكتوراه في مجالات تخصصهم.

٣ـ فصل الكليات التقنية عن المعاهد التقنية اذ تكون قائمة بذاتها ومعتمدة على امكاناتها المادية والبشرية .ويفضل انشائها في مناطق صناعية او بالقرب منها.

٤ـ إعادة نظر جادة وشاملة ببرامج ونظم ومناهج التعليم التقني بانواعه وتخصصاته المختلفة بالافادة من تجارب المعاهد والكليات التقنية في بلدان العالم المتقدمة، وبما يلبي حاجات المؤسسات الانتاجية في بلادنا.

٥ـ ربط مخرجات التعليم التقني بحاجات السوق المحلية وبما لا يشارك في تفاقم مايات يعرف ببطالة الخريجين، ملاكات بلا عمل من جهة، وشواغر عمل ليس هناك من يشغلها من جهة اخرى.

٦ـ العمل على زيادة الترابط بين المعاهد والكليات التقنية والمؤسسات الانتاجية المختلفة من خلال تعشيق عمل الطلبة وتدريبهم في تلك المؤسسات وتوظيف قدرات الملاكات التدريسية العلمية للمشاركة بحل المعضلات التقنية التي تواجهها المؤسسات.

٧ــ تنمية الخبرات المتراكمة في المعاهد والكليات التقنية عبــر ســنيين طــوال ورعايتها وعدم التفريط باي منها لاي سبب من الاسباب.

٨ــ ايلاء التدريب العملي في المؤسسات الانتاجيةاهتماما خاصا اذ اصبح تــدريب الطلبة في السنوات الاخيرة مسالة شكلية لا معنى لها سوى الحاجــة لاســتكمال متطلبات منح الشهادة العلمية.

٩ــ تعزيز هوية التعليم التقني والتأكيد على اختلافها عن هوية التعليم الجــامعي، اذ ان لكل منهما اهدافه واساليبه المختلفة.

١٠ــ دعم عملية تجسير طلبة المعاهد التقنية لتمكــين الطلبــة المتفــوقين مــن الالتحاق بالكليات التقنية والجامعات في مجالات تخصصهم.

١١ــ منح حوافز ومكافآت تشجيعية لطلبة المعاهد والكليات التقنيــة، اذ يلاحــظ حاليا عزوف طلبة المدارس الثانوية من الدراسة في هذه المعاهد والكليات لاسيما بعد فتح قناة التعليم الاهلي والدراسات المسائية امامهم للالتحاق بدراسات جامعية كثيرة.

١٢ــ دراسة امكانية تحويل بعض مجمعات المعاهد والكليات التقنية الحالية الــى جامعات تقنية، لعل ابرز هذه المجمعات مجمع موقع الزعفرانية ببغداد .

١٣ــ التفكير جديا باعتماد اساليب تدريسية اخرى مثل التعليم المتناوب والتعلــيم المتوازي والتعليم الجزئي وغيرها.

البحث العلمي

سعى الانسان منذ بدء الخليقة وحتى يومنا هذا الى كشف سر كنه ومعرفة اسرار الطبيعة والقوانين التي تتحكم بالظواهر الطبيعية والافادة منها بتسخيرها للسيطرة عليها لصالحه. لذا حاول جاهدا سبرغور العلم بالبحث والتقصي، اذ انــه بــدون بحث لا يمكن بناء علم، وبدون تراكم العلوم والمعارف لايمكن اجــراء البحــوث، فالعلم والبحث، اذن، متلازمان لا يمكن فصل احدهما عن الاخر. وبتراكم المعارف الانسانية تطورت اساليب البحث العلمي ووظائفه الى مدارس بحثية متخصصة في حقول المعرفة المختلفة. وازداد الاهتمام بالبحث العلمي في عصرنا الراهن بعد ان ادركت الدول اهمية العلم في رقيها وتطورها، وان البحث العلمي انما يمثل اهــم

ركائز التنمية العلمية. واذ ان البحث العلمي يمثل نشاطا فكريا يتسم بالاضافة والابداع والابتكار لذا يتطلب ايجاد منظومة بحث علمي راقية تعتمد الابداع والابتكار واكتشاف المبدعين من ذوي القدرات العلمية العالية وتوفير البيئة العلمية السليمة التي تتفتح فيها الابداعات العلمية والتقنية.

وفي العراق فقد تركز نشاط البحث العلمي ومازال حتى وقتنا الحاضر بصورة اساسية في الجامعات بصورة او باخرى. وقد بذلت بعض الجهود لإيجاد مؤسسات خاصة بالبحث العلمي، الا انها لم تحقق نتائج علمية ذات اهمية، فقد تأسس مجلس خاص بالبحوث العلمية في جامعة بغداد عام ١٩٦٣، ليرتبط بعدها بمجلس الوزراء عام ١٩٦٧، ووزارة التعليم العالي عام ١٩٧٠ ومجلس التخطيط عام ١٩٧٤، ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي ثانية عام ١٩٧٦، ومجلس الوزارء ثانية عام ١٩٨٠، وهو امر يعكس حالة من التخبط وعدم وضوح اهداف هذا المجلس، لذا فقد الغي مجلس البحث العلمي في العام ١٩٨٩، لتتوزع مراكزه على هيئة التصنيع العسكري ووزارات الصناعة والمعادن والتعليم العالي والبحث العلمي والمواصلات ومركز اباء للابحاث الزراعية.

وفي العام ١٩٩٥ استحدثت وزارة التعليم العالي والبحث العلمي هيئة بأسم هيئة البحث العلمي لتنظيم حركة البحث العلمي في المراكز البحثية الموجودة في الجامعات، والعمل على دعمها وتقييم ادائها في ضوء البحوث المنجزة طبقا لخططها. ويشار هنا الى أن الهيئة قد ضمت عدد من كبار اساتذة الجامعات وبعض مدراء المراكز البحثية، وأن الهيئة لم يكن اعضائها متفرغين لعمل الهيئة، وانها غير معنية بالبحوث التي تجرى في الاقسام العلمية في الجامعات، اذ تركت مسؤوليتها لرئاسات الجامعات المعنية حصراً.

بلغ عدد المراكز الموجودة في الجامعات في العام الدراسي ٢٠٠٣/٢٠٠٢ ما مجموعه (٢٦) مركزا بحثيا، (٧) منها في جامعة الموصل و(٦) في جامعة بغداد و (٦) في جامعة البصرة. اما تخصصاتها: (١١) في الدراسات الانسانية و(٩) في الدراسات العلمية و(٣) في الدراسات الطبية ومثلها في الدراسات الهندسية. يبين الجدول (١٠) اعداد المراكز البحثية وتخصصاتها حسب توزيعها على

الجامعات. ويشار هنا الى ان الملاك العلمي العامل في معظم هذه المراكــز غيــر متفرغ تماما للبحث العلمي وانما ينتسبون الى الاقسام العلمية في جامعاتهم، كمــا ان البعض منها يفتقر الى ابسط مستلزمات البحث العلمي الى الحد الــذي يمكــن عدها مراكز بحثية وهمية .

ولأجل النهوض بالبحث العلمي نرى ضرورة اتخاذ الأجراءات الأتية:

١. تشكيل مجلس أعلى للبحث العلمي يتألف من كبار علماء العراق لرســم سياسة البحث العلمي على مستوى القطر وتحديد مستلزمات تنفيذها.
٢. عد الأنفاق على البحث العلمي انفاقاً استثمارياً وتحديد نسبة مقبولة في الموازنة العامة للدولة على وفق المعايير الدولية لأغراض الصرف على أنشطة البحث العلمي المختلفة.
٣. تشجيع المؤسسات الأنتاجية (الصناعية والزراعية) على تحديد نسبة من عائداتها لأغراض البحث العلمي، واعفاء هذه النسب مــن مســتحقاتها الضريبية.
٤. فحص أداء المؤسسات العلمية والبحثية بصورة دورية منتظمــة علــى وفق معايير الجودة المعتمدة دولياً من جهات علمية مستقلة للتأكد مــن حسن اداء هذه المؤسسات لوظائفها البحثية وجدوى مشــاريعها علميــاً واقتصاديا وبما يلبي حاجات مجتمعاتها.
٥. تشجيع اقامة برامج الشراكة بين الجامعات والمؤسسات العلمية المختلفة والمؤسسات الأنتاجية، وذلك بتبني مشاريع الحاضنات التقنيــة لتــأمين توظيف نتائج البحوث العلمية لأغراض صناعية وزراعية نافعة.
٦. اقامة بعض المدن العلمية science parks قرب التجمعات الصــناعية وبمشاركة المؤسسات العلمية والبحثية.
٧. ابراز تأثير العلماء والباحثين وتكريمهم في المناسبات الوطنية.

٨. اعتماد قواعد خدمة للباحثين، يراعى فيها انتاجية الباحث وقدراته العلمية الأبداعية وابتكارية بحوثه، ومدى مشاركتها في حل المعضلات العلمية والتقنية، وجدواها الأقتصادية على وفق معايير الجودة العالمية.
٩. السعي الدائم لأكتشاف المبدعين والموهوبين علمياً وتقنياً، ولاسيما الشباب منهم، ورعايتهم رعاية خاصة في بيئات علمية مزدهرة.
١٠. تنظيم مهرجانات علمية دورية ومنتظمة للأحتفاء بالعلم والعلماء.
١١. تعزيز الصلات العلمية بين مؤسسات البحث العلمي العراقية والمؤسسات المناظرة لها في الدول المتقدمة، وبما يعود بالمنفعة على جميع الأطراف، ويشارك برقي وتقدم المؤسسات العلمية الوطنية.
١٢. تحديث البنى العلمية التحتية بصورة مستمرة لضمان اداء منظومات بحثية راقية.
١٣. اعتماد اليات مناسبة لتسويق البحوث العلمية والأختراعات والأبداعات بهدف الأفادة منها بتحويلها الى منتجات مفيدة .
١٤. الاهتمام بالندوات والمؤتمرات العلمية وتنظيمها على وفق المعايير الدولية الراقية.
١٥. الاهتمام بالمجلات والدوريات العلمية واصدارها على وفق قواعد النشر العالمية.
١٦. شمول مشاريع البحث العلمي بمعايير الجدوى العلمية والأقتصادية.
١٧. اعتماد نظام حوافز مجزية للباحثين والمبدعين في مجالات العلوم المختلفة.
١٨. عد البحث العلمي من وظائف الجامعات الاساسية ذلك ان الجامعات هي المصدر الاساس لأثراء وانماء المعرفة على مدى العصور في جميع الدول وانها المصدر الوحيد لأعداد الملاكات العلمية والتقنية التي يحتاجها المجتمع.
١٩ .تنظيم مؤتمرات علمية رصينة على وفق معايير المؤتمرات العلمية الدولية .

٢٠.العمل على تسويق البحوث العلمية بهدف الإفادة منها على اوسع نطاق ممكن.

البيئة العلمية:

شهد العقد السابع من القرن الماضي تطورات علمية مهمة تمثلت بالاتي:

١-استحداث وزارة خاصة بالتعليم العالي والبحث العلمي لاول مرة في العراق وتنظيم عملها بموجب قانون خاص هو قانون وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ذي الرقم (١) لسنة ١٩٧٠.

٢- صدور قانون الخدمة الجامعية لسنة ١٩٧٦ وتعديلاته اذ نظم هذا القانون مفردات الحياة الجامعية بصورة جيدة تتماشى مع اساليب العمل الحديثة في الجامعات المتقدمة علميا وتقنيا، فضلا عن تأمين حياة كريمة لاعضاء الهيئات التدريسية الجامعية وبما يمكنهم من الانصراف لاداء مهامهم الجامعية والتربوية على احسن وجه ممكن اذ اشترط القانون المذكور تفرغ اعضاء الهيئات التدريسية للعمل الجامعي حصرا في البحث العلمي والتدريس الجامعي وتقديم الاستشارات العلمية والتقنية وخدمة المجتمع، وهو بذلك يعد حالة متقدمة في الحياة الجامعية عربيا واقليميا، كان له الاثر الواضح في تقدم ورقي العملية التعليمية الجامعية ممثلا بغزارة البحث العلمي ورقيه في السنوات التي اعقبت صدور هذا القانون، فضلا عن النشاط المتزايد للمكاتب الاستشارية الجامعية ومراكز البحوث العلمية ومراكز التعليم المستمر .

٣- تعريب التعليم الجامعي في مراحله المختلفة على وفق خطط علمية موضوعة بعناية لتحقيق هذا الغرض، لاسيما في التخصصات العلمية والتقنية (باستثناء التخصصات الطبية). وقد رصدت مبالغ مالية كبيرة جدا لتحقيق هذا الغرض. وقد نجحت الجامعات بتأليف وترجمة المئات من الكتب العلمية في التخصصات المختلفة. واصبح التعريب والتدريس في اللغة العربية وكتابة الرسائل والاطاريح الجامعية ونشر البحوث باللغة العربية امراً اعتيادياً في الجامعات، دون ان يؤثر ذلك على اعتماد اللغة الانكليزية لغة ثانية (وليس اولى كما كان عليه الحال سابقاً) في التعليم الجامعي، اذ الزمت التعليمات تدريس مقرر واحد في كل مرحلة

دراسية باللغة الانكليزية، فضلا عن وجوب اجتياز الطلبة المتقـدمين للدراسـات العليا امتحان الكفاية باحدى اللغات الاجنبية الحية.

٤ـ الاهتمام بالبحث العلمي بشقيه الاساسي والتطبيقي، اذ انشـئت الكثيـر مـن مراكز البحوث المتخصصة في الجامعات، واعتمـاد سياسـة تشـجيعية لأنجـاز البحوث العلمية ونشرها في مجلات ودوريات علمية علمية رصينة ومحكمة مـن خبراء علميين وذلك بصرف مكافآت مالية مجزية طبقا لتعليمات تعضـيد البحـث العلمي المعدة من مجالس الجامعات. وبذلك نرى ان الجامعات لـم تعـد مراكـز لتخريج الطلبة فحسب، بل اصبحت مراكز للجودة والتمييز العلمي واثراء المعرفة العلمية وانمائها والمشاركة بحل المعضلات التقنية التـي تواجههـا المؤسسـات الانتاجية المختلفة.

٥ـ استحداث المكاتب العلمية الاستشارية بدءاً بالمكاتب الاستشـارية الهندسـية بالقانون رقم(١) لسنة ١٩٧٩، لتتوسع فيما بعـد لتشـمل معظـم التخصصـات العلمية، وذلك بعد النجاح الذي حققته المكاتـب الاستشـارية الهندسـية علميـاً ومهنياً، اذ اصبحت منافساً قوياً للمكاتب الاستشارية الخاصة والاهلية. وتعد هـذه المكاتب تجربة رائدة وحالة متقدمة على ما سواها في الجامعات العربية. كما انها اصبحت مدرسة ممتازة لأعداد الملاكات الجامعية مهنياً بعد اعدادهم علمياً.

٦ـ تنظيم مؤتمرات وندوات تقويمية لمسيرة التعلـيم العـالي والبحـث العلمـي بمشاركة كبار المسؤولين في الدولة من داخل ومن خارج قطاع التعليم العالي في مدد زمنية مختلفة، بلغ عدد هذه المؤتمرات (٦) مؤتمرات، كان اولها فـي عـام ١٩٧٠، نجم عنه أستحداث وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، تـلاه المـؤتمر الثاني عام ١٩٨١ الذي شارك فيه رئيس الجمهوريـة وكبـار المسـؤولين فـي الدولة، فضلا عن رؤساء الجامعات وعدد كبير من عمداء الكليات، وعقد المؤتمر الثالث عام ١٩٨٧، والرابع عام ١٩٨٨، والخامس عام ١٩٩٢ برئاسـة رئـيس الجمهورية وعدد من المسؤولين، والسـادس عـام ٢٠٠٢.وقـد اثـرت هـذه المؤتمرات كثيرا في تطوير التعليم العالي والبحث العلمي.

٧- زيادة التفاعل بين الجامعات وحقل العمل تمثل ذلك بقيام مؤسسات الدولة بتدريب طلبة الجامعات والمعاهد لديها في العطل الصيفية جزءا من متطلبات الدراسة، ليتطور في نهاية عقد التسعينيات الى تعشيق عمل الطلبة (ولاسيما طلبة الجامعة التكنولوجية وهيئة التعليم التقني) مع المؤسسات الانتاجية لتصنيع بعض المواد والاجهزة الصناعية. كما شهد عقد التسعينيات قيام اساتذة الجامعات بالعمل في المؤسسات اثناء العطل الصيفية لانجاز بحوث او تقديم استشارات او حل معضلات تقنية لاسيما في وزارات الصناعة والمعادن والتصنيع العسكري والنفط والمواصلات وغيرها. وبذلك فقد ازداد الترابط بين الجامعات والمؤسسات التعليمية من جهة، وحقل العمل من جهة اخرى، وبما يعود بالمنفعة والفائدة على جميع الاطراف، ويشارك باثراء المعرفة النظرية، بالمعطيات العملية ذات الصلة بحاجات الصناعات الوطنية.

٨- ازداد الترابط بين الجامعات والمؤسسات التعليمية من جهة، ومؤسسات المجتمع المختلفة (لاسيما المؤسسات الانتاجية) من جهة اخرى في عقد التسعينيات لم يسبق له مثيلاً برغم شحة الموارد المالية وتقادم الاجهزة العلمية وهجرة المئات من الملاكات العلمية الى خارج العراق. استطاعت الجامعات بجهودها الذاتية توفير الملاكات التي تحتاجها في جميع التخصصات، الامر الذي اثر في استحداث معاهد وكليات وجامعات ومراكز بحوث باتت تشمل جميع محافظات العراق لتوفير الفرص التعليمية لجميع ابنائه. كما امتازت هذه الدراسات بترابطها الشديد بحقل العمل واستجابتها الفاعلة لتلبية حاجاته اذ لم تعد البحوث الجامعية مجرد تمارين بحثية لتلبية متطلبات الحصول على الشهادة كما هو الحال في معظم الجامعات، اذ اصبح الكثير من هذه البحوث ينفذ لحساب حقل العمل على وفق عقود مبرمة بين الطرفين وتمول من المؤسسات في اطار ما بات يعرف في عقد التسعينيات من القرن المنصرم بآليات التعاون بين الجامعات وحقل العمل، اذ انجزت العشرات من البحوث والدراسات التي اسهمت اما بايجاد مواد بديلة لاخرى مستوردة لم يعد بالامكان توفيرها في ظروف الحصار الشامل المفروض على البلاد حينذاك، او تصنيع اجهزة صناعية او ادامة او تصليح اخرى عاطلة

بخبرات محلية. وقد حققت هذه التجربة نجاحا باهرا، اذ انها اسهمت باستمرار تشغيل الكثير من المؤسسات الانتاجية التي كانت تعتمد على خبرات وقدرات اجنبية لم يعد بالامكان الحصول عليها بسهولة لاسباب كثيرة.

٩- شهدت برامج الدراسات العليا لا سيما برامج دراسات الدكتوراه تطوراً كمياً ونوعياً شاركت بتخريج المئات من الملاكات العلمية والتقنية لسد حاجات الجامعات ومراكز البحوث والمؤسسات المختلفة.

١٠ - صدور قانون رعاية ذوي الكفايات العلمية في منتصف عقد السبعينيات الذي شمل جميع حملة شهادات الماجستير والدكتوراه او ما يعادلها داخل العراق وخارجه بإمتيازات كثيرة منها منحهم قطع اراضي سكنية مع قرض ميسر بدون فوائد لبنائها، وشراء سيارة بدون رسوم كمركية، وإعفائهم من الخدمة العسكرية بدفع بدل نقدي بسيط مقداره مائة دينار، والسماح لمن هو خارج العراق ادخال ما يشاء من اثاث واجهزة منزلية معفاة من اية رسوم. وقد نجح القانون بعودة الكثير من حملة الشهادات العليا الى العراق للمشاركة في بنائه وتحقيق نهضته العلمية.

١١- رعاية العلم والعلماء رعاية خاصة وشمولهم بإمتيازات مهمة بموجب قانون رعاية العلماء ذي الرقم (١) لسنة ١٩٩٣ وقانون تكريم العلماء والمبدعين والمفكرين الذي تشرف عليه هيئة خاصة بإسم هيئة تكريم العلماء والمبدعين والمفكرين، فضلا عن قانون الملاكات العلمية في جميع الوزارات الذي حدد نسبة من ملاكاتها حسب الشهادة العلمية والنتاج العلمي في السنوات الثلاثة الأخيرة ومنحهم امتيازات مالية مجزية، وعلى ان يعاد التقييم سنويا دفعا لمزيد من العطاء. كما استحدثت هيئات متخصصة في كل وزارة لتقييم البحوث المتمييزة والأبداعات العلمية وبراءات الأختراعات وتكريم اصحابها.

١٢- رعاية العلم رعاية خاصة بتخصيص يوم بإسم يوم العلم يكرم فيه العلماء واساتذة الجامعات المتمييزين والرواد وتسمية الأساتذة الأوائل في المعاهد والكليات والجامعات والتعليم العالي ومنحهم شهادات تقديرية ومكافآت مجزية.

١٣- الأهتمام بإنشطة نقل التكنولوجيا من خلال لجنة وطنية تضم ممثلين من وزارات الدولة المختلفة لأنتقاء التقنيات المناسبة والعمل على إدخالها إلى القطر بكل الوسائل الممكنة.

١٤- بروز مؤسسات علمية رائدة ابرزها منظمة الطاقة الذرية ومركزاباء للبحوث الزراعية وهيئة التصنيع العسكري اذ حققت جميعها انجازات علمية مهمة.

التحديات الراهنة

يواجه المجتمع العلمي العراقي في الوقت الحاضر تحديات جسيمة لعل أبرزها الأتي:

١- فقدان الأمن والأمان واستهداف علماء العراق ومبدعيه ومفكريه من بعض الجهات إلى حد تصفيتهم جسدياً ، الأمر الذي دفع بالكثير منهم إلى ترك العراق واللجوء إلى دول أخر، وهذا يتطلب بذل جهود حقيقية لتوفير البيئة الأمنية المناسبة لهم من خلال إيجاد تجمعات علمية في أماكن محددة يسهل حمايتها.

٢- تدهور البنية التحتية العلمية المتأكلة أصلاً من جراء الحصار الشامل الذي استمر سنين طوال وما أعقبه من حرب شاملة طالت كل شيء وأي شيء، زادها سوءاً انعدام الأمن ونهب ممتلكات معظم المؤسسات العلمية.

٣- انعدام التواصل العلمي مع علماء الدول الأخر أو ضعفه لسنوات طوال في أحسن الأحوال، الأمر الذي أدى إلى قدم أساليب وطرائق عمل العلماء العراقيين وعدم مواكبة الكثير منهم لتطورات العلوم الحديثة ومستجدات التكنولوجيا المتقدمة، مما يتطلب توفير الفرص المناسبة لهم من خلال برامج علمية مناسبة لإعادة بناء هذه الملاكات العلمية.

٤- ضعف الدافعية لدى الكثير من علماء العراق بسبب الأحباطات الكثيرة التي مروا بها وعدم وجود ما يشير في الأفق إلى تحسن أحوالهم سواء أكان ذلك على الصعيد الشخصي أو على صعيد المؤسسات التي يعملون فيها.

٥- انقطاع التواصل بين العلماء الشباب وبين من سبقهم من علماء إذ إن الفجوة أخذة بالأتساع بين الجيلين.

٦- بطء الإجراءات المتخذة حتى ألان لتأهيل المجتمع العلمي العراقي .

أما ابرز المشكلات العلمية التي ينبغي أن يتصدى لها علماء العراق في الوقت الحاضر، فيمكن ايجازها بالآتي:

١- التصدي الحازم والسريع لمشكلات التلوث البيئي الذي يواجه العراق حالياً في الماء والهواء والنفايات الصلبة إذ بات التلوث يهدد حياة الناس بصورة جادة.

٢- التصدي للأمراض المختلفة لاسيما أنواع السرطانات المنتشرة بشكل واسع في إنحاء كثيرة من البلاد والتي لم تكن معروفه من قبل بهذا الشكل الواسع .

٣- التصدي للآفات الزراعية المتزايدة والتي تهدد ثروة البلاد الزراعية .

٤-العمل على إيجاد حلول مناسبة لمشكلة تدهور نوعية المياه الصالحة للاستعمال البشري.

٥-العمل على إيجاد حلول مناسبة لمشكلة المياه الجوفية ومعالجة مشكلات الصرف الصحي في مدن العراق وقراه المختلفة.

٦-إيجاد حلول مناسبة لمشكلات مياه الري الأخذة بالتناقص عاماً بعد أخر بسبب قيام دول الجوار أما بإنشاء سدود اوتحويل مجاري الأنهار في اراضيها.

٧- المشاركة بدراسة أداء المؤسسات الإنتاجية المختلفة بهدف رفع كفاية أدائها : مؤسسات وأفراد على السواء.

٨- أصلاح نظم التعليم المختلفة.

٩- التصدي لدراسة ظاهرة العنف في العراق ومما ينجم عنها من أضرار فادحة بالمجتمع.

١٠-ايلاء تقانات المعلومات والاتصالات والصناعات المنبثقة عنها ما تستحقه من اهتمام .

١١-العمل على اكتشاف الإبداع و المبدعين عبر آليات عمل واضحة ومحددة تحفز الإبداع والمبدعين .

١٢- العمل على بناء مجتمع المعرفة وتنمية الصناعات المستندة الى استعمالات المعرفة العلمية والتقنية.

١٣- العمل على تشجيع بناء الحاضنات التقنية لاسيما في مجالات التقانات الدوائية والصيدلانية والمعلوماتية وفروع المعرفة المختلفة.

١٤- تشجيع البحوث في مجالات الأبنية الواطئة التكلفة وتوفير وسائل ومواد بسيطة محلية لمعالجة أزمة السكن الخانقة التي يعاني منها الناس كثيراً.

١٥- المشاركة بدراسة التخطيط الحضري والعمراني لمدن العراق إذ تفتقر هذه المدن لمثل هذه المخططات ، وان ما موجود في بعضها قد عفى عليه الدهر وشرب

١٦- اعتماد بناء مشاريع علمية ريادية في بعض التخصصات العلمية والتكنولوجية لتكون انموذجاً يقتدى بها في القطاعات والفعاليات الاقتصادية المختلفة

١٧- العمل الجاد والسريع لأعادة تأهيل قطاعي الكهرباء والنفط لما لهما من اهمية فائقة في اعادة بناء العراق.

١٨- بناء منظومات عمل علمية رصينة لاغراض التنمية العلمية الشاملة وابراز اثر العلماء في مجتمعاتهم من خلال تأمين اسباب العيش الكريم لهم واشاعة روح التسامح والانفتاح والمودة فيما بينهم.

الخاتمة

تعرضت بلادنا الى حروب مدمرة وصراعات مرة وانفلات امني طال كل شيئ واي شيئ في حياة الأنسان العراقي الصابر المجاهد، نجم عنها تدمير شامل لجميع البنى التحتية والمرتكزات الأساسية لمنظومات العلم والتقانة في بلادنا الى حد تصفية الكثير من العلماء والمبدعين والمفكرين بالأغتيالات تارة، وبالتهديد واجبارهم على ترك العراق تارة اخرى، دون ان يحرك احدا ساكنا، وكأن الأمر لا يستحق الأهتمام. ولأجل بناء العراق القوي المزدهر ، لا بد ان تتضافر الجهود الخيرة لتأمين البيئة العلمية الصحيحة التي يمكن ان ينطلق فيها الإبداع العلمي الى اوسع مدياته.

المراجع

١. جريو، داخل حسن

دور البحوث العلمية في التطوير والتنمية.

مؤتمر تخطيط وتطوير التعليم والبحث العلمي التطبيقي في الدول العربية.

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالتعاون مع اتحاد الجامعات العربية وجامعة حلب، حلب، سوريا،٢٠٠٢.

٢ . جريو، داخل حسن

بعض معايير جودة التعليم التقني، المجلة العربية للتعليم التقني، المجلد ١٩، العدد ١ ، ٢، ٢٠٠٢.

٣. جريو ، داخل حسن

العلم والتقانة والأبداع، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد ٥١، العدد ٤ ، ٢٠٠٤ .

٤. جريو ، داخل حسن

التعليم العالي في العراق وبعض متطلبات الأصلاح، مجلة المجمع العلمي،المجلد ٥١، العدد ١، لسنة ٢٠٠٤.

٥. جريو ، داخل حسن

نحو شراكة حقيقية بين الجامعات وحقل العمل.

مجلة الحكمة ،العدد ٣٨ ،بيت الحكمة في بغداد ،٢٠٠٤ .

٦.
Iraq, Education in Transition
Needs and Challenges,
UNESCO 2004

٧. جريو، داخل حسن
التعليم في عالم متغير
مجلة المجمع العلمي،الجزء الأول ، المجلد ٥٢، لسنة ٢٠٠٥ .

٨. جريو، داخل حسن
نحو ثقافة تقانية معاصرة
مجلة المجمع العلمي، الجزء الثاني، المجلد ٥٢، لسنة ٢٠٠٥ .

الملحق

جدول (١)

جامعات العراق وسنوات تأسيسها وعدد كلياتها في العام الدراسي ٢٠٠٣/٢٠٠٢.

الجامعة	سنة التأسيس	عدد الكليات
بغداد	١٩٥٦	٢٤
الموصل	١٩٦٧	١٨
البصرة	١٩٦٧	١٤
السليمانية	١٩٦٨	١٨
المستنصرية	١٩٧٥	١٠
التكنولوجية	١٩٧٥	١٠
صلاح الدين	١٩٨١	١٥
الانبار	١٩٨٨	١١
تكريت	١٩٨٨	١١
الكوفة	١٩٨٨	٧
القادسية	١٩٨٨	٩
النهرين	١٩٨٨	٦
الاسلامية	١٩٨٩	٣
بابل	١٩٩١	١١
دهوك	١٩٩٢	٩
ديالى	١٩٩٥	٦
كربلاء	٢٠٠٢	٤

كركوك	٢٠٠٢	٤
ذي قار	٢٠٠٢	٤
واسط	٢٠٠٣	٣
المجموع		١٩٧

جدول (٢)

اعداد التدريسيين والطلبة في الجامعات للعام الدراسي ٢٠٠٢/٢٠٠٣

الجامعة	التدريسيون	الطلبة	نسبة طالب/تدريسي
بغداد	٣٠٨٦	٦٧٠٠٢	٢١,٧
الموصل	٢٣٠٦	٢٦٩٦٦	١١,٧
البصرة	١٠٥٤	٢٠٩٦٦	٢٠
السليمانية	٤٨٤	٨٠٥٥	١٦,٦
المستنصرية	١٠٨٤	٣٣٣٢٣	30.7
التكنولوجية	٨٢٥	١٥٥٢٢	١٨.8
صلاح الدين	800	١١٢٦٥	١4.1
الانبار	451	٧٢٢٢	16
تكريت	665	٤٦٦٠	7
الكوفة	548	٧٢٧٧	13.3
القادسية	328	٩٦٠٣	2٩,3
النهرين	٢٣2	١٥٦٨	٦,8
الاسلامية	36	١٤٣٧	39.9
بابل	٤٩٦	١٣٥٦٣	٢٧,٣
دهوك	٣٦٣	٣٤٤٩	٩,٥
ديالى	٢٥٩	٧١١١	٢٧,٥

كربلاء	١٠١	٢٥١٧	٢٤,٩
كركوك	١٥٤	١٦٥٣	١٠,٧
ذي قار	١٢٩	٣٩١٨	٣٠.٤
واسط	77	٤٠١١	52.1
المجموع	١٣٥٠٥	٢٥١٣٨٨	١٨,٦

جدول (٣)

اعداد اعضاء الهيئات التدريسية في الجامعات حسب الشهادة العلمية

الجامعة	عدد حملة شهادة		المجموع	نسبة	
	الدكتوراه	الماجستير		الدكتوراه	الماجستير
بغداد	١٥١٧	١٥٦٩	٣٠٨٦	٤٩,٢	50.8
الموصل	٩٤١	١٣٦٥	٢٣٠٦	٤٠,٨	٥٩,٢
البصرة	٣٢٣	٧٣١	١٠٥٤	٣٠,٦	٦٩,٤
السليمانية	١٥٦	٣٢٨	٤٨٤	٣٢,٢	٦٧,٨
المستنصرية	٥٠١	٥٨٣	١٠٨٤	٤٦,٢	٥٣,٨
التكنولوجية	٢٧٠	٥٥٥	٨٢٥	٣٢,٧	٦٧,٣
صلاح الدين	٢٤٠	٥٦٠	٨٠٠	٣٠	٧٠
الانبار	١٩٢	٢٥٩	٤٥١	٤٢,٦	٥٧,٤
تكريت	٣٧٩	٢٨٦	٦٦٥	٥٧	٤٣
الكوفة	٢٢٠	٣٢٨	٥٤٨	٤٠,١	٥٩,٩
القادسية	٦٣	٢٦٥	٣٢٨	١٩,٢	٨٠,٨
النهرين	٢٠٣	٢٩	٢٣٢	٨٧,٥	١٢,٥
الاسلامية	١١	٢٥	٣٦	٣٠,٦	٦٩,٤
بابل	١٨٨	٣٠٨	٤٩٦	٣٧,٩	٦٢,١
دهوك	٩٦	٢٦٧	٣٦٣	٢٦,٤	٧٣,٦
ديالى	١٠٩	١٥٠	٢٥٩	٤٢	٥٨

كربلاء	١٧	٨٤	١٠١	١٦,٨	٨٣,٢
كركوك	٥٤	١٠٠	١٥٤	٣٥	٦٥
ذي قار	٢٣	١٠٦	١٢٩	١٧,٨	٨٢,٢
واسط	٤٠	٣٧	٧٧	٥٣,٣	٣٧,٧
المجموع	٥٥٦٢	٧٩٤٣	١٣٥٠٥	٤١,١	٥٨,٩

جدول (٤)

اعداد طلبة الجامعات حسب الجنس للعام الدراسي ٢٠٠٢/٢٠٠٣

الجامعة	الذكور	الاناث	الذكور	الاناث
بغداد	٣٥٠٣٣	٣١٩٦٩	٥٣,٣	٤٧,٧
الموصل	١٨٢٩٥	٨٦٧١	٦٧,٨	٣٢,٢
البصرة	١٠٠٣٨	١٠٩٢٨	٤٧,٩	٥١,١
السليمانية	٤٥١١	٣٥٤٤	٥٦	٤٤
المستنصرية	١٨١٤٤	١٥١٧٩	٥٤,٤	٤٥,٦
التكنولوجية	١١٦١٧	٣٩٠٥	٧٤,٨	٢٥,٢
صلاح الدين	٦٤٤٣	٤٨٢٢	٥٧,٢	٤٢,٨
الانبار	٤٦٩٤	٢٥٢٨	٦٥	٣٥
تكريت	٢٥٠٢	٢١٥٨	٥٣,٧	٤٦,٣
الكوفة	٤٥٧٥	٣٢٠٢	٥٦	٤٤
القادسية	٥٣٧٨	٤٢٢٥	٥٦	٤٤
النهرين	٧٦٣	٨٠٥	٤٨,٧	٥١,٣
الاسلامية	١٤٣٧	٠	١٠٠	٠
بابل	٨٥٨١	٤٩٨٢	٦٣,٣	٣٦,٧
دهوك	٣٩٨٢	٣١٢٩	٥٦	٤٤
ديالى	٣٣٨٩	٣٧٢٢	٤٧,٧	٥٢,٣
كربلاء	١٠٥٦	١٤٦١	٤١,٩	٥٨,١

كركوك	٩٢٦	٧٢٧	٥٦	٤٤
ذي قار	١٦٤١	٢٢٧٧	٤١,٩	٥٨,١
واسط	٢٢٠٥	١٨٠٦	٥٥	٤٥
المجموع	١٤١٨٠٨	١٠٩٥٨٠	٥٦,٤	٤٣,٦

جدول (٥)

كليات البنات في الجامعات للعام الدراسي ٢٠٠٢/٢٠٠٣

الجامعة	الكلية
بغداد	التربية، العلوم، التربية الرياضية
الانبار	التربية
القادسية	التربية/ المثنى
تكريت	التربية، العلوم
بابل	العلوم
المجموع	٨

جدول (٦)

اعداد التدريسين والطلبة في المعاهد التقنية للعام الدراسي ٢٠٠٢/٢٠٠٣

المعهد	عدد		نسبة طالب/تدريسي
	التدريسين	الطلبة	
التكنولوجيا	١٠٥	٥٤١١	٥١,٥
التقني الطبي	١٢٤	٩٩٥	٨
المنصور	٧٧	١٨٤٥	٢٤
الادارة/ الرصافة	١٢٩	٤٤٨٣	٣٤,٨
الادارة/ الزعفرانية	٥٥	٢١١٠	٣٨,٤
الفنون التطبيقية	٢٦	٧٠٣	٢٧

تدريب الفنيين	٤٧	١٥٤٠	٣٢,٨
الموصل	٣٠٠	٣١٧٩	١٠,٦
نينوى	٥١	٥٠٩	٦٢,٦
البصرة	١٣٥	٥٠٦٢	٣٧,٣
التقني للصناعات الكيميائية	٦	١٤٥	٢٤,٢
بابل	١٨٥	٢٥٣٢	١٣,٧
الدور	٢٦	١٥٧٥	٦٠,٦
الكوت	٢٧	١٢٤٣	٤٦
العمارة	٤٦	١٦٩٠	٣٦,٧
الانبار	٥١	١٤١٦	٢٧,٨
بعقوبة	٨٥	٢٨٥٢	٣٣,٦
دهوك	٤٣	٧٧٧	١٨,١
اربيل	٤٥	١٣٢٦	٢٩,٥
الحويجة	٤٨	٥٠٥	١٠,٥
كربلاء	٤٨	١٢٢٢	٢٥,٥
كركوك	١٠١	٣٣٨٩	٣٣,٦
الكوفة	٦٦	٢٠٢٥	٣٠,٧
المسيب	١٧٣	١٢٩٠	٧,٥
النجف	٤٥	٢١٥٥	٤٧,٩
الناصرية	٣٢	٢٠٠٤	٦٢,٦
القادسية	٢٦	١٢٥٨	٤٨,٤
السماوة	٢٦	٨٦٤	٣٣,٢
الشطرة	٤١	١١١٩	٢٧,٣
شقلاوة	١٢	٢١٦	١٨
كوا	٣	٤٢٦	١٤٢
جمجمال	٢	١٨٤	٩٢

عقرة	٦	١٤٨	٩,٤
السليمانية	٥٨	١١٩٤	٢٠,٦
سوران	١٠	١٦٩	١٦.٩
سيورا	١٩	٧١٨	٣٧,٨
كلارا	٥	٢١٢	٤٢,٤
المجموع	٢٢٨٤	٥٨٤٩١	٢٥,٦

جدول (٧)

اعداد التدريسين والطلبة في الكليات التقنية للعام الدراسي ٢٠٠٢/٢٠٠٣

الكلية	عدد		نسبة طالب/تدريسي
	التدريسيين	الطلبة	
بغداد	٣١	٧٦٧	٢٤,٧
الطبية والصحية/بغداد	٨٩	١٠٣٣	١١,٦
الادارية/بغداد	٣٠	١٠١٦	٣٣,٩
الكهربائية والالكترونية	٤	٣١٠	٦٩,٦
الموصل	٣١	٩٧٨	٣١,٥
البصرة	١٥	١١٥٨	٧٧,٢
النجف	١٠	٤٢٠	٤٢
المسيب	٣٣	٧٤٦	٢٢,٦
كركوك	٤٥	١٧٨٢	٣٩,٦
المجموع	٢٨٨	٨٢١٠	٢٥,٥

جدول (٨)

توزيع التدريسين في المعاهد التقنية حسب الشهادة للعام الدراسي ٢٠٠٢/٢٠٠٣

المعهد	نوع الشهادة			المجموع
	دكتوراه	ماجستير	بكالوريوس	
التكنولوجيا	٥	٤٧	٣٤	٨٦
التقني الطبي	٥	٥٧	٣٥	٩٧
المنصور	٧	٣٥	٣٧	٧٩
الادارة/الرصافة	٩	٨١	٤٩	١٣٩
الادارة/ الزعفرانية	٥	٢٢	٢٦	٥٣
الفنون التطبيقية	٥	١٢	٦	٢٣
تدريب الفنيين	٠	١٩	٢٣	٤٢
الموصل	٤٣	١٣٨	١٥١	٣٣٢
نينوى	٠	١٧	٥	٢٢
البصرة	٨	٥٠	١٤٨	٢٠٦
بابل	١٨	٢٣	٥١	٩٢
الدور	٣	٩	١٣	٢٥
الكوت	٥	١١	١١	٢٧
العمارة	٢	٢٦	٢٦	٥٤
الانبار	٩	١٣	١٩	٤١
يعقوبة	٦	٣٢	٢١	٥٩
دهوك	١	١٨	١٨	٣٧
اربيل	٤	٤٧	٥٦	١٠٧
الحويجة	٤	٢٢	٦٠	٨٦
كربلاء	٤	٢٢	٢٢	٤٨
كركوك	٦	٣٩	٧٢	١١٧

الكوفة	٣	٣٢	٣٤	٦٩
المسيب	١٣	٣٣	٢٢	٦٨
النجف	٢	٢٠	٣٠	٥٢
الناصرية	٤	٦	٢٣	٣٣
القادسية	١	١٢	١٢	٢٥
السماوة	١	٨	١٧	٢٦
الشطرة	٣	١٢	٢٧	٤٢
شقلاوة	٣	١٠	٢	١٥
كوا	٠	٢	٢٧	٢٩
جمجمال	٠	٢	١٣	١٥
عقرة	١	٧	٨	١٦
السليمانية	١	٢٠	٠	٢١
سوران	٠	١٠	١٦	٢٦
سيورا	٢	٥	٦	١٣
كلارا	١	٣	٣٢	٣٦
المجموع	١٨٤	٩٢٢	١١٥٢	٢٢٥٨

جدول (٩)

توزيع اعضاء الهيئات التدريسية في الكليات التقنية للعام الدراسي ٢٠٠٢/٢٠٠٣

الكلية	نوع الشهادة			المجموع
	دكتوراه	ماجستير	بكالوريوس	
بغداد	١٣	١٨	٢٠	٥١
الطبية والصحية/بغداد	١٧	٤٢	١١٢	١٧١
الادارية/بغداد	١٢	١٣	٠	٢٥

الكهربائية والالكترونية/ بغداد	٦	٦	٠	١٢
الموصل	٤	٣٢	٤٧	٨٣
البصرة	١	١٤	٨	٢٢
النجف	٤	٦	١٤	٢٤
المسيب	١٧	١٦	١١	٤٤
كركوك	١٦	٢٨	٠	٤٤
المجموع	٩٠	١٧٥	٢١٢	٤٧٧

جدول(١٠)

عدد المراكز البحثية في الجامعات العراقية

للعام الدراسي ٢٠٠٢/٢٠٠٣

الجامعة	عدد المراكز				المجموع
	علمية	طبية	هندسية	انسانية	
النهرين	–	–	–	١	١
بغداد	٢	١	١	٢	٦
البصرة	٣	–	–	٣	٦
الكوفة	–	–	–	١	١
الموصل	٣	–	١	٣	٧
المستنصرية	–	٢	–	١	٣
التكنولوجية	١	–	١	–	٢
المجموع	٩	٣	٣	١١	٢٦

لغــة ألف ليلة وليلـــة

د. احمــد مطلــوب
عضو المجمع العلمي
رئيس دائرة علوم اللغة العربية

الملخص :

ذهب بعض الدارسين من العرب والمستشرقين الـــى ان كتاب (ألف ليلة وليلة) تراث شعبي ، وان لغته عامية ليســهل فهمه على المتلقين . ودراســـة الكتاب دراسة متأنيـــة تنقــض ذلك ، وقد ظهر من متابعة لغته وأسلوبه أنـــه عربـــي يتســم بالجمالية وحسن التعبير ، وان ألفاظه عربية وإِن انزاح بعضها عن معناها الأصلي لتأخذ دلالة جديدة تعبر عما أراد صـــاحب الكتاب التعبير عنه ، وليس فيه إلا ألفاظ أجنبية قليلة مما كـــان شائعا في بيئات العراق والشام ومصر ، يوم ظـــــهر الكتـــاب بصورته الأخيرة .

وهذا البحث إيضاح لذلك ، وردٌّ الاعتبار الى الكتـــــاب الذي خذله كثير من الباحثين .

(١)

نمت اللغةُ العربية نموا كبيرا بعد نزول القرآن الكريم وقيام الدولة العربية ، وكانت تزداد نموا كلما تقدم الزمن لتعبر عن المستجدات ، ووصلت في العصر العباسي الى أوْج ازدهارها بفضل الحضارة العربية الإسلامية ، وحركة التأليف ، ولكن لم تَبْقَ نقية لأنَّ ألفاظ لغات أعجمية تَسرَّبت اليها بعد اتساع الحكم العربيّ ودخول غير العرب في دين الله أفواجا .

وفي ضوء الواقع الذي عاشته العربية ظهر المُعَرَّبُ والدخيل ، وأُلِّفت كتب فيهما، منها (المُعرَّب) للجواليقي (- ٥٤٠هـ) و (تحقيق الكلمة الأعجمية) لابن كمال باشا (- ٩٤٠ هـ) و (شِفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل) للشهاب الخفاجي (- ١٠٦٩ هـ) .

ووُضِعَت كتب لتنقية اللغة العربية ، ويُعدّ كتاب (ما تلحن فيه العامة) المنسوب الى علي بن حمزة الكسائي (- ١٨٩ هـ) من أقدم الكتب التي اهتمت بتنقية العربية في القرن الثاني للهجرة . وتوالى التأليفُ في هذا الحقل فظهر (كتاب الفصيح) لثعلب (- ٢٩١ هـ) و (إصلاح المنطق) و (كتاب الألفاظ) لابن السِّكيت (- ٢٤٤هـ) و (أدب الكاتب لابن قتيبة) (- ٢٧٦ هـ) و (لحن العامة) للزُبيدي (- ٣٧٩هـ) و (تثقيف اللسان) للصقلي (- ٥٠١ هـ) و (دُرَّة الغواص في أوهام الخواص) للحريري (- ٥١٦هـ) و (تكملة إصلاح ما تغلط فيه العوام) للجواليقي .

ولم تُوقِفْ هذه الحركةُ تسربَّ الألفاظ الأعجمية الى العربية ، إذ ظهر ذلك منذ عهد الترجمة ، ولا يكاد كتاب يخلو من بعض الألفاظ

الأجنبية ، إما تملحا أو حاجةً أو عَجْزا . وكتبُ الرحلات حافلة بذلك كرحلة ابن جُبير (– ٦١٤هـ) الذي زار مصر والحجاز والعراق والشام وصقلية ، وذكر ما سمع في هذه الأقاليم من ألفاظ . ورحلة ابن بطّوطة (– ٧٧٧هـ) الذي طاف في معظم مناطق آسية ، وبعض مناطق أفريقية ، وذكر في رحلته كثيراً من الألفاظ الأجنبية التي سمعها ، وتعامل معها خلال رحلته الطويلة .

ولم يسلم أُسامة بن منقذ (– ٥٨٤هـ) وهو الأديب البليغ ، والشاعر البارع من تسرب الألفاظ الإفرنجية الى كتابه (الاعتبار) حيث كان في مواجهة الغزو الصليبي ، والتعامل مع واقع الحياة .

وشاعت الفنون الشعرية غير المُعْرَبَة ، ووضع صفي الدين الحلي (– ٧٥٠ هـ) كتاب (العاطل الحالي والمرخص الغالي) متكلما على الزجل والمواليا ، والكان كان ، والقوما ، ومستشهدا بنصوص من مصر ، والعراق ، والشام ، والأندلس ، وفي هذه النصوص ما يخرج عن العربي السليم .

وكان من الطبيعي ان تجنح العربية هذا الجنوح بعد ان اضطربت أحوال العرب ، وران عليهم الجمود ، ولولا الإيمان القوي ما استطاع العلماء أنْ يصونوا لغة القرآن الكريم ، ويؤلفوا الكتب ، ويضعوا الموسوعات ، على الرغم من استفحال اللهجات المحكية في العهدين المملوكي والعثماني ، وهما الزمن الذي ظهر فيه كتاب (ألف ليلة وليلة) الذي كان عربيا في أَحداثه ولغته وأُسلوبه على الرغم مما فيه من ألفاظ انزاحت عن معانيها الحقيقية ، وألفاظ تسربت اليه من واقع الحياة التي مرت بالناس في ذلك الزمان ، ومن قصص دار بعضها في مصر والشام والعراق .

(٢)

كان زمان الليالي مُمتدًا ، وكان مكانها واسعَ المدى ، وكانت الشخوص كثيرة ، والأحداث متنوعة ، والقضايا عميمة شملت الدين ، والأخلاق ، والإجتماع ، والتأريخ ، والتعليم ، والمرأة ، والسياسة ، والخوارق ، وما كان لمؤلف أن يعبر عن هذه القضايا لو لم يكن متضلعا من العربية ، ذا ثقافة واسعة ، وخيال مجنح ، وقدرة على السَّرْد ، ورَبْط الأحداث ، وتتابع الليالي ، وبذلك جاء كتاب (ألف ليلة وليلة) مُعْجما يضم الألفاظ المتنوعة التي عَبَّرت عن المواقف والأحداث المختلفة ، وكانت لغته سليمة لولا تَسَرُّبُ بعض الألفاظ الأعجمية اليها ، وهو تَسَرُّبٌ لم يكن باستطاعة المصنف أنْ ينأى عنه ، وهو يعيش في عهد لانت فيه اللغة ، فضلا عن أنَّ المتلقين كانوا يميلون الى الألفاظ والعبارات القريبة من مداركهم وأذواقهم ، وهذا ما أدركه صاحب الليالي ، فجاء باللغة التي لا ترقى الى الفصحى ، وإنما تتمسك بالفصاحة ونقاء التعبير ، ووضوح البيان .

(٣)

يكاد الكتاب يَسْتوعِبُ ما في المعجم العربي من ألفاظ تعبر عن شؤون الحياة ، وتُلقي ضوءً على حضارة ذلك العهد الذي وُصِفَ بالفترة المظلمة ، وما هي بالمظلمة وقد ظهر فيها كتاب الليالي ، والموسوعات ، والمعاجم ، والمدونات الكبيرة .

وألفاظ الحضارة ، والألفاظ التي عَبَّرت عن الأحداث تمثل عدة حقول دلالية هي :

أولا : الملابس :

القَباء ــ الأَطلس ــ البدْلة ــ البُرنَس ــ البِشْت ــ الخف ــ السّروال ــ اللباس ــ الطاقية ــ الحياصة ــ الزَرَبَــون ــ الكَــرك ــ الشــاش ــ الشّدود ــ الهُدْمة ــ الطربوش ــ الطرطور ــ الكوفيــة ــ الثــوب ــ الغلالة ــ الفوطة ــ الفرجية ــ الملوطــة ــ الفــروة ــ القميــص ــ الملاءة ــ الإزار ــ العمامة ــ اللثام .

وهذه من أبرز ما كان مُستَعَملا في العهود السابقة ، وقد بقيــت مستعملة حتى الآن على الرغم من تقدم الحياة المعاصرة ، مــا عــدا : الزَّرَبون ــ الكرك ــ الشدود ــ الطرطور ــ الطربوش ــ الى حدّ مــا ــ الفرجية ــ الملوطة ــ ولعل لها أسماء معاصرة ، لأَن لكــل لبــاس طريقة في الوصف واللبس ، كما تشــير اليــه المعــاجم والدراســات الحضارية للملابس التي عُني بها المعاصرون من الأَجانب والعرب .

ثانيا ــ مواد التنظيف :

هي قليلة تتمثل في الصابون والسُّعد والإشنان ، وقد تكون هناك مواد أُخرى مستعملة في القديم لم تذكر في الليالي .

ثالثا ــ الزينة :

كان للمرأة في الليالي حضور متميز سواء أكانت جاريةً أم حُرَّةً ، وكلاهما تسعى الى الزينة بمواد قادرة على حصولها ، والمــواد التــي كانت شائعة هي : الألماس ــ الجواهر ــ الذهب ــ الفضة ــ البَرَقَة ــ الياقوت ــ الزمرَّد ــ الزبرجد ــ البَلْخَش ــ العقيق ــ اللؤلؤ ــ الدُر ــ المرجان .

وهذه من مواد أَدوات الزينة ، وقد بقيت ما عــدا : البرقــة ــ البلخش ، أما الأدوات فهي : الخلْخال ــ الحِجل ــ الحلَق ــ السِّوار ــ

الخاتم ، وهي ما تزال مستعملة حتى الآن الى جانب ما جاءت به الحضارة الحديثة من وسائل الزينة وأدواتها .

رابعا ــ العطور :

هي : المِسك ــ الزّباء ــ ماء الورد ــ ماء الورد الممسك ــ الطيب ــ العنبر .

خامسا ــ الطعام :

كان ذكر الأكل والطعام حاضرا في معظم صفحات كتاب الليالي، وهو ما يُعبر عن اهتمام الإنسان بطعامه في كل زمان ومكان . وأَنواع الطعام أو المأكول الي ذكر في الكتاب هي : البطارِخ ــ الزيتون ــ الجبن ــ البليلة ــ الحنطة ــ الذُّرة ــ الشعير ــ التمر ــ الزبادي ــ الزرباجة ــ الزَّرْدَة ــ النُقل ــ الفلفل ــ السكر ــ سكر النبات ــ السُويق ــ الزيت ــ السيرج ــ العدس ــ الأرز ــ الشوربة ــ والعيش (الخبز) ــ الكعك ــ العَصيدة ــ القرقوشة ــ الرُقاق ــ العسل ــ الكباب ــ الرغيف ــ القرصة ــ المنينة ــ المساليق ــ الممبار المحشي ــ اليخني ــ الموز ــ الزبيب ــ السمك ــ القرع ــ القثاء ــ الدجاج ــ الأَوز .

وهذا ما يعرفه المعاصرون من أَسماء الطعام ما عدا : البطارخ ــ الزرباجة ــ السُويق ــ القرقوشة ــ وقد تكون لها أَسماء أُخر ، فالبطارِخ ــ مثلا ــ بيض السمك المملح ــ ولعل كلمة (الكافيار) تدل عليه في العصر الحاضر .

سادسا ــ الفواكه :

هي : الرمان ــ البرقوق ــ النارنج ــ الأُترنج ــ الليمون ــ الكَبَّاد ــ التين ــ العنب ــ البلح ــ الأجاص ــ التفاح ــ القراسية ــ

المشمش . وهذه أسماء معروفة إلا (الكَبَّاد) ــ الواحدة (كُبّادة) وهو نوع من الليمون الحامض طيب الرائحة ــ و (القراسية) وهو كالعنب الأسود .

سابعا ــ الحلوى :

هي : الأمشاط ــ المشبك ــ القطائف ــ الميمونة ــ البقلاوة ــ الجلاوة ــ لقيمات القاضي ــ الأصابع ــ الملبّس ــ الكُنافة .

سابعا ــ الشراب :

ذُكِرَ نوعان من المشروبات في كتاب الليالي ، فالأول المسكر مثل : الخمر ــ البُوظة ــ النبيذ ــ المُدام ، والثاني غير المسكر مثل : ماء الورد ــ اللبن ــ الخل ــ القهوة ــ الشربات ــ الجُلاّب .

تاسعا ــ الأدوات :

هي كثيرة عَبَّرت عن حاجة الإنسان في ذلك الوقت ، ومن أدوات المنزل : الصينيّ ــ الصينية ــ القِدْر ــ الكرسي ــ البَرْش ــ التخت ــ الباطية ــ القنينة ــ البتية ــ الخابية ــ المفتاح ــ الضَّبة ــ الدَّسْت ــ الطشت (الطست) ــ الكانون ــ الدَّن ــ البساط ــ الركْوَة ــ الزبدية ــ الزكيبة ــ الزلْعة ــ اللّقان ــ المقلاة ــ المقشة ــ السِّدْلة ــ المصطبة ــ السُّفرة ــ السُّلطانية ــ السِّماط ــ السِّيخ ــ الطاجِن ــ القنديل ــ المصباح ــ الشمعدان ــ الصُّرة ــ الطابونة ــ الكاس ــ الطاس ــ الطاسة ــ الطبلية ــ الطراحة ــ الطرحة ــ الإبريق ــ الصندوق ــ الفنجان ــ القداحة ــ القِرْبَة ــ القصرية ــ القَصْعَة ــ القُفَّة ــ القُلَّة ــ القُوارة ــ القُمْقُم ــ القدح ــ الطبق ــ الكارة ــ المخلاة ــ المرتبة ــ الناموسية ــ السرير ــ النطع ــ النمارِق ــ البساط ــ المخدة ــ المنديل ــ الهون (الهاون) ــ الكوز ــ الملعقة ــ

المائدة ــ السكين ــ المقص ــ التنور ــ القفص ــ الخِزانة ــ الدولاب ــ السَّلة ــ الجراب ــ الجرة ــ الخشخانة .

لا يزال معظم أسماء هذه الأدوات مستعملا إلا : البرش ــ الخابية ــ البتّية ــ الزكيبة ــ الزلعة ــ اللقان (الماعون الكبير من النحاس) ــ السّدلة ــ السلطانية ــ الطابونة ــ القصرية ــ القوّارة ــ القمقم ــ المخلاة ــ النطع ــ النمارق ــ الخشخانة ، ولعل كلها أو معظمها لا يزال متداولا بين الناس في بعض أنحاء الوطن العربي . أما الأدوات العامة فهي : الأُكرة (الكرة) الصولجان ــ الاصطرلاب ــ البندق ــ البندقية ــ البوتقة ــ البيكار ــ الجنزير ــ السلسلة ــ الجنك ــ السنطير ــ العود ــ الخرج ــ الخريطة ــ الخطاف ــ الدبوس ــ العكاز ــ الشاذروان ــ المسّجْة ــ السقالة ــ الشكال ــ الشنف ــ الشنكل ــ العقلة ــ القانون ــ القَرَبوس ــ القداحة ــ القِيّ ــ النبل ــ المساحي ــ القواديس ــ الكلاّب ــ الكلبتان ــ البوق ــ المِحَفَّة ــ التختروان ــ المطر ــ المقارع ــ المزراق ــ الصَّبْخ ــ المقطف ــ الشبكة ــ الملقف ــ المنقد ــ النَّرْد ــ المكحلة ــ النافجة ــ الهراوة ــ الترس ــ السيف ــ السنان ــ السوط ــ الدرع .

لا تزال أسماؤها مستعملة إلا : البندق ــ الجنزير ــ الجنك ــ الشنف ــ الشنكل ــ القربوس ــ المطر ــ البيكار .

عاشرا : المواد :

الجَزْع ــ الرصاص ــ الحديد ــ البولاء ــ النحاس ــ الورق ــ الشوم ــ الخشب ــ الجير ــ الزلط ــ الحجارة ــ الرمل ــ الطين ــ الحصى ــ الصّوان ــ التراب ــ الرخام ــ المرمر ــ السبج ــ الملح ــ الصوف ــ الحرير .

ولعل الاسمين : الشوم والسبج هما غير المستعملين الآن ، وهناك مواد أُخر هي : الديباج ـ القز ـ الودع ـ الكبريت ـ البلور ـ الخرز ـ العاج ـ البخور ـ الياقوت ـ الزبرجد ـ اللؤلؤ ـ المرجان ـ الكافور ـ الفيروز ـ الصَّنْدَل ـ القرطاس ـ الصَّبْر .

حادي عشر ـ المقاييس والمكاييل :

الإِردبّ ـ الوقية ـ الرطل ـ الويبة ـ القنطار ـ المشنة ـ الفرسخ . وهي ما لم يعد استعمالها في الوقت الحاضر بعد أَن استعملت المقاييس والمكاييل الأَجنبية كالكيلو والمتر ونحوهما .

ثاني عشر ـ العملة :

الدينار ـ ربع الدينار ـ نصف الدينار ـ الجدد ـ الدرهم ـ الدانق . ولم يبق منها الا الدينار والدرهم في بعض الأَقطار العربية .

ثالث عشر ـ الوظائف :

الخليفة ـ الملك ـ الملكة ـ السلطان ـ السلطانة ـ الأَمير ـ الوزير ـ الحاكم ـ القاضي ـ القنصل ـ مقدم الدرك ـ السلحدار ـ النقيب ـ العريف ـ شاهبندر ـ الشاويش ـ رئيس الشاوشية ـ الخازندار .

وهناك وظائف دينية ، هي : البطريق ـ القسّ ـ القيّم .

رابع عشر ـ المهن والأَعمال :

الإِسكافي ـ الإِسكافية ـ الجزَّار ـ الجزارة ـ المزين ـ الزّيانة ـ الحلوانيّ ـ البلاَّن ـ البلاَّنة ـ الطواشي ـ القصاب ـ الجواهرجي (الجوهري) ـ المعلم ـ الحاوي ـ الحرامي ـ الداية ـ الريس ـ الخولي ـ السقاء ـ الساعي ـ السايس ـ السَّقَطي ـ الصَّبّاغ ـ الحمال ـ الفرَّاش ـ الحمّار ـ الصياد ـ الصايغ ـ العكّام

ـ المكاري ـ الخباز ـ الغرابلي ـ المناخلي ـ الغفير ـ الفَعَلَة (العمال) ـ الفاكهانّي ـ القبطان ـ القرداتي ـ القَصَّار ـ القصارة ـ القهرمانة ـ القَوَّاس ـ الكفنانيّ ـ الفلاحة ـ التاجر ـ الماشطة ـ الخادم ـ الخادمة ـ الوصيفة ـ الوزيرة ـ الوقّاد ـ الحمامي (صاحب الحمام) ـ الفسخاني ـ الفوَّال ـ البقال ـ الزبال ـ اللَّبان ـ القوَّاد ـ اللص ـ الخياط ـ النحَّاس ـ الجَلاّب ـ الراعي ـ الملاح ـ البواب ـ البوابة ـ الصانع ـ الحطاب ـ الحداد ـ الخياط ـ العطار ـ البزاز ـ الصندلاني .

ولا تزال هذه المهن بأسمائها القديمة التي ذُكرت في كتاب (ألف ليلة وليلة) ما عدا : السَّقَطي ـ العكَّام ـ المكاري ـ القهرمانة ـ القوَّاس ، لغيابها في الوقت الحاضر ، وعدم الحاجة اليها ، ولعل للسقطيّ اسم آخر الآن .

خامس عشر : الأَماكن :

هي : دار الخلافة ـ الباب العالي ـ دار النيابة ـ المسجد ـ الجامع ـ القبة ـ الكنيسة ـ الصَّوْمَعة ـ الإِيوان ـ الديوان ـ الليوان ـ القصر ـ البيت ـ الدار ـ بيت الراحة ـ بيت الخلاء ـ بيت المطهرة ـ الخان الاسطبل ـ الفسقية ـ البُوظة ـ المَسْكَرة ـ القهوة ـ المقبرة ـ التربة ـ الجَّبانة ـ الدكان ـ الحوصلة ـ الخوخة ـ الدهليز ـ السراية ـ الشراريف ـ الصيوان ـ الطاقة ـ العريشة ـ الغُوطة ـ الغيط ـ الروضة ـ المرْج ـ السوق ـ القاعة ـ المقصرة ـ المقصورة ـ القنطرة ـ الحمام ـ الكَرار ـ الكَفْر ـ الحصن ـ الكيمان ـ المسلخ ـ المارستان ـ المِذْوَد ـ الحوض ـ المسْرح ـ المطمورة ـ المغطس ـ المكتب ـ الكتّاب ـ المنظرة ـ النجع ـ

المسبح ــ البستان ــ السرداب ــ البرج ــ الحُوش ــ السجن ــ الخيمة ــ القلعة ــ المصبغة .

لا تزال أسماء هذه الأماكن مستعملة ما عدا : البوظــة (اســم المكان) ــ الحوصلة ــ الكيمان ــ المارستان ــ المذود ــ المسكرة .

سادس عشر ــ الحيوانات :

هي : الغنم ــ الكلب ــ الحية ــ الحنــش ــ الثعبــان ــ الفــرس ــ الحصان ــ الجواد ــ البغل ــ الثور ــ الهايشة ــ الدرفيل ــ السَّقنقور ــ الجمل ــ السحلف ــ الغزالة ــ السَّمور ــ السّنجاب ــ السِّــنوْر ــ السمكة ــ الصِّيرة ــ الدب ــ القرد ــ السبع ــ الأرنب ــ الخروف ــ الجاموسة ــ الكركدن ــ الثعلب ــ القُنفُذ ــ الفيل ــ البقرة ــ النعام ــ الدندان .

واختفى من هذه الأسماء : الدرفيل ــ السقنقور ــ الصيرة .

سابع عشر ــ الطيور والدواجن :

هي : الأوز ــ الطير ــ الدجاجة ــ الديك ــ القُمري ــ الحمام ــ اليمام ــ البلبل ــ الباز ــ الدراج ــ العقاب ــ الوطواط (الخفــاش) ــ العصفور ــ الفرخ ــ النسر ــ الصقر ــ الهزار ــ الشحرور .

ثامن عشر ــ النباتات :

هي : الأفيون ــ الحشيش ــ البنج ــ الحبَّهان ــ القرفة ــ القرنفــل ــ البنفسج ــ المنثور ــ الخروب ــ المشموم ــ العطريات ــ السمســم ــ الفول ــ الحنطة ــ الشعير ــ الذُرَة ــ الأرز ــ القمح ــ القراســية ــ القلقاس ــ البصل ــ الآبنوس ــ الخلنج ــ القرع ــ الهندبان (الهندباء) ــ العدس ــ اللوز ــ الحلفة ــ الآس ــ الخزامى ــ شقائق النعمــان ــ الأُقحوان ــ النرجس ــ الياسمين ــ البنفسج ــ الزعفران ــ النخلــة ــ

التوت ـ الموز ـ الجوز ـ الزعتر . وليس في هذه الأسماء من الغريب إلا : القراسية ـ القلقاس .

تاسع عشر ـ وسائل النقل :

هي : المركب ـ الفُلْك ـ الزَّوْرق ـ السفينة ـ الغليون ، وهذه من وسائل النقل البحري والنهري ، أما الوسائل الأُخرى فهي : الحمير ـ الجمال ـ الخيل ـ البغال .

(٤)

تلك هي ألفاظ الحضارة التي وَرَدَت في كتاب (ألف ليلة وليلة) فضلا عن ألفاظ السَّرْد والشرح والوصف مما هو معلوم لا يخص مرحلة من مراحل التأليف . وهذه الأَلفاظ لم تَشُبْها العجمة إلا قليلا ، وهي عجمة تَسَرَّبت مما كان مستعملا في العهد المملوكي والعهد العثماني . وقد حفظ الكتاب هذه الأَلفاظ التي لم يَحْوِها المعجم العربي القديم ، لأَنها حدثت متأخرة ، أَو تغيرت دلالتها ، شأن أيّ لغة من اللغات تتغير فيها الدلالات . وقد أَوضح المستشرق الهولندي رينهارت بيترآن دُوزي المتوفى سنة (١٣٠٠هـ ـ ١٨٨٣م) بعض تلك الدلالات في (تكملة المعاجم العربية) مستندا الى نسخ كتاب (أَلف ليلة وليلة) المطبوعة وهي :

١. طبعة ماكناتن ـ كلكتة ١٨٣٩م .
٢. طبعة برسلاو ـ ١٨٥٢م ، وتتمة فليشر .
٣. طبعة بولاق ١٢٥١هـ ـ ١٨٣٥م .
٤. ترجمة لين الانكليزية للكتاب ١٨٤١هـ .

وفي هذه الطبعات بعض الاختلافات التي أشار اليها دوزي ، وفي ضوء ذلك فسَّر الألفاظ التي تحولّت الى دلالات جديدة ، ومن ذلك :

١. ((يا معروف قُمْ واستَخفِ ، فإنَّ زوجتك اشتكتك الى الباب العالي ونازل عليك أبو طبَق)) . وأبو طبَق : الشرطي الذي يقبض على الجاني بأمر القاضي ، وقد سمي بذلك لانه يطبق عليه بعنف . (٧٣/١) . والانطباق بخلاف الانفتاح ، يقال : ((انطبق الشيء صار مُطْبَقا ، أي بخلاف منفتح ومنبسط .

٢. ((أهَّل الطعام)) أي : هَيَّأ (٢٠٦/١) وأصل (أهَّلَ) رآه أهْلا له ، ومستحقه .

٣. ((وأطلعتْ من جيبها بَرْقةً صغيرة من الصُفْر مثل الدينار)) (٢٩٩/١) وسميت (بَرْقة) لأنها تبرق أي تلمع فيظنها الانسان من الذهب .

٤. ((الخل البكر)) أي : الحاذِق (٤٠٨/١) سُمِّيَ بذلك لان أول شيء يكون قويا ، وأنّ أول فِعْلة لم يتقدمها مثلها من حيث الدقة والجدة ، وكأَنَّ هذا الخل أول مولود أو فعل لم يكن مثله ، او شيء يشبهه .

٥. أُطلِقَتْ كلمُة (الجمعة) على مآتم الأموات يوم الجمعة (٢٧٦/٢) .

٦. تدل كلمة (الاحتباك) على الطرق التي تسير فيها الكواكب ، قال تعالى : ((والسَّماءِ ذاتِ الحُبُكِ)) (الذاريات ٧) ، وفي الليالي : ((احتبكت النجوم)) أي : اختلطت واشتبكت وتلألأت . (٥٢/٣).

٧. ((ضَرَبَ الأكرةَ بالصولجان ، وحَرَّرها على وَجْه الخليفة)) و ((حَرَّر المِدْفَعَ على القلعة)) أي : سَدَّد وأطلق (١٣٠/٣) والتحرير هو الإطلاق .

٨.((وأنا أَحفظها لك عندي في حواصِلي)) ، ((وأَمر غلمانه بنقل ذلك الخشب الى حَواصِله)) أي : المخازِن تشبها بحوصلة الطيور والدواجن التي هي مكان خزن الغذاء عندها . (٣/٢٢٠) .

٩.((الذي يخرج من يدك أَفعله)) أَي : إِن استطعت ذلك فافعل . (٤/٤٣) .

١٠. ((وخليتُ ما عندي من المال ، وكل ما كان عندي من البضائع)) أَي : بعتُ ما عندي من الأَملاك وكل ما عندي من البضائع . (٤/١٩٢) .

١١. ((أَراق الماء)) أَي : بال (٥/٢٥٣) .

١٢. ((انساب على روحه)) أي : بال في لباسه (٦/٣٠٢) .

١٣. ((تَصَفَّى دمُه)) أي : فَقَدَ كلَّ دمه (٦/٤٥٦) .

١٤. استعمل الفعل (ضرب) بمعنى أَطلق ، رمى (٦/٥٠٤) .

١٥. ((طَفح الهمُّ على قلبها فماتت)) أي أَضناها الهم (٧/٥٧) .

١٦. ((أَحظر طاقية وحملها فيها الى منزله)) أي : أحضر محفة (٧/٩٦) .

١٧. ((عَمَّر القناديلَ)) أي : ملأَها زَيْتا . (٧/٣٠٥) .

١٨. ((إِنْ لم تفعل غمزت عليك نائبَ دمشق)) أَي : وشيت بك ، و ((فلما رآها غانم بن أَيوب عَرَفَ أَنهم تغامزوا عليها)) أَي تآمروا (٧/٤٣٤) .

١٩. ((هامت بالافتضاح به)) أَي : أَرادت أَنْ تهبَ نفسها له ، وتمنحه إِياها . (٨/٨٤) .

٢٠. ((قام على فلان)) أَي : استعجله واستحثه ليحمله على شيء (٨/٤١٧) .

٢١. ((شامة على كرسي خده)) أَي : على وَسَط خده (٦٣/٩) .
٢٢. ((التجم عن الكلام)) أَي : سكت وانقطع (٢١٣/٩) .
٢٣. ((كل مَنْ أَخذ البدلة تكون له ، فلعب عليها سائر العياق فلم يقدروا أنْ يأخذوها)) ومعنى (لعبوا) قاموا بالطواف مرات ليمسكوا بها . (٢٤٤/٩) .
٢٤. ((وإذا بذلك الأَسود قد أَتى ومعه اثنان أَشدُّ وأَمرُّ منه)) أي : أَقوى منه . (٧ /٣٤) .
٢٥. استعمل الفعل (نتر) بمعنى لحال المسبَّات (١٦٩/١٠) .
٢٦. ((ويبقى بين الملوك بالمعيرة والنقصان)) أي : الانتقاص (٢٩٣/١٠) .
٢٧. ((الإرث نابني معكم ، وقد جعل اللهُ فيه البركة)) أَي : الذي اسْتَحقَّهُ وآلَ اليه . (٢٢٥/١٠) .
٢٨. ((وهو يُوَشيها بالحديث)) أَي : يُلْهيها ويُسلِّيها (١٤٩/١١) .

هذا بعض ما تغيرت فيه الدلالة وهو عربي سليم ، وقد أَحسن دوزِي صُنْعا حينما اهتم بدلالة الأَلفاظ التي وردت في كتاب (ألف ليلة وليلة) الذي كان من مصادر معجمه (تكملة المعاجم العربية) وقد بلغ عدد المواد اللغوية التي استقاها من كتاب الليالي (٦٢٧) مادة ، موزعة على الأَجزاء :

١ ـ ٨٠ ، ٢ ـ ٣٧ ، ٣ ـ ٨٠ ، ٤ ـ ٧٤ ، ٥ ـ ٤٠ ، ٦ ـ ٨٠ ، ٧ ـ ٨١ ، ٨ ـ ٤٦ ، ٩ ـ ٤٥ ، ١٠ ـ ٣٢ ، ١١ ـ ٣٢ .

وفي المعجم إِشارات الى أَصل بعض الكلمات الأَجنبية التي جاءت في (ألف ليلة وليلة) ، وهي :

١. الإِسقالة : ويُقال أيضا : سقالة وإِصقالة وإِسكلة (مستعملة في العراق) ، جمعها (أساكل) وهي السلم المتحرك . (اسبانية) ـ (١/١٣٥) .
٢. الأَغا : السيد ، الرئيس (تركية) ـ (١/١٥٥) .
٣. أَقما : شراب فيه خل وَعَسل . (يونانية) ـ (١/١٦٣) .
٤. البطارِخ : بيض سمك مملح (ايطالية وبروفانسية) ـ (١/٣٦٧) .
٥. الجنزير : السلسلة ، وفي الفارسية (زنجير) ـ (٢/٣١١) .
٦. اختيار : شيخ (تركية) ـ (٤/٢٥٤) .
٧. الدسترة : منشار يدوي . (فارسية) ـ (٤/٣٥٢) .
٨. الساس : مشاقة الكتان . (قبطية) ـ ٦/١٨٦) .
٩. الغليون : سفينة شراعية (اسبانية وايطالية) ـ ٧/٤٣١) .
١٠. القبطان : رُبان المركب (رومانية) ـ (٨/١٧١) .
١١. الناخذاه : رُبان المركب (فارسية) ـ (١٠/١٨٣) .
١٢. الوطاق : مجموعة خيم ، معسكر (تركية) ـ ١١/١٦٨) .

يبدو من هذه الأَمثلة القليلة أَنَّ العهد الذي أُلِّفَ فيه كتاب (ألف ليلة وليلة) دخلت فيه لغات عدة كالأسبانية ، والبروفانسية ، واليونانية ، والرومانية ، والقبطية ، والفارسية ، والتركية ، وقد جاء هذا التسرب الى اللغة العربية في عهد الحروب الصليبية فيما يخص اللغات الأوربية ، ومن امتزاج الفرس والأتراك بالعرب فيما يخص اللغتين الفارسية والتركية ، وهما لغتا شعبين مسلمين .

هذا قليل من كثير اقتبسه دوزي من كتاب الليالي ، وبقي كثير مما جاء فيه من أَلفاظ عامة وحضارية حتى هذه الأَيام ، سواء أكان في الكتابة أَم التحدث ولاسيما في مصر موطن الكتاب .

وامتد هذا اللون من الأَلفاظ الى كتب التراث الشعبي ، والى كتب التأريخ ، فعبد الرحمن الجبرتي المتوفَى سنة (١٢٤١هـ ـ ١٢٨٥م) ضَمَّنَ كتابه (عجائب الآثار في التراجم والأَخبار) كثيرا من مثل تلك الالفاظ . ومنها : النوبة ـ العربان ـ الأجلاب ـ دفتردار ـ الدفتردارية ـ سردار ـ باش جاووش ـ أَغا ـ أَفندي ـ الحلوان ـ الميري ـ الفرمان ـ النيلة ـ الحوش ـ الكُنافة ـ الفاكهاني ـ الصواني ـ الجراية ـ الفراش ـ الدرابزين ، ونحوها من الأَلفاظ التي تزخر بها مجلدات الكتاب الذي يعد أَعظم كتب تأريخ مصر في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد .

(٥)

أَمّا أُسلوب كتاب (أَلف ليلة وليلة) فهو أُسلوب عربي يتسم بالسلاسة وسهولة التعبير ، ويكاد يكون قريبا مما يكتب الآن وينشر في وسائل الإِعلام ، إِذ أَنَّ مؤلفه كان يُعنى بإِيصال الفكرة والصورة بأسهل أُسلوب وأَوضحه ، غير مهتم كثيرا بالصنعة والتصنع ، وغير مُنْساق الى أَساليب الذين اهتموا بأنواع البديع ، ولاسيما السجع الذي كان من أَوضح سمات الكتابة في العهود المتأخرة . ولا يعني هذا أَنَّ الكتاب خلا من السجع إِذ كان المؤلف يلجأ اليه حين يصف ، ومن ذلك :

((قالت : وَيلي عند إِنزالي في القبور يا مَنْ يعلم ما في الصدور ويجازي يوم البعث والنشور ، مَنْ جاء بي من بين الستور والخدور ، ووضعني بين أَربعة قبور)) (ل ٥٥) .

ومن ذلك : ((من المسكينة العاشقة الحزينة المفارقة ، التي ضاع بحبك شبابُها ، وطال فيك عذابُها)) (ل٢٥١) .

ومنه في وصف الفتاة : ((لها فم كأنه خاتمُ سليمان ، وشعر أسودُ من ليل الصدود على الكئيب الولهان ، وغرة كهلال رمضان ، وعيون تحاكي عيون الغزلان ، وانف أقنى كثير اللمعان ، وخدان كأنهما شقائق النعمان ، وشفتان كأنهما مَرْجان ، وأسنان كأنها لؤلؤ منظوم في قلائد العقيان ، وعنق كسبيكة فضة فوق قامة كغصن البان)) (ل ٧٥١) .

ولا يخرج وَصْفُ النساء في الليالي عن هذه الأوصاف ، وهي الأوصاف التي ذكرها الشعر العربي ورسائل الحب منذ القديم .

ومنه وصف بستان : ((فدخلوا البستان فإذا هو بستانٌ بابه مُقَنْطَرٌ ، عليه كروم ، وأعنابُه مختلفة الألوان ، الأحمر كأَنَّه ياقوت ، والأسود كأَنَّه آبنوس ، فدخلوا تحت عريشة فوجدوا فيها الثمار صِنوانا وغير صِنْوان ، والأطيار تغرد بألحان على الأغصان ، والهزار يترنم ، والقُمريّ يملأُ صوتُه المكان ، والشحرور كأَنَّه في تغريده إِنسان ، فاكهة زوجان ، والمشمش ما بين كافوري ولوزي ومشمش خراسان ، والبرقوق كأنه لون الحسان ، والقراسية تذهل عقل كل إنسان ، والتين ما بين أحمر وأبيض وأخضر من أحسن الألوان ، والزهر كأَنَّه اللؤلؤ والمرجان ، والورد يفضح بحمرته خدودَ الحسان ، والبنفسج كأنه الكبريت دنا من النيران ، والآس والمنثور ، والخزامى مع شقائق النعمان ، وتكلمت تلك الاوراق بمدامع الغمام ، وضحك ثغر الأقحوان ، وصار النرجس ناظرا الى الورد بعيون السُّودان ، والأُترج كأنه أكواب ، والليمون كبنادق من ذهب ، وفرشت الأَرض بالزهر من سائر الألوان ، وأقبل الربيعُ فأشرق ببهجته المكان ، والنهر في خرير ،

والطير في هَدير ، والريح في صفير ، والزمان في اعتدال ، والنسيم في اعتلال)) (ل ٤٨) .

لقد جمع المؤلف في هذه اللوحة الوصفية كثيرا من الصور والتشبيهات ، وشَخَّصَ الأزهار ، فالأوراق تتكلم ، والأُقحوان يضحك ، والنرجس ينظر ، والربيع يُقبل ، والمكان يُشرق ، وهذه كلها صور تشخيصية ، فكأَنَّ الأزهار والربيع والمكان بشر يتكلمون ويضحكون وينظرون .

وازيَّن كتاب (ألف ليلة وليلة) بالآيات الكريمة ، والأحاديث الشريفة ، والأَمثال ، والأشعار مما أكسبه روحا عربية وَسِمَةً أَدبية ، وأُسلوبا واضح الملامح ، لا يكاد يكد ذهن المتلقي على الرغم مما جاء فيه من دلالات جديدة أَوضح بعضها دوزي، ويفهم بعضها من السياق .

(٦)

لقد قيل إنَّ كتاب (ألف ليلة وليلة) مُتَرْجَمٌ عن كتاب (هزار أفسان) ، وإِنَّ أَلفاظه عامية ، وأُسلوبه ركيك ، وقد يكون ما ترجم غير هذا ، وقد يكون ما فيه من بعض الضعف ما أَصاب مخطوطاته وطبعاته من تحريف وتغيير ، وحذف وإضافة ، وهو على الرغم من هذا عربيّ اللغة والأُسلوب ، إذ أَنَّ معظم أَلفاظه احتفظت بمعانيها الأَصلية ، وأَنَّ بعضها تغيرت دلالتها ، وان بعضها القليل تَسَرَّبَ مما كان شائعا من أَلفاظ الفرنجة والفرس والأَتراك .

إِنَّ قراءة الكتاب بدقة وإِمعان تُظهر ذلك ، ويبين أَن مؤلفه متضلع من العربية ، عارف أَلفاظها وعلومها ، ذا ذوق رفيع يمثل ذوق عهده أَحسن تمثيل .

إنَّ وحدة اللغة، واستعمال الألفاظ في عدة ليال بمعناها الحقيقي، المجازي أو الدلالي ، وإن انسياب الأسلوب بصورة واحدة ، والربط بين الليالي ، والانتقال من قصة الى أخرى انتقالا لا عوج فيه ، كل ذلك يؤيد أنَّ كتاب (ألف ليلة وليلة) عربيّ ، وأن مؤلفه واحد ، استطاع أنْ يُلمَّ ما قرأ أو ما سمع ويصوغه بأسلوب واحد ، وأنْ يملأ الفراغ من عنده بما أُوتي من تصور وقوة خيال . فضلا عن أنَّ ما جاء في الكتاب من آيات قرآنية ، وأَحاديث نبوية ، وأَمثال ، وأَشعار يُؤيد عروبته ، ويؤكد أَنَّ مؤلفه واحد عَرَفَ كيف يوظف الآيات ، والأَحاديث ، والأَمثال ، والأَشعار ، ويأتي بما يزيدها وضوحا .

ومهما يكن من أَمر ، فإنَّ الكتاب أَروع كتاب قصصي خلفته القرون العربية الأَخيرة ، وهو كما قال الدكتور طه حسين : ((هذا الكتاب الذي خلب عقول الأَجيال في الشرق والغرب قرونا طوالا ، والذي نظر الشرق اليه على أَنه متعة ولهو وتسلية ، ونظر الغرب اليه على أَنه كذلك متعة ولهو وتسلية ، ولكن على انه بعد ذلك خليق أَنْ يكون موضوعا صالحا للبحث المنتج ، والدرس الخصب)) .

أَجَلْ ، إنَّ كتاب (أَلف ليلة وليلة) ((خليق أَنْ يكون موضوعا صالحا للبحث المنتج ، والدرس الخصب)) وقد درسه الباحثون من العرب والأَجانب دراسات مستفيضة تطرقت الى أُصوله ، ومؤلفه ، وزمان تأليفه ، ومكانه ، وما تضمَّن من قضايا دينية ، واجتماعية وخلقية ، وسياسية ، وما فيه عن المرأة أَمة وحرة ، وقورن ببعض الأَعمال الأَجنبية والعربية ، ودُرِسَ بعضُهُ دراسة سيمائية تفكيكية ، وبقيت لغته التي لم تدرس دراسة معمقة على الرغم من الإشارة الى ذلك ورسم بعض ملامحها ، ومن ذلك ما قالته أُستاذتي الدكتورة سهير

القلماوي ــ رحمها الله ــ : ((أمَّا اللغة في الليالي فقد تأثرت بالإسلام تأثرا قويا ، فكثرت ألفاظٌ ، ومصطلحاتٌ ، وتعبيراتٌ تختص بالإسلام ، لا تكاد صفحة من الكتاب تخلو منها)) . وهذه أوّل إشارة من باحثة عربية الى لغة الكتاب ، وهي تحتاج الى تفصيل ، ودراسة الجوانب اللغوية المختلفة أكثر مما سعى اليه بحث ((لغة ألف ليلة وليلة)) الذي اتضح فيه :

أولا : أنَّ لغة الكتاب عربية سليمة الى حد بعيد .

ثانيا : أنَّ معظم ألفاظه احتفظ بمعانيها الأصلية ، وانْزاحَ بعضها ليدل على غير ما وضعت له .

ثالثا : أنَّ بعض الألفاظ الأَعجمية تَسَرَّبَتْ الى لغة الكتاب .

رابعا : أنَّ أُسلوب الكتاب عربيّ فيه مسحة جمالية وفنية .

خامسا : أَنَّ أُسلوب الكتاب يمثل الوسط بين الأَساليب العربية ، فلا هو كأساليب عبد الحميد الكاتب ، وابن المقفع ، والجاحظ ، والتوحيدي ، ولا هو كاسلوب القاضي الفاضل ، ومن تبعه من كُتّاب الرسائل ، ومؤلفي الكتب في العهود المتأخرة .

لقد تَعَرَّضَ هذا البحث لهذه المسائل بإيجاز ، ويبقى كتاب الليالي مجالا لدراسة لغته بتفصيل ، وعقد مقارنة بين لغته ، ولغة المؤلفات التي ظهرت في زمانه ، من حيث الألفاظ ، وتحديد الخاص منها بكل إقليم ، وما بينها من اختلاف في الدلالة ، ورصد الإسلامي والأعجمي منها ، ودراسة الأساليب لتظهر طوابع ذلك العهد اللغوية والأُسلوبية .

إنَّ مثل هذه الدراسة تُلْقي الضوءَ على حلْقَة من حلَقات تأريخ لغة الضاد التي قد تكون غير مدروسة ، او أنَّها مُسَّت مَسّا رقيقا .

ومثل هذه الدراسة تستغرق وقتا ، وتستهلك جهدا ، لأنها جديدة أوّلا ، ومتشعبة ثانيا . ولعل أهم ما تحتاج اليه هذه الدراسة :

أولا : اعتماد أدَقّ طبعة من كتاب (ألف ليلة وليلة) ، وقراءتها اكثر من مرة ، وتسجيل الملاحظات التي تدخل في صلب الدراسة .

ثانيا : متابعة الاختلافات في طبعات الكتاب ، إذْ قد تُذكر كلمة في طبْعة ، وتُذكر غيرها في طبعة أُخرى ، ولذلك اعتمد دوزي عدة طبعات ، وهو يفسر معاني ألفاظها .

ثالثا : قراءة أهم كتب العهد الذي يُظن أنّ الكتاب وُضِعَ فيه ، وتسجيل ما يُعزّز الصلة بينه وبينها .

رابعا : متابعة الألفاظ التي تغيرت دلالتها ، ومدى صلتها بالفصيح .

خامسا : الاستعانة بمن يعرفون لغات أجنبية لتفسير الألفاظ الأعجمية التي وردت في الكتاب وتحديد دلالاتها .

قد تستغرق هذه الدراسة زمنا طويلا ، والعمل الجاد جدير بالزمن الذي يُستغرق لانجازه ، فقد قضى دوزي أربعين عاما في جمع مادة (تكملة المعاجم العربية) وتصنيفه ، وإنه لجدير بالعرب أنْ يصرفوا الوقت ، ويبذلوا الجهد ليخدموا لغتهم التي نزل بها كتاب الله العزيز ، ولينتفع اللغويون والباحثون ، وهم يضعون المعاجم الجديدة ، ويصنفون المصطلحات العلمية والألفاظ الحضارية .

موقف الاسلام من ظاهرة الاحتكار

الاستاذ الدكتور
حمدان عبد المجيد الكبيسي
كلية الاداب / جامعة بغداد

الملخص :

ممارسة الاحتكار ، في أي شكل من أشكاله ، فيه ضرر كبير لعامة الناس ، لا سيما ذوي الدخل المحدود . وقد تناول الاسلام ظاهرة الاحتكار التي مارسها عدد من التجار والباعة وحدد معالمها ، وبين عواقبها الجسيمة ، ولعن المحتكرين ، وسد منافذ الحصول على الثروات بطرق غير مشروعة بتحريم الربا والغش والتدليس واغلاء الاسعار . لذا انبرى العلماء والفقهاء والمسؤولون في الدولة لوضع السبل الوقائية والعلاجية الكفيلة للحد من آثارها السيئة على الفرد والمجتمع .

يتناول هذا البحث موضوع الاحتكار من الجوانب التاريخية دون الولوج كثيراً في الجوانب الفقهية ، الا بقدر ما يفيدنا في توضيح هدفنا الاساس الذي نرمي اليه ، وهو تبيان المؤثرات الاقتصادية والاجتماعية على الفرد بشكل خاص وعلى السوق الاسلامية عامة . وهذا الامر سوف يقودنا الى عرض نماذج من اراء الفقهاء في هذه الظاهرة التي كان يمارسها بعض الباعة على الرغم من انهم يعلمون يقيناً موقف الشرع من فعلتهم الخاطئة هذه ، التي يرمون من ورائها تحقيق مكاسب مادية زائلة ، متناسين مدى اضرارهم بالناس .

المبحث الاول : النهي عن الاحتكار

الاحتكار لغةً واصطلاحاً :

نعني بالاحتكار ان ينفرد شخص ، أو عدد قليل من الاشخاص بشراء سلعة وحبسها . أي عدم عرضها في الاسواق ، أملاً في ارتفاع سعرها . قال صاحب (قاموس المحيط) : الاحتكار ماخوذ من الحكر ، وهو الظلم ، وسوء المعاشرة[1] ، الذي يؤدي الى الضيق والعسر[2] . وان احتكار مواد الطعام تعني حبسها عن الناس آملاً في ارتفاع سعرها .[3]

اما مصطلح الاحتكار فيعني الاقدام على شراء مواد الطعام بكمية اكثر من حاجة الاستهلاك الشخصي ، وحبس هذه المواد ، وعدم عرضها في الاسواق بغية حصول شحة حقيقية في المعروض منها كي يرتفع ثمنها ارتفاعاً فاحشاً ، عندئذ يحقق المحتكر أرباحاً طائلة من عملية احتكاره هذه . وهو غير ادخار القوت الذي يقصد به الاستهلاك الخاص فقط .[4]

النهي عن الاحتكار :

حرم الاسلام الاحتكار ، والمضاربة في مواد الطعام ، ومع ذلك وجد نفر قليل من التجار ممن تجاهل هذا التحريم وأخذ يعمل على

---

(1) الفيروز ابادي ، قاموس المحيط ، ج٢ ، ص١٢ .

(2) الزمخشري ، أساس البلاغة ، ص٩١ .

(3) الفيروز ابادي ، قاموس المحيط ، ج٢ ، ص١٣ .

(4) ينظر الكاساني ، بدائع الصنائع ، ج٥ ، ص٢٩ .
الغزالي ، احياء علوم الدين ، ج٢ ، ص٧٣ .
ابن قدامة ، المغني ، ج٤ ، ٢٨٣ .

شراء مواد الطعام واحتكارها[٥] ، لاسيما في الازمات السياسية والاقتصادية ، آملين أن يحققوا من وراء ذلك أرباحاً عالية ، على الرغم من تواتر الاحاديث النبوية الشريفة التي تنهي عن ذلك .

وكان الرسول (ﷺ) قد نهى عن الاحتكار لما فيه من الجشع والطمع وسوء الخلق والتضييق على الناس في حاجاتهم الاساسية . ففي هذا الشأن روى عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما)، أنّ رسول الله (ﷺ) قال : ((من احتكر طعاماً أربعين يوماً يريد به الغلاء ، فقد برئ من الله ، وبرئ الله منه[٦] . وقيل فكأنها قتل الناس جميعاً[٧] . وقال معقل بن يسار سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : ((من دخل في شيء من اسعار المسلمين ليغليه عليهم ، كان حقاً على الله ان يقذفه في معظم من النار ، رأسه واسفله))[٨] وروى احمد والحكم وابن ابي شيبه والبزاز ان النبي(ﷺ) قال : ((ومن احتكر الطعام اربعين يوما ثم تصدق به لم تكن صدقته كفارة لاحتكاره))[٩] . وروى ان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى طعاماً محتكراً فانكر على محتكريه عملهم هذا وقال : ((سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : من احتكر على

---

[٥] الدمشقي : الاشارة الى محاسن التجارة ، ص٧٠ . ابن خلدون ، المقدمة ، ص٣٩٧ .

[٦] الغزالي ، احياء علوم الدين ، ج٢ ، ص٧٢ . ابن الاخوة ، معالم القرية في احكام الحسبة ص١٢١ .

[٧] الغزالي : احياء علوم الدين ، ج٢ ، ص٧٢ .

[٨] ابن قدامة ، المغني ، ج٤ ، ص٢٨٣ . البيهقي ، سنن ، ج٦ ، ص٣٠ . سابق ، فقه ، ج٣ ، ص١٦٢ .

[٩] الغزالي ، احياء علوم الدين ، ج٢ ، ص٧٢ .

المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والافلاس ...)) .[10]

وفي رواية فضل ترك الاحتكار قول الرسول (ﷺ) : ((من جلب طعاماً فباعه بسعر يومه فكأنما تصدق به . وفي لفظ آخر : ((فكانما اعتق رقبة))[11] وعن الامام علي (رضي الله عنه) : ((من احتكر الطعام اربعين يوماً قسا قلبه))[12]. وعنه كرم الله وجهه ، انه أحرق طعاماً محتكراً بالنار[13]. وحذر الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أصحاب رؤوس الاموال الكبيرة من مغبة نزولهم الى الاسواق وعقد الصفقات التجارية التي تتيح لهم احتكار السلع ، فقال : ((لا حكرة في سوقنا . لا يعمد رجال بايديهم فضول مال من ذهب الى رزق من ارزاق الله ينزل بساحتنا فيحتكرونه علينا))[14] . وفي الوقت نفسه أجاز الخليفة عمر (رضي الله عنه) للذين يجلبون السلع الى الاسواق بان يبيعوا سلعهم ((كيف شاء الله ، وليمسك كيف شاء الله)) .[15]

ومن خلال استعراضنا لهذه الاحاديث النبوية الشريفة والشواهد التاريخية ، نتلمس مضمون التحريم فيها بشكل صريح وواضح . فالمفردات : البراءة ، واللعن ، والعذاب ، والنار ، امور من شأنها توجه لمن تاجر بالامور المحرمة شرعاً . فمنع بيع الطعام خاصة ، ابطال حق عامة الناس وتضييق الامر عليهم والاضرار بهم . ومن هنا

---

[10] ابن ماجة ، سنن ، ج٢ ، ص٧٢٨ . المغني ، ج٤ ، ص٢٨٣ .

[11] الغزالي ، احياء علوم الدين ، ج٢ ، ص٧٣ .

[12] ابن الاخوة ، معالم القرية ، ص١٢١ .

[13] ابن الاخوة ، معالم القرية ، ص١٢١ .

[14] ن . م ، ص١٢٢ .

[15] ن . م .

يتأكد التحريم . فلا غرو ان نجد المسؤولين في صدر الدولة الاسلامية يشددون على هذا الامر ايما تشديد .

الحالات التي يمنع فيها الاحتكار :

تلافياً لحصول حالات احتكار أو شحة في السلع التي يحتاجها الناس في قوتهم ، يرى الفقهاء ان حق المسؤولين في الدولة ان ينهضوا لمنع من يحاول أن يشترى سلعة في وقت غلاء السوق اكثر من حاجة قوته ، لا سيما في حالة ضرورة وضيق الناس اليها . اما في حالة كثرة السلع المعروضة في الاسواق بحيث يصبح فيها فائض عن الطلب الحقيقي ، فقد أجاز جمهور الفقهاء السماح للتجار وغيرهم شراء السلع ، ومنها مواد الطعام ، في وقت لا توجد ضرورة للناس فيها . بينما قال الفقيه (مالك) انه يحق للمسؤولين منع احتكار الطعام في كل الحالات لان المنع منت الاحتكار ورد جملة من غير تفصيل أو تمييز ، لقوله (ﷺ) ((لا يحتكر الا خاطئ))[١٦] . بينما راى فقهاء آخرون ان تقتصر عملية المنع على احتكار الحنطة والشعير فقط[١٧] . وهنا يتضح من اراء الفقهاء ان الاحتكار لابد ان يكون مضراً بعامة الناس ، لاسيما الفقراء منهم . وان علة منع الاحتكار متأتية من النتيجة التي تؤدي اليها هذه الظاهرة ، وهي ارتفاع اسعار المواد المُحتكرة .

فعندئذ يبلغ الفقراء من امرهم عسراً . اما غير الطعام فلم يجز بعض الفقهاء منع الاحتكار الا وقت حصول ضرورة حقيقية ماسة[١٨] .

---

(١٦) ابن ماجة ، سنن ، ج٢ ، ص٧٢٨ . ابن عبد الرؤوف ، في اداب الحسبة والمحتسب ، ص١٠٩ .

(١٧) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ج٢ ، ص٧٣ .

(١٨) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ج٢ ، ص٧٣ .

وقال فريق ثالث من الفقهاء بعدم منع التجار من شراء السلع منـــهامواد الطعام في وقت لا توجد للناس ضرورة فيها[١٩] . الا انـــهم اشـــترطوا على التاجران لا يحبس السلعة مدة طويلة ، لان قيامه بمثل ذلك يعد من قبيل الاحتكار المحرم . أما إذا قصرت مدة حبس السلعة فلا يُعد ذلـــك احتكاراً لعدم حصول الضرر.[٢٠]

والزم الحنابلة المسؤولين بضرورة ان ينهضوا لمنع المشـــترى من محاولة شراء السلع ولاسيما عندما يتأكد لديهم ان عملية الشراء هذه سوف تؤدي الى ضيق الناس . وعليهم ان يمنعوا ذوي القدرة واليســار من شراء السلع القادمة الى البلد الذي يتصف بكونه غير منتج لمـــواد الطعام ، وانه يعتمد في سد حاجات الناس في السلع على ما يرده مـــن البلدان الاخرى[٢١] . في حين قـــال فقـــهاء الزيديـــة ، انـــه لا يحـــق للمسؤولين وضع قيود على عمليات البيع والشراء ، او يمنعوا النـــاس من شراء السلع الا في حالة تأكدهم من أنّ المشتري إنما يشتري طعاماً فائضاً عن كفايته وكفاية من يعيله لمدة سنة ، أو أنـــهم شـــعروا بـــأن المشتري أنما اقدم على الشراء متربصاً بالغلاء ، مع وجود حاجة الناس الى السلعة التي اقدم على شرائها . وفي مثل هذه الحالات عندئذ تـبرز مضرة الناس ، وحينئذ تصبح عملية الشراء مكروهة غير محرمة[٢٢] . وذكر آخرون ان الاحتكار المنهي عنه مقتصر على الحنطة والشـــعير والتمر والزبيب والسمن . ولا يكون الاحتكار في شـــيء ســـوى هـــذه

---

[١٩] التلمساني ، تحفة الناظر ، ص١٢٨ .

[٢٠] المرغيناني ، الهداية ، ج٨ ، ص١٢٦ .

[٢١] ابن قدامة ، المغني ، ج٤ ، ص٢٨٣ .

[٢٢] الغزالي ، احياء علوم الدين ، ج٢ ، ص٧٣ .

الاجناس . ولاصحابها ان يبيعوها بما يشاؤون وفي أي وقت شاؤوا .[٢٣] وليس من حق الدولة ان تحملهم على شيء فيها . في حين أضاف (الغزالي) ما هو معين على الاقوات كاللحم والفواكه وما يسدُّ مسداً ويغني عن القوت في بعض الاحوال وان كان لا يمكن المداومة عليه[٢٤] .

واقترب من هذا المعنى قول (الظاهرية) الذي حرموا عملية الاحتكار في حالة حصول ضرر بالناس ، واجازوا الاحتكار في وقت الرخاء ، لان المحتكر في هذه الحال لايعد آثما[٢٥] . وقال زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب (رضي الله عنهما) : لا احتكار الا في الحنطة والشعير ، وقيل التمر[٢٦] . واقتصر فقهاء اخرون على سبعة أنواع من مواد الطعام التي لا يجوز احتكارها ، هي الحنطة والشعير ، والتمر ، والزبيب ، والزيت ، والسمن ، والملح [٢٧] .

ومن خلال استعراضنا لاراء الفقهاء ، يتضح لنا أنَ قسماً منهم قال بتحريم الاحتكار في جميع السلع دون استثناء ، لان جل الاحاديث النبوية الشريفة التي تناولت الاحتكار وردت مطلقة على اساس ان الضرر يحصل بكل ما يحبس عن الناس عند حاجتهم اليه . وهذا يتفق مع آراء المفكرين الاقتصاديين في العصر الحاضر . واجاز آخرون

---

[٢٣] الطوسي ، النهاية ، ص ص٣٧٤ـ٣٧٥ .

[٢٤] الغزالي ، احياء علوم الدين ، ج٢ ، ص٧٣ .

[٢٥] ابن حزم ، المحلي ، ص١٩ (ينظر : الغزالي ، احياء علوم الدين ، ج٢ ، ص٧٣) .

[٢٦] ابن المرتض ، البحر الزخار ، ج٣ ، ص٣١٩ .

[٢٧] الطوسي ، النهاية ، ص٣٧٥ .

للمنتج ان يخزن انتاجه ، وعدوا عمله هذا غير محرم ، كما هو الحال عند الحنفية ، والشافعية ، والحنابلة ، والظاهرية ، والمالكية والاباضية ، الذي قالوا : لايعد حابس غلة حقله او انتاجه ، محتكراً ولا اثماً[٢٨] . وقالوا : لا يمنع من احتكاره ولا من امساكه ما شاء ، سواء كان ذلك عن ضرورة او غيرها . ولعلهم استندوا في حكمهم هذا لما روى عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال : ((الجالب مرزوق ...))[٢٩] ، فضلا عن كون انتاج الشخص خالص له ولم يتعلق به حق المجموع[٣٠] . في حين حرم جمهور آخر من الفقهاء (الزيدية والامامية) على المنتج خزن غلته المنتجة ، والزموه بضرورة عرضها في الاسواق حال قطفها ، وعدوا حاجس مواد الطعام محتكراً حتى ولو كانت غلته أو انتاجه ، لان حبسها يحدث ضرراً بالمسلمين[٣١] . بينما قصر فريق ثالث من الفقهاء عملية التحريم على الاقوات فقط ، اقوات الادميين واقوات البهائم ، كالحنطة والشعير والرز والذرة واللحم والتين والقت ، وقالوا ان خزن غير الاقوات لا يتحقق فيه الاحتكار المحرم ، وضرر غير الاقوات منعدم لان قوام الابدان لا يتوقف عليه .[٣٢]

وحصل استنباط الحكم المشار اليه توأً من كون الاحاديث النبوية الشريفة الواردة بشأن تحريم الاحتكار مطلقة ، ولم تفرق بين

---

(٢٨) ابن قدامة ، المغني ، ج٤، ص٢٨٣ ، الكاساني ، بدائع الصنائع ، ج٥ ، ص١٢٩.

(٢٩) ابن ماجة ، سنن ، ج٢ ، ص٧٢٨ . المغني ، ج٤ ، ص٢٨٣ .

(٣٠) الزيلعي ، تبيين الحقائق ، ج٦ ، ٢٨ .

(٣١) الكاساني بدائع الصنائع ، ج٥ ، ص١٢٩ .

(٣٢) ينظر : الغزالي ، أحياء علوم الدين ، ج٢ ، ص٧٣ .

قوت الانسان والحيوان . وان ورود حديث للرسـول (ﷺ) بتحريـم احتكار نوع محدد ن مواد الطعام ، لا يعني ان الاحتكار لـم يحصـل بغيره من مواد الطعام الاخرى ، وان التحريم لا يشمل بقية مواد الطعام الاساسية الاخرى ، لان العبرة بحصول الضرر المنهي عنه شـرعاً . وهنا يتضح ان ممارسة الاحتكار من قبل التجار يرافقها ضرر بالناس . وهذا مدعاة للمسؤولين ان يبادروا وينهضوا لازالة الضرر الحـاصل . ذلك ان الرسول (ﷺ) قال : ((لا ضرر ولا ضرار))[٣٣] . وعندئـذ اكد الفقهاء على ضرورة ازالة الضرر . وانّ انعدام الضرر جائز عنـد الاحتكار ، ذلك أن من خصائص المنهج الاقتصادي الاسلامي ايثـارة المصلحة العامة على المصلحة الخاصة . وما رواه (ابو داود) فـي سننه ، من أن سعيد ابن المسيب كان يحتكر الزيت والقـوى والحنبـط والبزر ، محمول على أن ذلك لايشكل ضـرراً بالنـاس ، اذ يصبـح الاحتكار غير محرم . واوضح سعيد ابن المسيب قول الرسول (ﷺ) بالتحريم فقال : انما قال رسول الله(ﷺ) ان يأتي الرجل السلعة عنـد غلائها فيغالي بها . اما ان يأتي وقد كسد السعر فيشتريها ، ثم يضع ما يشتريه ، فان احتاج الناس اليه اخرجه ، فذلك خير .[٣٤]

ونلمس دقة النهج الاقتصادي الاسلامي انه مـيز فـي مسـألة الاحتكار بين البلد الكبير والبلد الصغير ، ذلك ان المفكرين المسـلمين

---

[٣٣] ابن ادم ، الخراج ، ص٧٩ .

[٣٤] ابو الطيب ، عون المهبود شرح سنن ابي داود ، ج٩ ، ص٣١٥ (الخيـط : الورق الساقط ، والمراد به علف الدواب . والبزر : حب يبذر للانبات) . ابن قدامة ، المغني ، ج٤ ، ٢٨٣ .

وجدوا ان اضرار الاحتكار في البلد الصغير المحدود الامكانات تكــون أقسى على سكانه من الاضرار التي تصيب ســكان البلــد الكبــير ذي الامكانات الواسعة . لان هذه الامكانـــات تخفــف مــن وطــأة وثقــل الاحتكار ، وهذا بدوره يجعل من الممكن ان يتحمله الناس .[٣٥]

اما بشأن جالب الغلة من بلد آخر ، فقد قال قسم من الفقهاء انــه يجوز لجالب الغلة من بلد آخر أن لا يعرضها في السوق ، وبعمله هـذا لا يعد محتكراً . لا سيما اذا كان قد جلب الغلة مـــن مســافة طويلــة نسبياً[٣٦] . وهم يستندون في حكمهم هذا على قول رسول الله (ﷺ) : ((الجالب مرزوق ، والمحتكر ملعون))[٣٧] . وبذلك لا يعد محتكــراً . هذا فضلا عن قول الفقهاء ، ان حق الناس انما يتعلق بما جمـــع فــي مدينتهم ، او جلب الى فنائها ، أو ظهيرتها . فمحتكر السلع التي انتجت في البلد ، او جلبت اليه من مكان قريب ، يصير ظالماً يمنع حقهم فــي حالة حبس السلعة عنهم . اما جالب السلعة من مكان بعيد ، فهو غـــير ملزم بجلب السلعة اصلا ، فكذا له أن لا يبيع[٣٨] . هذا فضلا عـــن ان عمل الجالب عادة لا يحدث ضرراً باحد ، بل ان عمله أقرب الى نفــع الناس منه الى شيء آخر[٣٩] .

---

[٣٥] الكاساني ، بدائع الصنائع ، ج٥ ، ص١٢٩ . القفال ، حلية العلماء ، ج٤ ، ص٣١٠ .

[٣٦] ابن قدامة ، المغني ، ج٤ ، ص٢٨٣ . ابن قدامة المقدســـي، الشــرح الكبــير ، ج٤ ص٤٧ .

[٣٧] ابن ماجة ، سنن ، ج٢ ، ص٧٢٨ . ابن قدامة المغني ، ج٥ ، ص١٢٩ .

[٣٨] الزيلعي ، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق ، ج٦ ، ص٢٨ .

[٣٩] ابن قدامة ، المغني ، ج٤ ، ص٢٨٣ . ابن قدامة المقدسي ، الشرح الكبــير ، ج٤ ، ص٤٧ .

في حين قال فقهاء آخـرون (مـن الاماميـة والزيديـة[٤٠] ، والشافعية ، والظاهرية ، والاباضية) ان الجالب يصبح محتكراً اذا لـم يعرض جلبه في حال وصوله[٤١].ونهى الفقيه (ابو يوسف) عن حبـس المجلوب (أي المستورد)، وعد ذلك نوعاً من الاحتكار[٤٢]. واحسـب ان هؤلاء جميعاً استندوا في حكمهم هذا على قول رسـول الله (ﷺ): (المحتكر ملعون ...))[٤٣]. وهو قول مطلق لا يميز بين محتكر واخر ، وانما يشتمل كل المحتكرين ، لان احتكارهم انتظاراً للغلاء وتربصاً به. وهو والحال هذه فيه ضرر اكيد ومباشر بالمسلمين ، لان عملية اقدامـه على جلب السلعة الى البلد تثبط همة غيره من أن يبـادر فـي جلـب السلعة نفسها ، وبذلك يكون هو الوحيد الذي يحوز السـلعة ، فعندئـذ يتحكم بسعرها . وحينئذ يمكننا ان نعده ضمن زمرة المحتكرين .

وعادة يفضل منتجو مواد الطعام حين يجلبون انتاجـهم الـى المدينة ان يعرضوه في محلات خاصة ليشتريه منهم التجار كله مـرة واحدة ، كي لا يقيموا في المدينة مدة طويلة . ان هذه الالية في عمليات البيع يكثر فيها الوسطاء الذين من شيمتهم طلب الربح الذي سـيضاف الى سعر الكلفة ، وبذلك يزداد ثمن السلعة ، وان هذه الزيـادة سـوف يتحملها مستهلك السلعة ، لذا اصبح في امكان صاحب السوق ان يلـزم منتج السلعة ان يعرضها في السوق مباشرة ليشتري منها الناس كل قدر

---

[٤٠] السياغي ، الروض النضير ، ج٣ ، ص٥٨٧ .

[٤١] ينظر : موسوعة جمال عبد الناصر الفقهيه ، ج٥ ، ص١٢٩ .

[٤٢] الزيلعي ، تبيين الحقائق ، ج٦، ص٢٧. الكاساني ، بدائـع الصنـائع ، ج٥ ، ص١٢٩ .

[٤٣] ابن ماجة ، سنن ، ج٢ ، ص٧٢٨ .

حاجته ، حتى وان تطلب بقاؤه مدة اطول[٤٤] . ولصاحب السوق ايضاً ان يمنع الحناطين من شراء الطعام في الدور في وقت غلاء السعر ، لان ذلك مضرة بالناس . ولتكن لهم حوانيت معينة في السوق يزاولون فيها عمليات البيع والشراء . اما في حالة كثرة الجلب ، ورخص السعر فينتفي الضرر ، وعندئذ يخلي صاحب السوق بين الناس والشراء ، فيشترون ويدخرون حيث احبوا .[٤٥]

الحث على خزن السلع :

وفي مواقف اخرى كان الفقهاء يحبذون اقدام الناس على خزن السلع عندما يكثر عرضها في الاسواق بحيث يصبح العرض اكثر من الطلب ، وعندئذ تنقلب عملية الخزن والاحتكار ، من عملية من شأنها الاضرار بالناس ، الى محاولة لحفظ الانتاجية وعدم تعرضها للهدر والتلف والتبذير . وفي مثل هذه الحال قال الفقهاء : ان عدم ممارسة الخزن والحبس في حالة كثرة عرض السلع مفسدة لانه قد يأتي وقت تقل فيه هذه السلع او تنعدم . فعندئذ يمكن الاستفادة من المخزون المحتكر لاعادة عرض في السوق ، وحينئذ يحصل نوع من التوازن المقبول بين العرض والطلب . وبذل قال الفقهاء : ان الخزن والاحتكار جائز ومستحب اذا اكثر الجلب ولم يشتر منهم احد وردوا . واضافوا : اذا كان السعر رخيصاً ولم يضر بالسوق خلى بين الناس وبين ان يشتروا حيث احبوا ، او يدخروا[٤٦]. ومع ذلك نهى بعض الفقهاء (الحنابلة) من محاولة اقدام الناس على شراء كميات كبيرة من

---

(٤٤) المجيلدي ، التيسير ، ص ص ٥٣ـ٥٤ .

(٤٥) المجيلدي ، التيسير ص٥٤ . التلمساني ، تحفة الناظر ، ص ١٢٨ـ١٢٩ .

(٤٦) المجيلدي ، التيسير ، ص٥٥ .

مواد الطعام من اجل ادخارها[٤٧] . وسئل يحيى بن عمر فيما اذا كان من الجائز السماح لشخص ان يشتري قوت سنة من طعام ، فقال : لا يحق لشخص ان يشتري قوت سنة من مواد الطعام وقت الغلاء[٤٨] .
وقال (المجيلدي) : " ان من احتكر في الرخاء جبر على بيعة في الغلاء اذا لم يوجد سواه . فان أي حجر عليه وليس له بيعة في الدور ، بل يخرج الى السوق " . [٤٩]

مدة الخزن :

اجاز جمهور الفقهاء للمسلم خزن السلع ما فضل منها عن كفايته وكفاية من يعيله شرعاً . الا انهم اختلفوا في طول مدة الخزن او قصرها . فحددها بعضهم بسنة واحدة مستندين الى حديث رواه الزهري عن مالك بن أنس عن عمر (رضي الله عنه) ، ان النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يبيع ما يأتيه من انتاج نخل بني النضير ((ويحبس لاهله قوت سنتهم))[٥٠] .
وقال بعض الفقهاء ، (الحنابلة) انه يحق للمسلم ان يخزن من مواد الطعام ما يكفيه ويكفي اسرته لمدة سنتين ، اذا كان لا يرمي من وراء ذلك التجارة والربح[٥١] . اما الامامية ، فقد اجازوا لصاحب السلعة الامساك بها وخزنها لقوته ، او لوفاء دينه ، او تحسباً واحترازاً من احتمال شحتها في الاسواق[٥٢] وقال آخرون بجواز الخزن وقت السعة

---

[٤٧] المرداوي ، الانصاف ، ج٤ ، ص٣٣٩ .
[٤٨] المجيلدي ، التيسير ، ص٥٥ .
[٤٩] ن . م .
[٥٠] البخاري ، صحيح البخاري ، ج٧ ، ص١٢٠ .
[٥١] المرداوي ، الانصاف ، ج٤ ، ٣٣٩ .
[٥٢] القفال ،حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء ، ج٤ ، ص٣١٠ ــ ٣١١ .

وتوافر السلع في الاسواق . اما وقت الضيق وشحة السلع فلا يجوز للمسلم ان يشتري كميات كبيرة من السلع بحيث ان شراءه هذا يضيق على المسلمين ويلحق بهم ضرراً ، وعليه في هذه الحال ان يشتري ما يكفيه من القوت لايام ، او أشهر على ابعد تقدير . ومن هنا يتضح ان خزن ما فضل عن كفاية المسلم ومن يعيله من مواد الطعام لايجوز لانه يصبح من قبيل الاحتكار المنهي عنه شرعاً ، لانه يحدث ضرراً بالناس ، ويضيق عليهم في قوت يومهم . وعندئذ يصبح ممارسه اثم لا محال .

المبحث الثاني : اجراءات المسؤولين

خولت الشريعة الاسلامية المسؤولين في الدولة التصدي لحالات الاحتكار والحد من خطره على المجتمع . وبذلك بات في مقدورهم اتخاذ الاجراءات الوقائية والعلاجية الكفيلة بمنع حصول هذه الظاهرة وتحديد آثارها ومخاطرها السلبية في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية .[٥٣]

أ . الاجراءات الوقائية :

ومن خلال استقراء النصوص وجدنا أن اجراءات المسؤولين في الدولة لم تقتصر على الوسائل العلاجية في ردع المحتكرين ومعاقبتهم حسب ، وانما اجاز بعض الفقهاء للمسؤولين معاقبة متلقي الركبان . اذ افتى بعض الفقهاء بضرورة نهي المتلقي عن محاولة تلقي الركبان ، فان لم ينته وكرر عمله هذا اكتفى بتأديبه فقط ، على ان لا ينتزع شيء من بضاعته[٥٤]. وقال فريق آخر من الفقهاء انه يحق

---

[٥٣] الزيلعي ، تبيين الحقائق ، ج٦ ، ص٢٨ .

[٥٤] المجيلدي، التيسير، ص٨٧. ابن عبد الرؤوف، في اداب الحسبة والمحتسب، ص١٠٩.

للمسؤولين في الدولة الزام متلقي الركبان ان يعرض بصناعته التي اشتراها في السوق كي يشتري منها الناس حاجاتهم وكفايتهم[٥٥] . في حين اكتفى فريق من الفقهاء بزجر المتلقي دون تأديبه .[٥٦]

ويبدو ان الفقهاء وجدوا ان تلقي جالبي السلع قبل وصولهم الى الاسواق ، وشراء سلعتهم والتحكم في عرضها وفي اسعارها واحتكارها ، دون مراعاة مصلحة اهل البلد ، وجدوا ان هذا النوع من البيوع فيه خداع وغبن فاحش ، وصاحبه آثم عاصي[٥٧] . وهم منطلقون من رواية عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) الذي قال : ((كنا نتلقى الركبان ، فنشتري منهم الطعام فنهانا النبي (ﷺ) عن ذلك حتى يبلغ به صاحبه سوق الطعام)) .[٥٨]

وفي هذا الصدد يفيدنا (صاحب نهج البلاغة) الذي يشير الى ان الامام علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) كان قد تلمس طمع التجار وجشعهم ، فكان يوصي عامله مالك بن الاشتر قائلا ((... ثم استوصى بالتجار ذوي الصناعات ... واعلم ان في كثير منهم ضيقاً

---

[٥٥] ابن حزم ، المحلي ، ج٨ ، ص٤٥٠ . الزيلعي ، تبيين الحقائق ، ج٦ ، ص ص ٢٧_٢٨ .

[٥٦] الزيلعي ، تبيين الحقائق ، ج٦ ، ص٢٨ . التلمساني ، تحفة الناظر ، ص١٢٨.

[٥٧] البخاري ، صحيح البخاري ، ج٣ ، ص١٥٠ و ١٥٣ . ابن ماجة ، سنن ، ج٢ ، ص٧٣٥ .

ابن قدامة ، المغني ، ج٤ ، ص٢٨١ . السرخسي ، المبسوط ، ج٣، ص٧٨.

[٥٨] البخاري ، صحيح البخاري ، ج٣ ، ص١٥٣ . ابن ماجة ، سنن ، ج٢ ، ص٧٣٥ .

ابن عبد الرؤوف ، في اداب الحسبة والمحتسب ، ص١١٠ .

فاحشاً ، وجشعاً قبيحاً ، واحتكاراً للمنافع وتحكماً في البياعات . وذلك باب مضر للعامة ... فامنع الاحتكار))[٥٩] . فالخليفة لم يحرم الكسب الحلال للتجار ، ولكنه يرى عليهم ان لا يحتكروا السلعة التي تدخل في حاجات الناس الاساسية ، لذا يؤكد على ضرورة انصاف الرعية بقوله : ((وليكن البيع بيعاً مسمحاً بموازين عدل ، واسعار لاتجحف الفريقين من البائع والمبتاع . فمن فارق في حكره بعد نهيك اياه فنكل به وعاقبه من غير اسراف)) .[٦٠]

وضمن الاجراءات الوقائية يعالج (ابن عبد الرؤوف) ظاهرة الاحتكار بحث المسؤولين في الدولة بأن لا يسمحوا لاهل الحوانيت وسائر اهل الادخار ان يقتنوا شيئاً من المواد المجلوبة ممّا بالناس حاجة اليها كي لا يحتكرونها لنهي النبي (ﷺ) عن ذلك ، اذ قال ((لا يحتكر الا خاطئ)) . وهذا يعني أن المحتكر عندما يقدم على عملية الاحتكار انما يرتكب خطيئة يؤثم عليها[٦١] . والنهي هنا مطلق ويتعلق النظر به في الوقت والجنس . والمقصود بالجنس هنا النهي في اجناس جميع الاقوات . ولم يقتصر النهي على قوت بعينه ، ولا مادة او سلعة تغني عن القوت ، كاللحم والفاكهة ، وما يسد مسد ما يغني عن القوت في بعض الاحوال ، وان كان لا يمكن المداومة عليه . اما الذي ليس بقوت ولا هو مغن عن القوت كالادوية والعقاقير والزعفران وامثاله فلا يتعدى النهي اليه .[٦٢]

---

[٥٩] ينظر : نهج البلاغة ، ج٣ ، ص١١٠ .

[٦٠] ن . م . ، ص ص ١١٠ ـ ١١١ .

[٦١] ابن عبد الرؤوف ، في اداب الحسبة والمحتسب ، ص١٠٩ .

[٦٢] ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص١٢٢ .

اما الوقت ففيه رأيان ، اولاهما : أن النهي يشمل جميع الاوقات . وثانيهما ان النهي خصص بوقت قلة الاطعمة وشحتها وحاجة الناس اليها . وان أي تأخير قد يحصل في بيعها يرافقه ضررب ما يصيب المسلمين . اما اذا اتسعت الاطعمة وكثرت بحيث اصبح المعروض منها في الاسواق يسد الطلب عليها ويفيض ، واستغنى الناس عنها ، ولم يرغبوا فيها ، ولم ينتظر حصول قحط ، فليس هذا ضرر[٦٣] . ففي مثل هذه الحال لا يوجد دافع لدى التجار بان يقدموا على محاولة الاحتكار ، لان مثل هذه المحاولة سوف لن تكون ذات جدوى اقتصادية لهم .

اما اذا كان الزمان زمان قحط وشحة في مواد الطعام ، كان ادخار مواد الطعام والعسل والسيرج والسمن والجبن والزيت وما يجري مجراه ، باضرار فينبغي ان يعمد المسؤولون في الدولة الى منع الادخار بأي شكل من الاشكال[٦٤] . ومن هنا تتضح ان عملية المنع والتحريم يعول على اثبات الضرر او عدمه .

ويرى (ابن الاخوة) ان النهي والتحريم محمول حصراً في مواد الطعام ، ومدى حصول الضرر فيها . والضرر يتمثل عادة بصورة جلية في الارتفاع المفاجئ والكبير في الاسعار ، ويستدرك (ابن الاخوة) حين يقول انه يجب على المسؤولين في الدولة ان لا يتوانوا عن القيام بالنهي عن الاحتكار لينتظروا حول الضرر ، وانما يجب عليهم الاحتراز والتحوط لملافاة وقوع الضرر ، لان المنع من

---

(٦٣) ن . م .

(٦٤) ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص١٢٢ .

فعل الحرام واجب ، بقدر درجات الاضرار تتفاوت درجات الكراهيـــة والتحريم .[٦٥]

ومن الاجراءات الاحترازية التي يجب على المســـؤولين فـــي الدولة اتخاذها ، او التحوط منها كي لا تقع ظاهرة الاحتكار هـــي ، ان يقتصر صاحب الطعام في بيع طعامه لاهل البادية فقـــط طمعـــاً فـــي احتمال دفعهم ثمناً مرتفعاً لقيمة البضاعة ، وامتناعه عن بيع اهل البلـــد على الرغم من وجود عوز وحاجة حقيقية لديهم للبضاعـــة الممتـــع عن بيعها . اما اذا كان اهل البلد في سعة فلا بأس فـــي أن يتصـــرف صاحب البضاعة بها كيف يشاء لانعدام حصول الضرر[٦٦] . ونقل عن (ابي يوسف) قوله : ((يمنع الاعراب القادمون على الكوفة من شراء مواد الطعام اذا كان يضر باهل الكوفة انفسهم)) .

ويرى (ابن عبدون) انه من باب الاحـــتراز والتحـــوط ((ان لا يباع من الحنطة ممِّن يعرف انه محتكر اكثر من قفيز)) ، مخافة ان تدفعه نوازعه لأن يحتكر مواد الطعام الضروريـــة لمعيشـــة النـــاس . وحتى لا يعمد المحتكرون الى حيل تمكنهم من ممارســـة الاحتكـــار ، يجب ان يفطن المسؤولون في الدولة ، وبخاصة المحتسب واعوانـــه ، الى حيل المحتكرين الذين يحاولون ان يتفقوا مع الدلالين والباعة علـــى شراء كميات كبيرة من مواد الطعام من اجل الاحتكار ، وينهضون الى منازلـــهم مباشـــرة ، ولا يحضـــرون كيلـــها ولا وزنـــها ، ولكنـــها تصبـــح فـــي حوزتـــهم وحدهـــم ، فعندئـــذ يغلـــى الســـوم والســـعر

---

[٦٥] ن . م ، ص١٢٣ .

[٦٦] الكاساني ، بدائع الصنائع ، ج٥ ، ص٢٣٢ .

((وهو باب فيه ضرر للمسلمين))[٦٧] . وعندئذ يجب على المحتسب واعوانه ان يفطنوا لمثل هذه المحاولات ويمنعوا وقوعها قبل ان تحدث وتلحق الضرر بالمسلمين . قال (ابن عبدون) : ((ينهى الدلالون ان لا يبيعوا من محتكر اكثر من عولته ، ويتوقف ذلك منهم ، فهو سبب لغلاء السعر))[٦٨] . في حين الزم (ابن الاخوة) المحتسب ان يراقب التجار الذين يتوقع منهم محاولة الاقدام على شراء مواد الطعام من اجل احتكارها ، كي يزداد ثمنها . فاذا وجد أحدا من هؤلاء الزمة بيع السلعة وعدم السماح له باحتكارها .[٦٩]

ومن حق المسؤولين في الدولة التدخل في عمليات البيع والشراء في حالة اقدام تاجر من سكان المدن على شراء بضاعة جلبها احد سكان البادية ، فيتعمد التاجر بيعها بعد حين باغلى من السعر السائد وقت الجلب ، اذ في هذه الحال يحصل الضرر بأهل البلد ، وكذلك حين يرغب القروي جالب السلعة ان يبيع سلعته بسرعة حتى وان بيعت بسعر بخس [٧٠]. لكن ينبري تاجر حضر فيحاول ان يقنعه بان يبقي عنده البضاعة ليغالي بها ، فيحق للمسؤولين منع مثل هذه

---

(٦٧) ابن عبدون ، رسالة في القضاء والحسبة ، ص٤٢ .

(٦٨) ابن عبدون ، رسالة في القضاء والحسبة ، ص٤٢ .

(٦٩) ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص١٢١ .

(٧٠) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ج٢ ، ص٧٣ . ابن عبدون ، رسالة في القضاء والحسبة ، ص٤١ .

ابن قدامة ، المغني ، ج٤ ، ص٢٨٠ . قدامة المقدسي ، الشرح الكبير ، ج٤ ، ص٤٣ .

الحالات لان فيها ضرر بالناس[٧١] اذ لا يجوز ان يتولى بائع من سكان المدن بيع بضاعة جلبها شخص من سكان القرى والبادية ، وانما يدعه يبيع بضاعته بنفسه بسعر يومه ، أي بالسعر السائد في السوق وقت الجلب[٧٢] . وهؤلاء منطلقون من قوله (ﷺ) : ((لا تلقوا الركبان ، ولا يبيع حاضر لباد))[٧٣] . الذي فسره ابن عباس بقوله : ((لا يكون له سمسار))[٧٤] . لان الرسول (ﷺ) نهى ان يكون الرجل سمساراً يشارك في احتكار السلع الواردة الى السوق وحصرها عنده بقصد الحصول على اكبر ربح . غاضاً النظر عن فداحة الضرر الذي يجلبه عمله هذا للناس . فالنهي الذي ورد تواً استهدف الرفق باهل البلد ، والتوسعة عليهم ببقاء السلع متناول ايديهم رخيصة الثمن . لان السمسار في الاعم الاغلب يكون محتكراً حين يحبس سلعة البادي ليغالي في ثمنها ، فيؤدي عمله هذا الى التضييق والضرر بالناس . اما اذا لم يحتكر السلعة ، وان عمله هذا ادى الى التوسع على الناس ، فلا بأس بما يقوم به ، ومن المفيد ان نقول ، ان بيع الدلال لا يقع ضمن هذا المفهوم ، لان مهمة الدلال تقتصر على اشهار السلعة فقط ، والعقد عليها انما هو لصاحبها .

---

(٧١) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ج٢ ، ص٧٣ . ابن المرتض ، البحر الزخار ، ج٣ ، ص٢٩٧ .

التلمساني ، تحفة الناظر وغنية الذاكر ، ص ١٢٨ . القفال ، حلية العلماء ، ج٤ ، ص٣٠٩ .

(٧٢) ابن حزم ، المحلي ، ج ظ ، ص٤٥٣ .

(٧٣) البخاري ، صحيح البخاري ، ج٣، ١٥٣ . ابن ماجة ، سنن ، ج ٢ ، ص٧٣٤.

(٧٤) البخاري ، صحيح البخاري ، ج٣ ، ص١٥٣ .

ويقع ضمن مفهوم الاحتكار المحرم ، ان يتقدم رجل الى صاحب متاع مخزون عزم ان يبيعه حالا ، فيطلب ان يفوضه استخراج كميات قليلة منه ليبيعها تدريجياً بسعر اعلى . ان هذا الرجل يعد في نظر الفقهاء ظالماً اثماً ، لانه تعمد الحاق ضرر بالناس .[٧٥]

ب ــ التدابير العلاجية :

اعطت الشريعة الاسلامية للمسؤولين في الدولة سلطة تنفيذية فاصبح بامكانهم تقويم الزيغ وحماية الناس من ضرر المحتكرين ، والسيطرة على المال المحتكر ، وتأديب المحتكرين واخراجهم من سوق المسلمين ، وتسعير المواد الضرورية التي تشكل قوت عامة الناس . فسيطرة الحاكم على المال المحتكر مفيدة فيما اذا خاف الحاكم الهلاك على اهل البلد ووصل الامر الى حد الضرورة ، فللحاكم السيطرة على مال المحتكر وتوزيعه الى من خاف هلاكهم ، وعليهم رد مثله عندما يجدوا ، وليس مصادرة .

ومن التدابير الزام الحاكم المحتكر على بيع السلعة المحتكرة بثمن المثل وهذا ما اتفق عليه جمهور الفقهاء .

ويبدو ان الشريعة الاسلامية اتخذت مبدأ التدرج في هذا الشأن ، فاوجبت على المسؤول ان ينهي المحتكر عن محاولة الاحتكار ، ويأمره ان يبيع ما فضل عن قوته وقوت عياله على اساس السعة . ويحذره من مغبة معاودة الاحتكار . فان لم يتعظ وعاود الكرة ثانية حبسه وعزره دفعاً للضرر الذي قد يصيب عامة الناس من

---

(٧٥) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ج٢ ، ص٧٣ .

احتكاره هذا[٧٦] . ونقل عن الامام علي (رضي الله عنه) انه كتب الى عامله رفاعة : إنه عن الحكرة ، فمن ركب النهي فاوجعه . وقال (التلمساني المالكي) : ان عاد المحتكر الى مزاولة احتكاره جاز للمسؤول ان يضربه ويشهر به ، ثم يحبسه[٧٧] . ورأى (ابن حزم الظاهري) ان يمنع المحتكر بأي وسيلة عن محاولة الاحتكار حتى اذا تطلب الامر تأديبه واحراق امواله المحتكرة .

منطلقاً مما روى عن الامام علي (كرم الله وجهه) انه احرق طعام رجل محتكر قدر ثمنه بمئة الف درهم[٧٨] . وعند الضرورة الملحة اجاز الفقهاء للمسؤول وضع يده على مواد الطعام المحتكرة والسيطرة عليها لدرئ خطر المجاعة المتوقعة على الناس[٧٩] . اذ يرى جمهور الفقهاء حتى ضاق على الناس الطعام ولم يوجد الا عند من احتكره ، كان على المسؤولين في الدولة الاسلامية ان يجبروه على بيعه . واجاز (ابن تيمية) لولي الامر ان يكره المحتكرين على بيع ما عندهم من مواد الطعام بقيمة المثل عند حاجة الناس اليه .وابـاح (ابن الرفعة) للمحتسب ان يمنع بائعي الطعام احتكار الغلة ، واباح الامام مالك تأديب المحتكرين واخراج السلعة المحتكرة من بين ايديهم

---

(٧٦) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ج٢ ، ص٧٣ . الكاساني ، بدائع الصنائع ، ج٥ ، ص١٢٩ .

ابن مرتضى ، البحر الزخار ، ج٧ ، ص ص ٣١٩ ـ ٣٢٠ .

(٧٧) التلمساني ، تحفة الناظر ، ص١٢٨ . (وينظر : الغزالي ، احياء علوم الدين ج٢ ، ص٧٣) .

(٧٨) ابن حزم ، المحلى ، ج٦ ، ص٦٥ . (ينظر الغزالي ، احياء علوم الدين ج٢ ، ص٧٣) .

(٧٩) الكاساني ، بدائع الصنائع ، ج٥ ، ص١٢٩ . ابن تيمية ، الحسبة ، ص١٧ .

وبيعها للناس بالثمن الذي كانت تُباع فيه قبل احتكارها[٨٠] . وقال الماوردي ان باستطاعة المحتسب ان يمنع بيع الحنطة الى تاجر محتكر[٨١] . في حين يرى (الطوسي) انه لا يجوز للمسؤولين في الدولة ان يجبروا صاحب الطعام على سعر بعينه .[٨٢]

ويحق للمسؤولين في الدولة التدخل في عمليات البيع والشراء التي تحدث في الاسواق واتخاذ التدابير العلاجية في حالة ان يكون سوق بلد ما مستهدف من اناس آخرين ، أي يقصده اهالي بلدا آخر لغرض التبضع منه . وعندئذ ينهض المسؤول عن السوق بواجبه بحيث لا يمكنهم من شراء الحاجيات حتى يأخذ أهل البلد كفايتهم منه .[٨٣]

ولم تقتصر معالجة ظاهرة الاحتكار على نهي المحتكرين وزجرهم وتأديبهم ، او حرق بضاعتهم المحتكرة ، وانما اتاح النهج الاقتصادي الاسلامي للمسؤولين في الدولة ان يرفقوا بالناس ويوسعوا عليهم من خلال منافسة المحتكرين لئلا يبسطوا نفوذهم وهيمنتهم على الاسواق ويتحكموا في اسعار السلع ، لا سيما الضرورية منها . وقد استطاع المسؤولون في الدولة الحد من جشع المحتكرين والتقليل من غلوائهم واضرارهم . اذ كان الخليفة يأمر بفتح دور الرزق المخزونة فيها مواد الطعام التي تستوفي من الفلاحين والمزارعين [٨٤]، ولا سيما

---

(٨٠) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص٢٥٦ .

(٨١) الاحكام السلطانية ، ص٢٤١ .

(٨٢) الطوسي ، النهاية ، ص٣٧٤ .

(٨٣) ابن عبد الرؤوف ، في ادب الحسبة والمحتسب ، ص١٠٩ .

(٨٤) وقد حصل هذا فعلا عام ٣٠٧هـ .
ينظر : مسكويه، تجارب الامم ، ج١ ، ص٧٤ . ابن الاثير، الكامل، ج٦ ، ص١٦٣.

الذين يستثمرون الاراضي الخراجية التي كانت تعامل على نظام المقاسمة[٨٥] الذي الذي يتيح للدولة في ان تستوفي نسبة معينة من الانتاج الزراعي فتراوحت بين خمس وعشرين في المئة من الانتاج[٨٦] ، الى ست وستين في المئة من الانتاج[٨٧] . هذا فضلا عن انتاج الاراضي العشرية الذي كانت تستوفيه الدولة من مستثمري هذا النوع من الاراضي[٨٨] . كما ان بعض اهل الذمة كان باستطاعته دفع مواد عينية ، وقد تكون من مواد الطعام ، بدل الجزية المفروضة عليه .[٨٩]

ان هذه المواد الكبيرة تجعل الدولة تمتلك كميات كبيرة من المواد الغذائية التي غالباً ما يكون باستطاعة الخلفاء وبقية المسؤولين في الدولة التأثير من خلالها على الاسعار السائدة في الاسواق ، ولا سيما عندما يأمر الخليفة بطرح بعض المواد الغذائية المحفوظة في مخازن الدولة . ففي هذا الصدد أشار (مسكريه) الى ان الخليفة المقتدر بالله كان قد أمر بفتح الدكاكين والبيوت المملوءة بمواد الطعام ، الامر الذي ادى الى رجوع الناس الى مارسم من الثمن فبيع كُر الحنطة

---

[٨٥] ابو يوسف ، الخراج ، ص ص ٥٠-٥١ و ٨٥ . ابو عبيد ، الاموال ، ص١٦ و ٨٢ .
ابن زنجويه ، الاموال ، ج١ ، ص١٨٩ . البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٣٤ .
قدامة ، الخراج ، ص٢٥٨ . الطبري ، تاريخ الرسل ، ج٣ ، ص٢٠ .

[٨٦] قدامة ، الخراج ، ص٢٢٣ . الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص١٧٦ .

[٨٧] ابو يوسف ، الخراج ، ص٧٥ و ٨٥ .

[٨٨] ابو يوسف ، الخراج ، ص٦٩ . ابن آدم ، الخراج، ص١١٣ و ١١٦ و ١٤٦.

[٨٩] ابو عبيد ، الاموال ، ص٤٤ .

والشعير بنقصان خمسة دنانير ، وبذلك استطاع المسؤولون في الدولة ان يتحكموا في الاسعار ويصلحوا امر الناس ،ويحدوا من جشع المحتكرين[٩٠] . هذا فضلا عن الاجراءات الأُخر التي كان الخلفاء يقدِمون عليها والتي من خلالها يكون باستطاعتهم كسر شوكة احتكار المحتكرين ذلك ان بعض الخلفاء كان يعمد الى توزيع ارزاق اضافية على الجند المشمولين بالعطاء بين آونة واخرى ، الامر الذي يزيد في ضخ المواد الغذائية فيقلل ذلك من اعتماد الناس على ما يشترونه من الاسواق .[٩١]

وخلاصة القول ، نستطيع أن نقول أن المحتكر قد ضيق على الناس باقدامه على عملية الاحتكار ، سواء اكان قد اشترى السلعة التي احتكرها وقت الرخص ، أم أنه جلبها من بلد آخر ، أم أنه احتكر سلعة غلتها أرضه . فاحتكاره لهذه السلعة يُعد احتكاراً محرماً ، وهو آثم لانه أقدم على الاحتكار تربصاً للغلاء الذي يحدث ضرراً بالمسلمين . فقول الرسول (ﷺ) : ((المحتكر ملعون)) يطاله مهما كان مصدر احتكاره . لان حق الناس متعلق بما احتكره او بما جلبه للتجارة عند

---

(٩٠) مسكويه ، تجارب الامم ، ج١ ، ص٧٤ . الجاحظ ، البخلاء ، ص١٦٤ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص١٦٣ .

(٩١) ابن طيفور ، بغداد ، ص١٠ . القرطبي ، صلة تاريخ الطبري ، ص٢٣ و ٢٩ و ٥٨ و ١٤٤ .

مسكويه ، تجارب الامم ، ج٨ ، ص٨ و ٣٨ و ٥١ و ١٤٢ . الصابي ، الوزراء ، ص١٥ و ٨٣ .

الاربلي ، خلاصة في الذهب المسبوك ، ص ص ١٧٣ــ١٧٤ .

حاجتهم اليه ، لان الفرد لا يجوز ان يتعسف في استعمال حقه فيلحـــق ضرراً بالناس من جراء استعمال حقّه هذا .

والحق ان ازمات الاحتكار في الدولة الاسلامية كانت موقتـــــة وفردية ، لذلك فلم يكن لها تأثير طويل الامد على مستوى الاســـــعار ، ولم يتسن لها ان تشتمل اقاليم عدة في الدولة ، هذا فضلا عن أن الفقهاء وعامة الناس تصدوا بجرأة لمثل تلك الظواهر المخالفة لمبادئ الشرع ، والمضرة بالمجموع . وان موقفهم هذا يمكن عده صدى لموقف الاسلام من الاحتكار .

مفهوم الجوار عند العرب بين المنظور القبلي والمنظور الاسلامي " دراسة تاريخية ــ اجتماعية "

أ . د . هاشم يحيى الملاح*

الملخص :

أن مفهوم الجوار مشتق من فعل المجاورة ، وهو يعني حصول المستجير على الحماية والأمن من قبل من يجاورهم .

وقد أثر الجوار تأثيراً كبيراً في حياة العرب قبل الإسلام من حيث توفير الحماية والأمن للضعفاء ، وتحقيق التكافل الاجتماعي بين الناس ، وقد توصل البحث إلى أن مفهوم الجوار قد أصابه التغير والتطور في ظل الرسالة الإسلامية بسبب التحولات العميقة التي أحدثها الإسلام في أوضاع المجتمع السياسية والاجتماعية والثقافية ، فغدا الجوار ذو مفهوم أخلاقي يستهدف تقوية روح التعاون والتكافل بين أفراد المجتمع . أما المفهوم السياسي للجوار الذي يقوم على منح الحماية والامان للمستجيرين فقد أصبح من واجبات الدولة ، وهي تعمل على توفيره لمن يطلبه في الحدود التي تسمح بها الشريعة الإسلامية .

---

* عضو المجمع العلمي العراقي ، وأستاذ التاريخ الإسلامي في كلية الآداب ــ جامعة الموصل .

التمهيد :

يعد الأمن إحدى الحاجات الأساسية التي يسعى الأفراد إلى اشباعها بوسائل شتى ، لأن من المتعذر على الانسان ان يعيش حياة طبيعية مثمرة إذا كانت نفسه أو عائلته أو أمواله أو غيرها من الأشياء العزيزة عليه مهددة بالخطر . ومن ثم فقد سعت المجتمعات كافة أيا كان مستواها من التطور إلى العمل على تأمين هذه الحاجة لأعضائها . بل إن البحث العلمي قد توصل إلى أن أحد الأسباب الرئيسة لنشوء المجتمعات الانسانية المنظمة منذ اقدم العصور هو التعاون من اجل الدفاع عن النفس وتحقيق الأمن والاطمئنان لأفرادها[1] .

وقد تنوعت أشكال التجمعات التي عرفها التاريخ بحسب درجتها من النمو والتطور ، فكان من اقدم هذه التجمعات العائلة ، والعشيرة ، والقبيلة ، ودولة المدينة ، والدولة العامة . وتعدد السلطة ، الظاهرة منها والمستترة مركز الحياة المنظمة في الجماعة التي تتولى مسؤولية إقامة توازن بين حاجات أفرادها وتسوية المنازعات بينهم ومساعدتهم على اشباع حاجاتهم الأساسية ، وتأتي في مقدمتها : حاجاتهم إلى الحماية من عدوان الآخرين وضمان الأمن والسلام لهم[2].
وقد فرضت طبيعة الظروف الصحراوية القاسية ، وغياب الدولة المركزية في الجزيرة العربية قبل الاسلام ، على العرب ان يعيشوا في إطار النظام القبلي الذي أفسح المجال أمام الصراعات والحروب بين القبائل لأسباب متنوعة ، منها : التنافس على موارد العيش الشحيحة كالماء والكلأ ، أو الرغبة في فرض السيادة والسلطان على الآخرين ، أو تصفية حساب الخصومات السابقة عن طريق أخذ الثأر ... ، وهكذا .. [3] .
وكان من الطبيعي إن يعمل أبناء هذه القبائل بصورة بطيئة وتلقائية على

---

[1] ابن خلدون،عبد الرحمن،مقدمةابن خلدون،دار أحياء التراث العربي،ط٣ ص ٤٢ ــ ٤٣.
[2] ماكيفر ، روبرت ، تكوين الدولة ، ترجمة د . حسن صعب ، بيروت ١٩٦٦ ص ٤١ ــ ٤٢ ، ٨٣ ــ ٨٥ .
[3] الملاح ، د . هاشم ، الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام ، الموصل ١٩٩٤ ص ٣١ ــ ٣٣ ، ٣٥٨ ــ ٣٦٠ .

التوصل إلى أفكار وتنظيمات تساعد على حماية أنفسهم ، وضمان الأمن والسلام لمجتمعهم في مواجهة هذا الواقع الصعب والمضطرب .

وتشير النصوص التاريخية التي وصلت إلى أيدينا عن هذه الحقبة من التاريخ العربي ، إلى أنَّ من أهم الأفكار العامة التي عرفها العرب في هذا المجال ، هي : فكرة الجوار ، وقد غدت بمرور الزمن ، إحدى التقاليد الراسخة التي تطبع الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية عند العرب إذ لم يعد في وسع أحد منهم الخروج عليها او مخالفتها ، والا أصاب سمعته كثيرا من الذم والتشهير ، وتعرضت منزلته الاجتماعية للتدهور والسقوط[٤] .

في ضوء ما تقدم ، فقد تعاملت الرسالة الاسلامية مع فكرة الجوار بصفتها قيمة إيجابية ينبغي المحافظة عليها وتطويرها باتجاه مسايرة التطورات التي أحدثها الإسلام في حياة العرب على المستوى الديني والاجتماعي والسياسي . وهكذا فقد قدر لفكرة الجوار ان تحافظ على مكانتها كفضيلة من الفضائل العربية التي اقرها الإسلام ، وان تستمر فاعلة ومؤثرة في المجتمعات الاسلامية حتى الوقت الحاضر .

فما هو مفهوم الجوار ؟ وكيف تطور في ظل المفاهيم والقيم الاسلامية ، وما هي الأهداف التي حققها في عصر الرسالة والتي ما زال جانبا منها قائما في الوقت الحاضر ؟ ..

هذا ما ستجيب عليه المباحث الآتية :

---

[٤] الجبوري ، جاسم محمد عيسى ، الجوار ، دراسة في المفهوم والدلالة التاريخية (عصر الرسالة والراشدين) ، رسالة دكتوراه مطبوعة على الآلة الكاتبة . كلية الآداب / جامعة الموصل ، ١٩٩٩ بأشراف أ. د. هاشم يحيى الملاح ص ٢١ ــ ٢٣ .

مفهوم الجوار :

يرى علماء اللغة ان (الجوار) اسم مشتق من كلمتي الجار والمجاورة ، وهي تعني الحصول على الحماية والأمن من قبل من يجاورهم فهو يـ : " تحرم بجوارهم " على حد تعبير ابن منظور[٥] . " وكان سيد العشيرة إذا أجار عليها إنساناً لم يخفروه "[٦] ، أي أن شيخ العشيرة إذا منح الجوار لأحد الغرباء المستجيرين به وجب على جميع أفراد عشيرته احترام جواره وعدم الإساءة الى الجار او المساس به ، لأنه قد تحرم بجوارهم ، وبذلك تصبح نفسه وماله حرام عليهم . لذا فقد أشار الزبيدي إلى ان " الجار والمجير والمعيذ واحد ، وهو الذي يمنعك ويجيرك "[٧] . " والجار الذي اجرته من ان يظلم "[٨] . وهكذا فقد عد الحليف عند العرب جاراً ، وعد الحلف جواراً لأن من شأن الحلف ان ينشأ التزامات بين المتحالفين تفرض عليهم التعاون والتضامن والتناصر في مواجهة الأعداء . لذا فقد أشير إلى ان الجوار يعني " العهد والأمان . ومعاهدة حسن الجوار : معاهدة صداقة بين دول متجاورة من اثنتين فأكثر "[٩] .

وقد أشار القرآن الكريم إلى فكرة الجوار في العديد من آياته فأمر الرسول (ﷺ) بان يمنح الجوار لمن يستجير به من مشركي

---

[٥] ابن منظور ، محمد بن مكرم ، لسان العرب ، بيروت (دار لسان العرب) بلات ، ج١ ص ٥٣٠.

[٦] المصدر نفسه ، ج ١ ص ٥٣١ .

[٧] الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق إبراهيم الترزي ، بلا مكان ، بلا تاريخ ، ج ١٠ ، ص ٤٧٨ .

[٨] المصدر نفسه ، ج ١٠ ، ص ٤٧٨ .

[٩] مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، ط ٣ ، مصر ١٩٨٥ ، ج ١ ص ١٥١ .

العرب حتى يسمع كلام الله ثم يبلغه مأمنه فقال تعالى : " وإنْ أحدٌ مِنَ المشركينَ استجارَكَ فأجِرهُ حتى يسمعَ كلام الله ثُمَّ أَبلَغهُ مَأمَنَهُ[١٠] .كما وصف الله تعالى نفسه في القرآن الكريم بأنه"(يُجِيرُ ولا يُجَارُ علَيهِ) [١١] وقد أوضح ابن منظور ان " الجار والمجير والمعيذ واحد ، ومن عاذ بالله أي استجار به أجاره الله ، ومن أجاره الله لم يوصل اليه ، وهو سبحانه وتعالى يجير ولا يجار عليه أي يعيذ . وقال الله تعالى لنبيه ، ((قُل إنّي لَن يُجيرَني مِنَ اللهِ أَحَدٌ)) [١٢] ، أي لن يمنعني من الله أحد ... وأجاره الله من العذاب : أنقذه ...[١٣].

وقد أشار علماء اللغة إلى ان مصطلح جار قد توسع ليشتمل كل من تمتع بحماية الآخرين بسبب قرب العلاقة أو المكان أو العمل أو غيرها فقيل لزوجة الرجل جارة " لأنه مؤتمن عليها ، وأمرنا أن نحسن إليها وان لا نعتدي عليها لأنها تمسكت بعقد حرمة الصهر ، وصار زوجها جارها لأنه يجيرها ويمنعها ولا يعتدي عليها "[١٤]. وأطلق مصطلح الجار على الذي يجاورك بيت بيت ، والجار الشريك في العقار ، والجار المقاسم ، والجار الحليف ، والجار الناصر ، والجار الشريك في التجارة ، وغيرها[١٥]. وان مما يتصل بمعنى الجوار مجاورة الانسان للأماكن المقدسة لغرض التنسك والعبادة ، فيتمتع بجوار الله تعالى . وقد ذكر ابن منظور ان " المجاورة الاعتكاف في المسجد .

---

(١٠) سورة التوبة ، آية ٦ .

(١١) سورة المؤمنون ، آية ٨٨ .

(١٢) سورة الجن ، آية ٢٢ .

(١٣) ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١ ص ٥٣١ .

(١٤) المصدر نفسه ، ج١ ص٥٣١ .

(١٥) المصدر نفسه ، ج ١ ص ٥٣٠ .

وفي الحديث ان الرسول (ﷺ) كان يجاور بحراء . وكان يجاور في العشر الأواخر في رمضان أي يعتكف ، وفي حديث عطاء وسُئل عن المجاور يذهب للخلاء يعني المعتكف . فأما المجاورة بمكة والمدينة فيراد بها المقام مطلقاً غير ملتزم بشرائط الاعتكاف الشرعي "[١٦].

يظهر من العرض المتقدم لمفهوم الجوار عند العرب ، إن هذا المفهوم ينطوي على نوعين من المعاني ، معان قبلية ترجع إلى حقبة ما قبل الاسلام ، وهي تركز على الجوار الذي يمنحه شيوخ القبائل او أبناء القبيلة لمن يستجير بهم في إطار العلاقات القبلية وقيمها . ومعان إسلامية تستمد دلالتها من الرسالة الإسلامية وهي تركز على الله تعالى بصفته هو الحامي والمعيذ والمجير لمن يستجير به ، غير ان هذه المعاني لا تمنع الناس من ممارسة حقوق الجوار بصورها المختلفة ، إذا جاءت في إطار مبادئ الحق والعدل التي أمر الله بها ورسوله لأن " ذمة الله واحدة ، يجير عليهم أدناهم " [١٧]، وهو ما ستتولى توضيحه في الصفحات التالية .

طبيعة الجوار ووظائفه :

ينطوي الجوار على اتفاق صريح او ضمني بين طرفين ، هما المستجير والمجير ، إذ يلجأ المستجير في حالة شعوره الملح بالحاجة الى من يدافع عنه ويحميه إلى طلب ذلك من المجير الذي يمتلك القدرة والقوة على ذلك . فإذا وافق على ذلك الطلب يكون عقد الجوار قد أنعقد بين الطرفين وسرت آثاره عليهما . ولا يتطلب منح الجوار عند العرب مراسيم شكلية او قانونية معينة لأنه عقد رضائي ينظمه العرف والتقاليد.

---

[١٦] المصدر نفسه ، ج ١ ص ٥٣١ .

[١٧] ابن هشام ، محمد بن عبد الملك ، السيرة النبوية ، القاهرة ١٩٥٥ ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ق ١ ، ص ٥٠٢ .

ولا يشترط دائماً أن ينعقد الجوار بناءاً على طلب المستجير ، اذ قد تدفع المروءة وطلب الذكر الحسن المجير إلى عرض جواره وحمايته على من يجده في حاجة إلى ذلك ، فأن قبل في أي صورة من صور القبول انعقد الجوار بين الطرفين وسرت آثاره عليهما أمام أفراد المجتمع .، ولا يشترط فيمن يحق له منح الجوار شروطاً محددة سوى ان يكون قادراً على الوفاء بتعهده بنفسه أو بحكم مركزه في قبيلته . لذا فقد حفظت لنا المصادر حالات منحت فيه بعض النساء الجوار لبعض من استجار بهن أو أنهن بادرن إلى منحه بدافع المروءة والشعور بالواجب[١٨] . بل إن كتب التراث قد حفظت لنا حالات منحت فيها بعض القبائل العربية الجوار لمن يطلبه بصورة مطلقة دون معرفة لهوية المستجير . فقد ذكر ابن حبيب في صدد حديثه عن مناقب العرب قبل الاسلام والتي أقرها الاسلام وزادها شدة حالتين تقعان ضمن موضوع الجوار وهما :

ـ قبة (أي خيمة) عوف بن أبي عمرو من بني شيبان فكان " لا يدخلها جائع إلا أُشبع ، ولا خائف إلا أمن "[١٩].

ـ ومكرمة قبيلة بجيلة ، فكان لا ينزل بديارهم " نازل قط إلا عمدوا الى ماله فحبسوه ودفعوه إلى رجل يرضون أمانته ، ومانوه بأموالهم ـ أي أنفقوا عليه من أموالهم ـ ما أقام بين أظهرهم ، فإذا ظعن أدوا اليه ماله ورحلوا معه . فان مات ، ودوه ـ أي دفعوا ديته ـ وان قتل طلبوا بدمه ، وان سلم ألحقوه بمأمنه . وفي ذلك يقول عمرو بن الخثارم :

---

(١٨) ابن عبد ربه الأندلسي ، احمد بن محمد ، كتاب العقد الفريد ، بيروت ١٩٦٥ ، ج ٥ ص ١٧٢ . ابن حبيب ، ابو جعفر محمد ، كتاب المحبر ، بيروت ، ١٣٦١ ، ص ٢٤١ ، ٣٤٨ ـ ٣٥٥ .

(١٩) ابن حبيب ، المحبر ، ص ٢٤١ ـ ٢٤٢ .

يعينون الغني على غناه ويثروا في جوارهم القليل[٢٠]

ولم يشتمل الجوار أرواح الناس وأنفسهم فحسب ، بل انه امتد ليشتمل أموالهم وأمتعتهم في بعض الحالات ، فقد ذكر ان امرؤ القيس بن حجو أودع دروعا له عند السموءل بن حيابن عاديا الغساني ، فلما مات أمرؤ القيس " غزاه بعض ملوك الشام ، فأغلق الحصن دونه ، فظفر الملك بابن له (السموءل) كان خارج الحصن ، فناداه ياسموءل !! ادفع ألي دروع امرئ القيس ، والا قتلت ابنك ، فشاور نساءه وأهل بيته فكل أشار عليه بدفع الدروع واستنقاذ ابنه . فأشرف السموءل على الملك فقال له : (ليس إلى الدروع سبيل ، فأفعل ما بدا لك) . فذبح أبنه وهو ينظر اليه ، وانصرف عنه . فلما حضر الموسم حمل الدروع حتى دفعها إلى ورثة امرئ القيس ، فقال الأعشى :

جار ابن حيا لمن نالته ذمته أوفى وأكرم من جار ابن عمار

خيره خطتي خسف فقال له مهما تقله فاني سامع حار

فشك غير طويل ، ثم قال له اذبح هديك ، فاني مانع جاري[٢١]

إن التأمل بهذا الموقف الذي اتخذه السموءل في حماية مال جاره حتى بعد موته ، وتضحيته بابنه في سبيل الوفاء بعهده ، يكاد لا يصدق لولا ان وصلتنا بعض الآثار الأدبية التي تؤكد سمو نفس هذا الرجل وكرم أخلاقه وتضحيته بابنه وفاءا لجاره . وقد وصف الكميت فعل السموءل بهذين البيتين من الشعر :

وما كان السموءل في وفاء وقد بلغت حفيظته الخطوب

غداة ابتاع مكرمه بثكل وقد يوفي بذمته الكئيب[٢٢]

---

[٢٠] المصدر نفسه ، ص ٢٤٢ ــ ٢٤٣ .

[٢١] المصدر نفسه ، ص ٣٤٩ .

[٢٢] المصدر نفسه ، ص ٣٤٨ .

أما السموءل نفسه ، فقد وصف موقفه من الجار ببعض الآبيات الشعرية الجميلة والمعبرة منها قوله :

وما ضرنا أنا قليل وجارنا عزيز وجار الأكثرين ذليل
لنا جبل يحتله من نجيره منيع يرد الطرف وهو كليل[٢٣]

وكان الجوار يعطي في بعض الاحيان لأفراد قبيلته بكاملها ، فقد غضب النعمان بن المنذر على بني عامر بن صعصعة ، فلجأوا إلى عصيمة بن خالد بن سنان بن منقر فأجارهم . فبعث اليه النعمان : (ابعث الي بعبيدي) فأبى ونادى في قومه شعاره (كوثر) واقبل النعمان فأستقبله عصيمة فأهوى بالرمح إلى معرفة فرسه ، وهزمه في القتال . ثم ان عصيمة كسا بني عامر وبلغهم مأمنهم . وقال في ذلك :

منعنا من النعمان سادة عامر بأسيافنا في الموقف المتهيب
فمهلاً ،أبيت اللعن ،لاترج ذمتي فمالي عن جاري بنفسي مرغب[٢٤]

ولم يقتصر منح الجوار للأفراد او القبائل على توفير الحماية والأمن لهم في وجه من يظلمهم من بني الانسان ، بل انه امتد ليشمل حالات المساعدة لمواجهة قسوة الطبيعة وجفافها . فقد ذكر انه في إحدى السنوات أصاب الناس جفاف شديد فأتى " الأكابر من بني تيم الله بن ثعلبة وهم مالك وعامر ومليحة ، فجاوروا (بدر بن حمراء العنبي) فوفى لهم حتى احيوا ورجعوا " إلى ديارهم بعد ان زالت الظروف التي ألجأتهم إلى ترك ديارهم[٢٥] .

---

(٢٣) القالي البغدادي ، أبو علي إسماعيل ، كتاب الأمالي ، بيروت ، بلات ج ١ ص ٢٦٩ .

(٢٤) المصدر السابق ، ص ٣٥٤ .

(٢٥) ابن حبيب ، المحبر ، ص ٣٥٥ .

وهكذا نلاحظ إن الجوار يعمل عملا كبيرا في حياة العرب من حيث توفير الحماية والأمن للضعفاء والمستضعفين ، وفي تحقيق التكافل الاجتماعي والتغلب على مصاعب العيش في بيئة صحراوية قاسية . وحين جاء الاسلام ، استفاد المسلمون من سيادة قيم الجوار بين العرب في تحقيق الأمن لأنفسهم ودعوتهم بقدر ما سمحت به الظروف القائمة في عصر الرسالة ، وهو ما سنفصل الحديث عنه في السطور الآتية :

الجوار ونشر الدعوة الإسلامية في مكة :

تعد مدينة مكة التي ظهر فيها الاسلام مدينة مقدسة ، وحرماً آمنا، لا يجوز لأحد ان يعتدي على أحد فيها لأنها موطن الكعبة ، بيت الله الحرام ، كقوله تعالى : ((وَمَن دَخَلَهُ كانَ آمِناً "))[٢٦] .

ومن ثم كان من المفترض ان يتمتع المسلمون في مكة ــ وهم يدعون الى ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، بمعاملة حسنة من قبل معارضيهم من المشركين ، غير ان هؤلاء المشركين قد عدوا دعوة الرسول ــ ﷺ ــ لهم لنبذ عبادة الأصنام لأنها لا تنفع ولا تضر ، والتوجه الى عبادة الله وحده ، بمثابة عدوان على معتقداتهم وتشكيك بأحلامهم وعقولهم وطعنا بحكمة آبائهم وأجدادهم الذين كانوا يعبدون هذه الأصنام ، وفضلاً عما تقدم ، فقد وجدوا في انتشار الإسلام بين أبنائهم تفريقاً لجماعتهم وتشتيتاً لوحدتهم ... وهكذا فقد سوغوا لأنفسهم اضطهاد المسلمين والعدوان عليهم على الرغم من مجاورتهم لبيت الله الحرام وتحرمهم بحرمه ، بحجة انهم يقومون بحماية معتقداتهم والدفاع عما كان يعبد آباءهم وأجدادهم[٢٧] ، وكان اشد من تعرض للأذى والفتنة في الدين من المسلمين المستضعفون من الرقيق والموالي الذين لا

---

[٢٦] القرآن الكريم ، سورة آل عمران : آية ٩٧ .

[٢٧] ابن هشام ، السيرة ، ق ١ ، ص ٢٦٤ ــ ٢٦٦ .

عشائر لهم تدافع عنهم وتحميهم . أما المسلمون من قريش ، فقد اختلف ما تعرضوا له من أذى واضطهاد بسبب عقيدتهم بحسب موقف أهلهم وعشائرهم منهم ومن الإسلام[٢٨] .

وقد أثر " الجوار " تأثيراً بارزاً في التخفيف من حدة الاضطهاد الذي تعرض له المسلمون في مكة ، وساهم في تحقيق الحماية للرسول ـ ﷺ ـ ولبعض أصحابه من اجل مواصلة العمل على نشر الرسالة الإسلامية بين الناس . وسنعرض فيما يلي عدداً من الحالات البارزة للجوار الذي تمتع به المسلمون في هذه الحقبة لتوضيح ذلك :

١ . ذكر ابن إسحاق ان الرسول ـ ﷺ ـ استطاع ان يحصل على حماية عمه أبى طالب ، وكان سيد بني هاشم ، منذ بداية التبليغ ونشر الدعوة ، إذ قال أبى طالب للرسول ـ ﷺ ـ وهو يعتذر عن الدخول في الإسلام : أي ابن أخى ، أنى لا أستطيع ان أفارق دين آبائي وما كانوا عليه ، ولكن والله لا يخلص إليك بشيء تكرهه ما بقيت "[٢٩] .

وقد عدت هذه الحماية نوعاً من الجوار ، لأن قريشاً عاتبت أبا طالب على توسعه في منح الجوار إلى أشخاص آخرين بالإضافة إلى ابن أخيه محمداً ـ ﷺ ـ . يقول ابن إسحاق : " ان أبا سلمه لما استجار بأبي طالب ، مشى اليه رجال من بني مخزوم ، فقالوا له : يا أبا طالب ، لقد منعت منا ابن أخيك محمداً ، فما لك ولصاحبنا تمنعه منا ، قال : انه استجار بي ، وهو ابن أختي ، وانّ انا لم امنع بن أختي لم امنع ابن أخي ، فقام ابو لهب فقال : يا معشر قريش ، والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ ، وما تزالون توثبون عليه في جواره بين قومه ، والله لتنتهن عنه

---

[٢٨] المصدر نفسه ، ق ١ ص ٣١٧ ـ ٣٢١ .

[٢٩] المصدر نفسه ، ق ١ ص ٢٤٧ .

أو لنقو من معه في كل ما قام فيه ، حتى يبلغ ما أراد .فقالوا : بل ننصرف عما تكره يا أبا عتبة "[٣٠] .

٢ . وحين رأى رسول الله ـ ﷺ ـ ما يصيب أصحابه من البلاء والشدة على أيدي مشركي مكة ، وان ليس في مكة من يجيرهم ويمنعهم كما منعه عمه من أذى المشركين " أمرهم بالهجرة إلى ارض الحبشة ، وقال لهم : إن بها ملكا لا يظلم الناس ببلاده ... فهاجر رجال من أصحابه إلى ارض الحبشة مخافة الفتنة وفروا إلى الله ـ عز وجل ـ بدينهم "[٣١] ... وقد بلغ عدد المهاجرين إلى الحبشة حوالي ٨٣ مهاجرا من الرجال والنساء . وقد وصفت أم سلمة إقامة المسلمين بالحبشة بقولها : " فنزلنا بخير دار إلى خير جار ... آمنا على ديننا ولم نخشى من ملك الحبشة ظلما[٣٢] .

وقد ذكر ابن إسحاق إن المسلمين في الحبشة بلغهم ان قريشا قد أسلمت وأنهم قد سجدوا مع رسول الله ـ ﷺ ـ في الصلاة ، فقرر ثلاثة وثلاثون منهم العودة إلى مكة فلما وصلوها " بلغهم ان ما كان تحدثوا به من إسلام آهل مكة كان باطلا فلم يدخل منهم أحد إلا بجوار أو مستخفيا[٣٣] . وقد ذكرت لنا المصادر أسماء عشرة من الصحابة الذين دخلوا مكة بجوار مشركين من عشائرهم أو من غيرها ، أما البقية فيبدو أنهم دخلوا مكة خفية ومن غير جوار[٣٤] . وقد أورد لنا ابن

---

[٣٠] المصدر نفسه ، ق ١ ص ٣٧١ .

[٣١] ابن إسحاق ، محمد ـ سيرة ابن إسحاق ، تحقيق محمد حميد الله ، المغرب ١٩٨١ ، ص ١٥٤ .

[٣٢] المصدر نفسه ، ص ١٩٤ .

[٣٣] المصدر نفسه ، ص ١٥٨ ، ابن هشام السيرة ، ق ١ ص ، ٣٦ ـ ٣٦٩ .

[٣٤] الجبوري ، الجوار دراسة في المفهوم والدلالة التاريخية ، ص ٦٩ ـ ٧١ .

إسحاق تفاصيل عن قصة جوار عثمان بن مظعون تساعدنا على فهم طبيعة عقد الجوار في هذه الحقبة ومدى استعداد المسلمين للالتزام بشروطه . يقول ابن إسحاق : " وقدم عثمان بن مظعون بجوار من الوليد بن المغيرة .. فلما رأى عثمان ما يلقى رسول الله ـ ﷺ ـ وأصحابه من الأذى ، وهو يغدو ويروح بأمان الوليد بن المغيرة ، قال عثمان : والله ان غدوي ورواحي آمنا بجوار رجل من أهل الشرك وأصحابي وأهل بيتي يلقون من البلاء والأذى في الله عز وجل ما لا يصيبني لنقص كبير في نفسي . فمشى إلى الوليد بن المغيرة وهو في المسجد ، فقال : يا أبا عبد شمس ، وفت ذمتك ، قد كنت في جوارك ، وقد أحببت ان اخرج منه إلى رسول الله ـ ﷺ ـ ، ولي به وبأصحابه أسوة . قال الوليد : فلعلك يا بن أخي أوذيت أو انتهكت ، فقال : لا ، ولكني أرضى بجوار الله تعالى ، ولا أريد ان استجير بغيره . قال : " فأنطلق إلى المسجد فأردد عليَّ جواري علانية كما أجرتك علانية "[٣٥] ففعل ، وقد تعرض اثر رده الجوار لأذى واعتداء أحد سفهاء المشركين ، ومع ذلك فقد صبر ، وفضل ان يعيش في جوار الله على جوار الوليد شأنه في ذلك شأن غيره من المسلمين[٣٦] .

٣ . ويبدو ان جوار بعض المشركين كان يقوم على شرط ضمني يقضي بأن لا يتصرف المسلم بطريقة يعدها المشركون مؤذية لهم أو لمعتقداتهم . مما يؤدي بالمسلم أما إلى رفض ذلك الجوار أو مجاراة المشركين فيما يطلبون على حساب عقيدته . ومن الأمثلة البارزة على هذا النوع من الجوار جوار ابن الدغنة لأبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ ، فقد ذكر ابن إسحاق ان أبا بكر استأذن رسول الله ـ ﷺ ـ في الهجرة

---

[٣٥] ابن إسحاق ، سيرة ابن إسحاق ، ص ١٥٨ ـ ١٥٩ .

[٣٦] المصدر نفسه ، ص ٢١٨ ـ ٢١٩ .

حين أوذوا بمكة ، فأذن له ، فلقيه على بعد يومين من مكة ابن الدغنة ، وكان سيد الاحابيش في مكة ، فسأل أبا بكر عن سبب هجرته ، فقال " آذاني قومي وأخرجوني من بلادي . فقال " ولم ؟ فو الله انك لتزين العشيرة ، وتعين على النائبة ، وتفعل المعروف ، وتكسب العدم ، ارجع ، فأنت في جواري . فرجع ... وكان لأبي بكر مسجد بفناء داره ، فكان إذا صلى فيه وقرأ القرآن بكى بكاء كثيرا ، فيجتمع اليه النساء والصبيان والعبيد يعجبون مما يرون من رقته ... فخشى رجال من قريش خطر هذا الأمر وتأثيره ، فمشوا إلى ابن الدغنة وشكوا له مما يفعله أبو بكر الصديق ـ ﷺ ـ وطلبوا منه ان يطلب منه الكف عن ذلك ، فذهب ابن الدغنة إلى أبي بكر وقال له : اني لم أجرك لتؤذي قومك ، فأتخذ مصلي غير هذا . فقال أبو بكر : أو غير ذلك ؟ فقال : وما هو ؟ قال : أرد عليك جوارك ، وارضى بجوار الله فقال : نعم ، فقال أبو بكر : فقد رددت عليك جوارك .فقال ابن الدغنة : يا معشر قريش ، إن أبا بكر قد رد علي جواري ، فشأنكم بصاحبكم .

وهكذا نلاحظ إن جميع الصحابة قد فضلوا العيش في مكة تحت وطأة الاضطهاد والأذى على التمتع بجوار مشروط يحد من حريتهم في الحركة والدعوة . أما من لم يستطيع الصبر على الأذى فقد مال نحو الهجرة خشية من الفتنة في دينه وعقيدته .

٤ . وان مما تجدر الإشارة اليه في هذا المجال ان الجوار الذي منحه أبو طالب للرسول ـ ﷺ ـ كان جوارا تاما خاليا من الشروط التي تقيد حرية الرسول ـ ﷺ ـ في الدعوة والعمل . وقد سعى رجال الملأ على حمل أبى طالب إلى تغيير موقفه ومنع الرسول ـ ﷺ ـ من مواصلة الدعوة ولكن كافة مساعيهم قد فشلت .. وتحمل أبو طالب وقومه الأذى والمقاطعة دفاعاً عن الرسول ـ ﷺ ـ ... ولم يتغير موقف بني هاشم

من الرسول ــ ﷺ ــ والدفاع عنه إلا بعد وفاة أبــــي طـــالب وانتقـــال زعامة العشيرة إلى عمــــه الآخــر ابــي لـــهب .. وكـــان معارضـــاً للرسول ــ ﷺ ــ متضامناً مع قومه في مقاومة الإسلام[٣٧] .

٥ . عند ذلك ، وجد الرسول ــ ﷺ ــ نفسه مضطراً للبحث عن ملجـــأ آمن في خارج مكة ، فهاجر إلى الطائف عسى ان يجد فيـــها الحمايـــة والنصرة ، ولكنه فوجئ بالأعراض والتكذيب والأذى ، فلم يكن موقـف أهل الطائف بأفضل من موقف أهل مكة منه .. فقرر العودة الى موطنه مكة[٣٨] . ولكن كيف ؟ .. لقد شعر الرسول ــ ﷺ ــ انه ليس بمقـدوره دخول مكة إلا بجوار أحد أسياد مكة ، وذلك لان عشيرته قد تخلت عـن حمايته ولا سيما بعد ان قرر اللجوء الى الطائف . فكأنه بهذا العمل قـد قرر خلع نفسه من عشيرته[٣٩] .

وهنا يقدم لنـــا الطـبري روايـــة مفصلـــة عـــن مفاوضـــات الرسول ــ ﷺ ــ للحصول على جوار أحد رجال مكة بشرط إلا يقيـــد ذلك الجوار حريته في إبلاغ رسالة ربه إلى الناس ، فقال : لما انصرف رسول الله ــ ﷺ ــ من الطائف مريدا مكة مر به بعض أهـــل مكـــة ، فقال له رسول الله ــ ﷺ ــ : " هل أنت مبلغ عني رسالة أرسلك بـــها ؟ قال : نعم . قال : أتِ الأخنس بن شريف ، فقل له : يقول لك محمد هل أنت مجيري حتى ابلغ رسالة ربي ؟ قال : فأتاه ، فقال له ذلك ، فقـــال الأخنس : ان الحليف لا يجير على الصريح . قال: فأتى النبي ــ ﷺ ــ

---

(٣٧) ابـــن هشـــــام ، الســـــيرة ، ق ١ ص ٢٦٤ ــ ٢٦٩ ، ص ٣٥٠ ــ ٣٥٤ ، ٤١٥ ــ ٤١٩ .

(٣٨) المصدر نفسه ، ق ١ ص ٤١٩ ــ ٤٢٠ .

(٣٩) الملاح ، د . هاشم يحيى ، الوسيط في السيرة النبويـــــة والخلافـــة الراشـــدة ، ص ١٦٧ .

فأخبره ، قال : تعود ؟ قال : نعم ، قال : آتِ سهيل بن عمرو ، فقل له : ان محمداً يقول لك : هل أنت مجيري حتى ابلغ رسالات ربي ؟ فأتاه فقال له ذلك ، قال : فقال : ان بني عامر بن لؤي لا تجير على بني كعب . قال : فرجع إلى النبي ـ ﷺ ـ ، فأخبره ، قال : تعود ؟ قال : نعم ، قال آت المطعم بن عدي فقل له : ان محمدا يقول لك : هل أنت مجيري حتى ابلغ رسالات ربي ؟ قال : نعم ، فليدخل ، قال فرجع فأخبره ، واصبح المطعم بن عدي قد لبس سلاحه هو وبنوه وبنو أخيه ، فدخلوا المسجد ، فلما رآه أبو جهل ، قال : أمجير أم متابع ؟ قال : بل مجير ، قال : فقال قد أجرنا من أجرت ، فدخل النبي ـ ﷺ ـ مكة وأقام بها[٤٠] .

يظهر من الرواية الآنفة الذكر ان الجوار عقد بين المستجير والمجير .. وان من حق كلا الطرفين ان يعرضا شروطهما للتفاوض ، فان اتفقا انعقد الجوار وإلا فلا جوار . كما يلاحظ دقة موقف المجير فهو لا يستطيع ان يمنح الجوار في مواجهة أناس أعلى منه منزلة في النظام القبلي ، فلا يستطيع الحليف ان يجير على الصريح . كما لا تستطيع العشيرة الضعيفة ان تجير على العشيرة الأقوى منها وهكذا .

٦ . ويبدو إن الرسول ـ ﷺ ـ قد استطاع ان يواصل نشاطه في نشر الدعوة في مكة بعد حصوله على حماية المطعم بن عدي حتى هجرته إلى المدينة المنورة بعد ان آمن به رجال من الاوس والخزرج وبايعوه في العقبة الثانية على المنعة والحماية والهجرة الى مدينتهم يثرب[٤١] .

---

[٤٠] الطبري ، محمد بن حرير ، تاريخ الرسل والملوك ، مصر ١٩٦٨ ، ج ٢ ص ٣٤٧ ـ ٣٤٨ ، انظر أيضا ، محمد بن سعد ، الطبقات الكبرى ، بيروت ١٩٦٠ ج ١ ص ٢١٢ .

[٤١] ابن هشام ، السيرة ، ق ١ ص ٤٤٢ .

وهنا ، قد يكون من المناسب ان نتساءل : هـــل تعـد المنعــة والحماية التي حصل عليها الرسول ــ ﷺ ــ في بيعة العقبة الثانية مــن أهل المدينة ضربا من ضروب الجوار ، وان الرسول ــ ﷺ ــ قد غـدا بموجبها جـــارا لأهلـــها ؟ ... الحقيقــة ان دراســة طبيعــة مركــز الرسول ــ ﷺ الذي نصت عليه بيعة العقبة الثانية تجعلنا نجيب علــى هذا التساءل بالنفي ، وذلك إنّ الأنصار من أهل المدينة كانوا قد آمنــوا بالرسول ــ ﷺ ــ وبايعوه على السمع والطاعة ، ومن ثم فقد ســـلموا قيادتهم له ، وتعهدوا بأن يحموه ويدافعوا عنه كما يدافعون عن أنفســهم وأهليهم . وبذلك اصبح الرسول ــ ﷺ ــ قائدا أعلى لــهم ، ورئيســا " للأمة ــ الدولة " التي ستنشأ في المدينة (يثرب) بعد هجرته إليـــها .. وهو سنوضحه في الصفحات التالية :

الجوار ووحدة المجتمع الإسلامي في المدينة :

كان أهل المدينة يعيشون حالة انقسام وتمزق داخلي حينما بدءوا اتصالاتهم بالرسول ــ ﷺ ــ في مكة ، وقد وصفوا لـــه هــذا الواقــع بصورة دقيقة ونقلوا اليه تطلعهم للوحدة تحت راية الدين الجديد وقيادتــه بقولهم : " انا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينــهم ، فعسى أن يجمعهم الله بك ، فسنقدم عليهم ، فندعوهـــم إلــى أمــرك ، ونعرض عليهم الذي أجبناك اليه من هذا الدين ، فان يجمعهم الله عليــه فلا رجل أعز منك "[٤٢] .

ومن ثم ، كان من الطبيعي إن يضع الرســـول ــ ﷺ ــ عنـد هجرته إلى المدينة على رأس اهتماماته إشاعة الوحدة والتعاون والحــب والسلام بين أهل المدينــة . لــذا فقــد روي ان أول مــا تحــدث بــه

---

[٤٢] المصدر نفسه ، ق ١ ، ص ٤٢٩ .

الرسول ـ ﷺ ـ بعد وصوله إلى المدينة قوله : " يا أيها الناس ، أفشوا السلام وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلون الجنة بسلام "[٤٣] .

أما على المستوى العملي فقد لاحظ الرسول ـ ﷺ ـ حين وصوله (قباء) في أطراف المدينة ونزوله في بني عمرو بن عوف من الاوس ان أحد أبناء الخزرج وهو سعد بن زرارة قد خاف ان يأتي للسلام عليه لأنه كان يخشى ان يثأر منه الاوس لأنه كان قد قتل أحد أبنائهم في حرب بعاث التي نشبت بين الاوس والخزرج قبل الهجرة بحوالي خمس سنوات . فلما علم الرسول ـ ﷺ ـ بالسبب ، قال : لسعد بن خيثمة ورفاعة ومبشر ابني عبد المنذر : أجيروه ، قالوا : أنت يا رسول الله فأجره فجوارنا في جوارك ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : يجيره بعضكم ، فقال سعد بن خيثمة : هو في جواري ، ثم ذهب سعد بن خيثمة إلى اسعد بن زرارة في بيته فجاء به مخاصرة يده في يده ظُهراً حتى انتهى به إلى بني عمرو بن عوف ، ثم قالت الاوس : يا رسول الله كلنا له جار ، فكان اسعد بن زرارة يغدو ويروح إلى رسول الله ـ ﷺ ـ[٤٤] .

ان التأمل في الحوار الذي دار بين الرسول ـ ﷺ ـ وبين بعض رجال الاوس حول منح الجوار لأسعد بن زرارة من الخزرج يوصلنا إلى انهم كانوا ينظرون إلى الرسول ـ ﷺ ـ بصفته قائدهم الأعلى ، لذا فقد أجابوه حين طلب منهم إن يجيروا سعد بن زرارة :

---

[٤٣] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ١ ص ٢٣٥ .

[٤٤] السمهودي ، نور الدين علي بن احمد ، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، حققه محمد محي الدين عبد الحميد ، بيروت ، ١٩٥٥ ، ج ١ ، ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠.

أنت يا رسول الله فأجره ، فجوارنا في جوارك . غير ان الرسول ـ ﷺ ـ فضل عدم استعمال هذا الحق في هذه المرحلة المبكرة من دخوله المدينة كي يؤكد موقفه المحايد من المنازعات التي كانت قائمة في المدينة قبل دخولهم في الإسلام .

لقد كانت صيغة (الجوار) من التقاليد العربية التي تنظم علاقات الأمن والحماية بين الأفراد وبين العشائر في المجتمع العربي ، فهل أقر الرسول ـ ﷺ ـ هذه الصيغة لتنظيم العلاقة بين المهاجرين من قريش وبين أبناء عشيرتي الاوس والخزرج الذين نزلوا عندهم وعاشوا إلى جوارهم ؟ .

لم تقدم لنا المصادر التاريخية نصوصا مباشرة وواضحة تساعدنا على الإجابة على هذا التساؤل ، لذا كان لا بد للباحث ان يعمل اجتهاده في استنتاج الإجابة من بعض الأوامر والتنظيمات التي أصدرها الرسول ـ ﷺ ـ في المدينة ولا سيما في السنة الأولى للهجرة ، والتي سنعرضها على النحو الآتي :

١ . أورد ابن كثيرا خبرا عن الأمام احمد بن حنبل يقول : انه قد خرج خمسمائة رجل من الأنصار في استقبال الرسول ـ ﷺ ـ عند دخوله المدينة وكان معه أبو بكر الصديق فقالوا لهما : " انطلقا آمنين مطاعين "[٤٥] . وهذا يدل على ان الأنصار كانوا يؤكدون بهذا القول تعهدهم في بيعة العقبة الثانية بحماية الرسول ـ ﷺ ـ وطاعته ، ومن ثم فانهم لم ينظروا إلى دخول الرسول ـ ﷺ ـ مدينتهم بصفته جارا أو حليفا ، وإنما دخلها بصفته (الرسول القائد) .

---

[٤٥] ابن كثير ، أبو الفداء ، السيرة النبوية ، بيروت (دار الكتب العلمية ، بلات ، ج ١ ص ٣٨١ ـ ٣٨٢ .

٢ . غير ان البيهقي في دلائل النبوة والحاكم في المستدرك يوردان حديثا غريبا قد يتعارض في مدلوله ظاهريا مع هذا الخبر . يقول نص الحديث : " قدم رسول الله ـ ﷺ ـ المدينة فلما دخلها جاء الأنصار برجالها ونسائها فقالوا : " إلينا يا رسول الله . فقال : دعوا الناقة فإنها مأمورة ، فبركت على باب ابي أيوب . فخرجت جوار من بني النجار يضربن بالدفوف وهن يقلن :

نحن جوار من بني النجار يا حبذا محمدا من جار

فخرج إليهم رسول الله ـ ﷺ ـ فقال : أتحبونني ؟ فقالوا : أي والله يا رسول الله فقال : وأنا والله أحبكم ، وأنا والله أحبكم ، وأنا والله احبكم[٤٦].أن التأمل في هذا الحديث يوصلنا إلى ان الرسول ـ ﷺ ـ قد اقر وصفه في هذا البيت من الشعر بأنه : " جار " لأنه نزل بجوار أهل المدينة أو بجوار بني النجار . ولكن الجمع بين هذا الخبر وبين الخبر الذي سبقه وكافة الأخبار الأخرى عن بيعة العقبة الثانية وغيرها توصلنا إلى أن الرسول قد وافق على وصفه بـ (الجار) ليس بصفته حليفا يعيش تحت حماية الأنصار وانما بصفته قائدهم ويعيش بجوارهم بمفهوم الجوار المكاني . وهذا هو عين ما كان يراه المسلمون جميعا من المهاجرين والأنصار ، أما المنافقين فقد كانوا يعدون الرسول ـ ﷺ ـ حليفا استطاع أن يغلبهم على زعامة قومهم ... !! ... لذا فقد أشار القرآن الكريم إلى قول زعيم المنافقين عبد الله بن أُبي وهو يتوعد الرسول ـ ﷺ ـ أثناء الفتنة التي ظهرت في غزوة بني المصطلق: قوله تعالى: ((لَئِن رَّجَعنَا إِلى المدَينةِ لَيُخرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنَها الأَذَلَّ))[٤٧] .

---

[٤٦] المصدر نفسه ، ج١ ص ٣٨٤ ـ ٣٨٥ ، انظر أيضا أبيات شعرية لحسان بن ثابت ، ابن هشام ، السيرة النبوية ، ق١ ، ص ٦٦٤ .

[٤٧] سورة المنافقين ، آية ٨ .

كما أورد ابن شبه أقوالاً تظهر حزنه على فقدانه زعامة قومه لصالح الرسول ـ ﷺ ـ نحو قوله : " غلبني على قومي من لا قوم له "[٤٨] !! و " يا بني الاوس يا بني الخزرج ، عليكم صاحبكم وحليفكم "[٤٩] ...

٣ . يبدو مما تقدم ، أن الرسول ـ ﷺ ـ قد وجد أن صيغة الجوار القائمة في المجتمع العربي (القبلي) قد أدت مفعولها في الحد من الآثار السلبية للصراع القبلي . وكان لها آثارها الإيجابية في تنمية روح التعاون والتكافل بين الناس . ومن ثم ، فانه ليس بالإمكان قبولها من دون تعديل في ظل مفاهيم الإسلام التي تسعى لإقامة أمة واحدة من دون الناس في إطار من التقوى وطاعة الله ورسوله .

وهكذا ، فقد عمل الرسول ـ ﷺ ـ على تنظيم الأوضاع في المدينة على وفق أسس جديدة لا تتنكر لفضائل العرب القديمة كالجوار والتحالف .. ولكن بعد تعديل مفهومها وأهدافها لتنسجم مع القيم والتعاليم التي جاءت بها الرسالة الإسلامية وكان من ابرز هذه التنظيمات (المؤاخاة) بين المهاجرين والأنصار .

يقول ابن سعد : " لما قدم رسول الله ـ ﷺ ـ المدينة آخى بين المهاجرين بعضهم لبعض ، وآخى بين المهاجرين والأنصار ، آخى بينهم على الحق والمؤاساة ، ويتوارثون دون ذوي الأرحام "[٥٠] . وقد أعلن الرسول ـ ﷺ ـ هذه المؤاخاة في السنة الأولى من الهجرة ، وربما كان ذلك في الشهر الخامس منها والمسجد يبنى . وقد ذكر ابن

---

[٤٨] ابن شبه النميري ، عمر ، كتاب تاريخ المدينة المنورة ، حققه فهيم محمد شلتوت مكة ١٩٧٩ ، ج ١ ص ٣٦٦ .

[٤٩] المصدر نفسه ، ج ١ ص ٣٦٦ .

[٥٠] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ١ ص ٢٣٨ .

سعد إن الرسول ــ ﷺ ــ حالف بين المهاجرين والأنصار في دار أنس بن مالك ــ ﷺ ــ [٥١].

أن دراسة هذا النص تحملنا على ملاحظة ان الرسول ــ ﷺ ــ حاول من خلال حلف المؤاخاة هذا أن يتجاوز صيغة العلاقات القبلية فهو قد أطلق على الاوس والخزرج تسمية (الأنصار) لأنهم قاموا بنصرة المهاجرين من قريش ، وهي تسمية إسلامية جديدة ، كما أطلق على المسلمين من قريش اسم (المهاجرين) ، وهي الأخرى تسمية إسلامية جديدة تنسجم مع روح العهد الجديد ، كقوله تعالى : ((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وهَاجَرُا)) ، ((والذِينَّ آمُنوا وهاجروا))[٥٢].

وقد أطلق الرسول على هذا التحالف بين المهاجرين والأنصار اسم (المؤاخاة) لأن المؤاخاة تتضمن معنى المساواة والتكافل والتعاون بين المتحالفين على خلاف تحالف (الجوار) الذي يعطي مقاماً ارفع لمن يمنح الجوار ويجعل من المستجير الذي يعيش تحت حماية الجار بمثابة مولى يدين بالتبعية والولاء لجاره . فاعلان المؤاخاة كما يؤكد بعض الباحثين كان " يعود بالدرجة الأولى إلى رغبة الرسول ــ ﷺ ــ في إلا يعامل الأنصار المهاجرين معاملة الحلفاء لأن الحليف على وفق التقاليد العربية اقل منزلة في القبيلة من الابن الصريح ، وذلك لان الحليف يعيش تحت حماية القبيلة ، ويورث من قبلها ان توفي . كما ان ديته هي نصف دية الصرحاء ولا يقتل الصريح بالحليف "[٥٣] .

---

(٥١) المصدر نفسه ، ج ١ ص ٢٣٩ .

(٥٢) القرآن الكريم ، سورة الأنفال : ٧٢ ــ ٧٤ .

(٥٣) العسلي ، د . خالد ، نظام المؤاخاة في عهد الرسول ، مجلة دراسات للأجيال ، العددان ٤ و ٥ بغداد ، ١٩٨٣ ، ص ٢٧ .

في ضوء ما تقدم فقد اصبح المجتمع الإسلامي الجديد مؤلفاً من أفراد متساوين تقوم العلاقات بينهم على أساس الاخوة في الدين ، وليس على أساس العصبية القبلية وما ينشأ عنها من تحالفات . وقد أكد القرآن الكريم أن هذا الوضع الجديد هو من نعم الله التي ينبغي على المسلمين ان يشكروا الله عليها ويعتصموا بها : "((واعتَصِمُوا بحبلِ الله جميعاً ولا تَفَرَّقُوا واذكُرُوا نِعمَتَ اللهِ عليكم ، إذ كُنتُم أعداءً فألَّفَ بينَ قُلُوبِكُم فَأَصبَحتُم بنعمتِهِ إخواناً)) "(٥٤) .

٤ . وتعد (الصحيفة) التي أعلنها الرسول ـ ﷺ ـ في المدينة لتنظيم العلاقات بين سكانها بمثابة دستور يحدد حقوق وواجبات كل طرف من أطرافها . وقد تضمنت هذه الصحيفة عدداً من النصوص المهمة التي توضح مفهوم الإسلام عن الجوار ومنهج الرسول ـ ﷺ ـ في توظيفه لخدمة وحدة الأمة والمجتمع في المدينة . ومن اجل وضوح العرض وتماسكه فإننا سنقوم بتنظيم ما ورد في الصحيفة عن الجوار على أساس موضوعي وعلى النحو الآتي :

أ ـ أن صاحب السيادة أو الحاكمية الذي يملك الحق في منح الجوار بصورة مطلقة هو الله تعالى . وقد أوضح القرآن الكريم هذا المعنى في عدد من الآيات المكية نحو قوله تعالى : " قُل مَن بيدِهِ ملكوتُ كُلِّ شَيءٍ وَهُوَ يُجيرُ ولا يُجَارُ عَليهِ "(٥٥) . وقوله تعالى : " قُل أَرايتمُ إن أهلَكَنِي اللهُ ومَن مَّعِيَ أَورَحِمَنا فَمَن يُجِيرُ الكافِرينَ مِن عذابٍ أَليمٍ "(٥٦) .

ب ـ ربطت الصحيفة بين جوار الله تعالى وجوار رسوله ـ ﷺ ـ ، وذلك لأن محمداً ـ ﷺ ـ هو رسول الله ، وهو لا ينطق عن الهوى ان

---

(٥٤) سورة آل عمران ١٠٣ .

(٥٥) سورة المؤمنون : آية ٨٨ .

(٥٦) سورة الملك : آية ٢٨ .

هو إلا وحي يوحى . ومن ثم إن من واجب المسلمين طاعة أوامره لأن من يطع الرسول فقد أطاع الله . وهكذا فقد نصت الصحيفة على ان " الله جار لمن بر وأتقى ، ومحمد رسول الله ـ ﷺ ـ ... "[٥٧] . ومعنى ذلك ان الله تعالى ورسوله يمنحان الحماية لكل من التزم بأحكام هذه الصحيفة بدقة (نصا وروحا) .

جـ ـ نصت الصحيفة على انه لا يجوز لأحد من أهل المدينة ان يمنح الجوار إلا بأذن صاحب السلطة والحق في منحه ، وهو الله تعالى ورسول محمد ـ ﷺ ـ ، وان أي خلاف أو نزاع بين أصحاب هذه الصحيفة يهدد أوضاع المدينة بالخطر فان أمر الحكم فيه وتسويته يرد إلى الله ورسوله : " وانه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها ، وانه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو أشتجار يخاف فساده فان مرده إلى الله عز وجل ، والى محمد رسول الله ـ ﷺ ـ "[٥٨] . وان مما يوضح أبعاد هذا النص ان الصحيفة قد حرمت على أهل المدينة منح الحماية والجوار لمن يرتكب جناية أو عدوان ضد الآخرين ولو كان ولد أحدهم ، وان عليهم التعاون في إيقاع العقوبة عليه[٥٩] . وهذا يعني ان منح الجوار قد اصبح حقا من حقوق السيادة العامة التي تعود إلى الله ورسوله[٦٠] ، ومن ثم ، فانه لم يعد من حق أي فرد من أفراد المجتمع أن يمنح الجوار إلا بعد اخذ موافقة الرسول ـ ﷺ ـ على ذلك ، وانه إذا منح هذا الجوار فان نفاذه معلق على إقرار الرسول ـ ﷺ ـ

---

[٥٧] ابن هشام ، السيرة ، ق ١ ص ٥٠٤ .

[٥٨] المصدر نفسه ، ق ١ ، ص ٥٠٤ .

[٥٩] المصدر نفسه ، ق ١ ، ص ٥٠٢ .

[٦٠] الشريف ، احمد إبراهيم ، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ، مصر ١٩٦٥ ص ٣٩٩ .

واجازته له ... وهكذا فقد اصبح أقصى ما يملكه المسلمون في هذا المجال لمعاونة الجاني هو (الشفاعة) له عند رسول الله ـ ﷺ ـ من اجل العفو عنه أو تخفيف العقوبة عليه ، إلا ان رسول الله ـ ﷺ ـ أوضح لهم إن الشفاعة لا تجوز في حقوق الله وهي التي أطلق عليها وصف (الحدود) . فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ : " ان قريشا أهمهم شأن المخزومية التي سرقت ، فقالوا من يكلم فيها رسول الله ـ ﷺ ـ ؟ فقالوا : ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد ـ رضي الله عنهما ـ حب رسول الله ـ ﷺ ـ ، فكلمه أسامة ـ ﷺ ـ فقال : أتشفع في حد من حدود الله تعالى ؟ ثم قام فاختطب ، ثم قال : إنما اهلك الذين من قبلكم انهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وايم الله لو إن فاطمة بنتُ محمد سرقت لقطعت يدها " أخرجه الخمسة . وفي رواية أبي داؤد والنسائي إن المرأة المخزومية كانت تستعير المتاع على السنة جاراتها ـ أي بواسطتهم ـ وتجحده أي تنكر استعارته[٦١] .

د ـ ان وحدة مركز القرار في منح الجوار في الأمة قد جعل ذمة المسلمين وعهدهم ذمة واحدة وان هذه الذمة كما نصت الصحيفة تنسب إلى الله تعالى " وان ذمة الله واحدة "[٦٢] . أما حق ممارسة الجوار من قبل أفراد الأمة فهم فيه متساوون لا يعلو فرد على آخر في هذا الحق بسبب شرفه أو منزلته الاجتماعية . إلا إن حق المسلمين في منح الجوار مقيد بأوامر الله ورسوله فلا يجوز لهم التجاوز على حدود الله ولا التعدي على سلطات الرسول ـ ﷺ ـ :" وان ذمة الله واحدة ،

---

[٦١] ابن الديبع الشيباني ، تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول ، مصر ١٩٣٤ ج ٢ ، ص ١٣ .

[٦٢] ابن هشام ، السيرة ، ق ١ ص ٥٠٢ .

يجير عليهم أدناهم . وان المؤمنين بعضهم أولياء بعض دون الناس "[٦٣] .

هـ – وانسجاما مع ذلك فقد نصت الصحيفة على منع أهل المدينة من مسلمين أو مشركين أو يهود أن يمنحوا الجوار لقريش أو من ناصرها لأنها كانت في حالة عداء وحرب مع المسلمين : " وانه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا ، ولا يحول دونه على مؤمن "[٦٤] ، وانه لا تجار قريش ولا من نصرها ، وان بينهم النصر على من دهم يثرب "[٦٥] .

لقد استطاع الرسول – ﷺ – من خلال هذه التنظيمات التي وضعها في السنة الأولى من هجرته إلى المدينة والتي هي امتداد للمبادئ التي جاء بها القرآن الكريم في الحقبة المكية ان يركز سلطة اتخاذ القرار في الأمور العامة بيده ومنها حق منح الحماية او الجوار للآخرين . وقد حفلت الحقبة المدنية بالكثير من قرارات منح الجوار التي اتخذها الرسول – ﷺ – أما مباشرة أو بناءا على طلب الآخرين . وسنعرض فيما يأتي لأهم تلك القرارات .

الجوار في الممارسة والتطبيق :

يعد الجوار أحد الوسائل السياسية التي استخدمها الرسول – ﷺ – في توثيق علاقاته مع بعض الأفراد والجماعات في داخل المدينة وخارجها كما انه كان وسيلة مهمة لمحاربة أعدائه من خلال عدم منحهم الجوار وحشد الآخرين إلى جانبه بغية الضغط عليهم وأضعافهم وحملهم على تغيير مواقفهم من الدعوة الإسلامية ، وهو

---

(٦٣) المصدر نفسه ، ق ١ ص ٥٠٢ .

(٦٤) المصدر نفسه ، ق ١ ، ٥٠٣ .

(٦٥) المصدر نفسه ، ق ١ ، ص ٥٠٤ .

الأمر الذي مارسه بوضوح ضد قبيلة قريش وحلفائها . وسنعرض فيما يأتي لبعض حالات الجوار التي توضح هذه الأهداف لمنح الجوار :

١ . حاول الرسول ـ ﷺ ـ الاستفادة من تقاليد العرب في منح الجوار للآخرين من اجل تأمين المناخ المناسب لأصحابه من اجل نشر الدعوة الإسلامية ، وقد عرضنا لعدد من هذه الحالات في الحقبة المكية ، وقد استمرت هذه السياسة في الحقبة المدنية ، إلا أنها لم تخل من اخفاقات بسبب الغدر وعدم قدرة من منح الجوار من الوفاء بعهده . وربما كان جوار أبى براء عامر بن مالك لأصحاب بئر معونة ابرز مثال على ذلك . فقد روى ابن إسحاق إن أبا براء قدم على رسول الله ـ ﷺ ـ فعرض عليه الإسلام ، فلم يسلم ولم يبعد من الإسلام . وقال : يا محمد لو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نجد ، فدعوهم إلى آمرك ، رجوت أن يستجيبوا لك ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : أني أخشى عليهم أهل نجد ، قال أبو براء " أنا لهم جار . فلما بعثهم رسول الله ـ ﷺ ـ إلى نجد لم يحترم قو أبي براء جواره واعتدوا على أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ فقتلوهم جميعا إلا كعب بن زيد ، فانه نجى من الموت بعد أن أصابته جراح بليغة[٦٦] .

وهنالك واقعة أخرى قريبة الشبه بهذه الحادثة ، فقد أدرك الحارث بن سنان الإسلام ، " وبعث النبي ـ ﷺ ـ معه رجلا من الأنصار ليدعو أهله في جواره إلى الإسلام ، فقتله رجل من بني ثعلبة ، فبلغ ذلك النبي ـ ﷺ ـ فقال لحسان : قل فيه ، فقال حسان بن ثابت :

يا جار من يغدر بذمة جاره   منكم فان محمدا لم يغدر
وأمانة المري ما استرعيته   مثل الزجاجة صدعها لم يجبر

---

(٦٦) المصدر نفسه ، ق ١ ، ص ١٨٣ ـ ١٨٥ .

ان تغدروا فالغدر منكم عادة والغدر ينبت في أصول السخبر

فبعث الحارث يعتذر ، وبعث بدية الرجل ، ففرقها النبي ـ ﷺ ـ على أهله "[٦٧] .

٢ . استخدم الرسول ـ ﷺ ـ منح الجوار وسيلة لتالف قلوب بعض الناس واجتذابهم إلى الإسلام . ومن الأمثلة على ذلك منحه الجوار لعيينة بن حصن ، فقد ذكر إن بلاد عيينة بن حصن أجدبت فخاف على قومه ومواشيهم من الهلاك فسار بهم حتى دخل في حمى المدينة ، وكانت في ذلك العام حسنة المرعى ، " فأتى النبي ـ ﷺ ـ فدعاه إلى الإسلام فلم يبعد ولم يدخل فيه ، وقال : أني أريد ان أدنو من جوارك فوادعني فوادعه ثلاثة أشهر ، فلما انقضت المدة انصرف عيينة وقومه إلى بلادهم وقد اسمنوا والبنوا وسمن الحافر من العليان (وهو نوع من النباتات).. "[٦٨].غير ان عيينة قد قابل معروف الرسول ـ ﷺ ـ واحسانه بضدة فقام بالإغارة على جمال الرسول ـ ﷺ ـ كانت ترعى في أطراف المدينة فقال له الجارود بن عوف " ما جزيت محمداً ، سمنت في بلاده ثم غزوته ، قال : هو ما ترى . وقال رسول الله ـ ﷺ ـ : الأحمق المطاع "[٦٩] .

٣ . عملاً بقول الله تعالى : "((وإِن أَحّدُ مِنَ المَشرِكِينَ أستجارَكَ فـأَجِرهُ حَتَّى يَسمعَ كلامَ الله ثُمَّ أَبلِغَهُ مَأمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهمُ قَومٌ لا يعلمونَ)) "[٧٠]

---

[٦٧] ابن دريد الازدي ، محمد بن الحسن ، كتاب الاشتقاق ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، بغداد ١٩٧٩ ، ج ٢ ص ٢٨٨ .

[٦٨] ابن قتيبة الدينوري ، عبد الله بن مسلم ، المعارف ، بيروت ١٩٨٧ ، ص ١٧١ .

[٦٩] المصدر نفسه ، ص ١٧١ .

[٧٠] سورة التوبة : آية ٦ .

والتزاماً بما نصت عليه الصحيفة بقولها : " ان ذمة الله واحدة ، يجير عليهم أدناهم "[٧١] . فقد أوردت لنا المصادر كثيراً من حالات الجوار التي بادر بعض المسلمين إلى منحها للمشركين ، كان اغلبها لغرض تأمين حياتهم وحمايتهم من القتل فأقر الرسول ـ ﷺ ـ جوارهم ، ربما لتأكيد وحدة الجماعة وتلاحمها ، وتألفا لقلوب المشركين الذين استجاروا بالمسلمين . وكان من ابرز هذه الحالات ، اجارة زينب بنت الرسول ـ ﷺ ـ لزوجها أبو العاص بن الربيع حينما وقعت تجارته غنيمة بيد المسلمين وكان آنذاك مشركا فلجأ إلى زوجته التي فرق الإسلام بينها وبينه مستجيرا بها فأجارته . فأقر رسول الله جوارها ، وكان ذلك سببا في إسلام أبى العاص[٧٢].وكذلك اجارة العباس عم الرسول ـ ﷺ ـ لأبي سفيان قبل فتح مكة واقرار الرسول ـ ﷺ ـ إجارته واجارة العديد من المسلمين للمشركين الذين أهدر الرسول ـ ﷺ ـ دماءهم قبل فتح مكة واقرار الرسول لفعلهم ، وكان ذلك سببا في إسلامهم وتألف قلوبهم[٧٣] .

ويبدو من دراسة مجموع حالات الجوار التي منحها المسلمون للمشركين في هذا المجال وقام الرسول ـ ﷺ ـ بإقرارها ، إنها لم تكن تجاوزا على سلطات الرسول ـ ﷺ ـ في منح الجوار وانما كانت مبادرات اجتهادية في منح جوار مؤقت معلق نفاذه واستمراره على موافقة الرسول ـ ﷺ ـ واقراره ـ فأن وافق الرسول ـ ﷺ ـ عليه

---

[٧١] ابن هشام ، السيرة ، ق ١ ، ص ٥٠٢ .

[٧٢] الطبري ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٤٧٠ ـ ٤٧٢ .

[٧٣] ابن هشام ، السيرة ، ق ٢ ، ص ٤٠٢ ـ ٤٠٣ ، ٤٠٩ ـ ٤١١ ، ٤١٧ ـ ٤١٩ .

صار نافذا وان اعترض عليه ولم يقره كان باطلا ولم تترتب عليه أية أثار .

٤ . وبعد فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة وانضمامها إلى دولة الرسول ـ ﷺ ـ في المدينة اصبح منح جوار الله ورسوله لمختلف القبائل والأقوام والمدن علامة على دخولها في طاعة الدولة الإسلامية وتمتعها بحمايتها . وقد حفظت لنا المصادر التاريخية كثيرا من العهود التي كتبها الرسول ـ ﷺ ـ لمختلف الأقوام يتعهد فيها بمنحها (جوار الله وجوار رسوله) إذا التزموا بشروط العهد نحو عهده لأهل نجران. وحضرموت وقنا وغيرهم[٧٤]. وهكذا اصبح جوار الله ورسوله علامة على امتداد الأمان والسلم الإسلامي إلى كافة الأقاليم التي تخضع للسلطة الإسلامية وأحكام شريعة الإسلام ، سواء أكان أهلها من المسلمين أم من أهل الذمة . ولم يعد من الجائز ان يقوم عامة الأفراد بمنح الحماية والجوار لمن يستجير بهم كما كان الأمر عند العرب قبل الإسلام ، بل اصبح ذلك من اختصاص الرسول ـ ﷺ ـ أو من يخوله ممارسة ذلك ، لأن الجوار بهذا المفهوم قد اصبح حقا من حقوق السيادة . وغدا من واجبات الدولة ان تكفل للأفراد والجماعات الذين يعيشون فيها الأمن والسلام والحماية ، ومن ثم فقد تلاشت الأسباب والمبررات التي كانت تفرض على بعض الأفراد الأقوياء من زعماء العشائر وغيرهم منح الجوار لمن يستجير بهم من الضعفاء والمحتلجين وغيرهم[٧٥] . ولكن هل أدى هذا التحول الجذري في أوضاع المجتمع

---

[٧٤] الحيدر آبادي ، محمد حميد الله ، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، القاهرة ١٩٥٦ ، ص ٥٤ ـ ٥٧ ، ١١٥ ـ ١٢٨ .

[٧٥] الزناتي ، محمود سلام ، نظم العرب قبل الإسلام ، القاهرة ١٩٩٢ ص ١١٩ ـ ١٢٠ .

والدولة إلى اختفاء الجوار من المجتمع العربي في ظل الحكم الإسلامي أم انه استمر بعد ان اتخذ له مفهوما آخر ينسجم مع روح العهد الجديد ؟

الجوار والتكافل الاجتماعي في الإسلام :

بعد إن تولت الدولة مسؤولية حماية حياة الأفراد وأموالهم وعرضهم وكل ما قررته لهم الشريعة الإسلامية من حقوق وعلى رأسها حقهم في المساواة ، وان المسلمين بعضهم أولياء بعض لم يعد للجوار بمفهومه القبلي القديم من مكان في المجتمع الإسلامي إلا في حالة ضعف الدولة وتلاشي تأثيرها . ومن ثم فقد أعطى القرآن الكريم والسنة النبوية للجوار مفهوما أخلاقيا ودينيا يقوم على واجب تعاون وتكافل الجيران مع بعضهم في السراء والضراء فقال تعالى : "((واعبُدُوا اللهَ ولا تُشرِكُوا بِهِ شيئاً وبِالوالدين إحَساناً وبِذِي القُربَى واليَتامى والمساكينِ والجارِ ذي القُربَى والجَارِ الجُنُبِ والصَّاحِبِ بالجَنبِ وابنِ السبيلِ ، ومَا ملَكَت أيَمانُكم ، إنَّ اللهَ لا يُحبُ من كانَ مُختالاً فَخوراً "[٧٦] . يقول القرطبي في تفسير هذه الآية ، إنها آية مدنية محكمة ليس منها شيء منسوخ ، وقد أمر الله تعالى فيها بحفظ الجار والقيام بحقه والوصاة برعي ذمته في كتابه وعلى لسان نبيه إلا تراه سبحانه أكد ذكره بعد الوالدين والأقربين ، فقال تعالى : (والجار ذي القربى) المسلم ، (والجار الجنب) اليهودي والنصراني . أما (الجار بالجنب) فهو الرفيق في السفر ، وقد روي إن مروءة السفر بين المتجاورين فيه : بذل الزاد ، وقلة الخلاف على الأصحاب ، وكثرة المزاح في غير مساخط الله . وقد قيل إن (الصاحب بالجنب) هي الزوجة ويرى

---

[٧٦] سورة النساء : آية ٣٦ .

القرطبي إن القول الأول هو الأصح ، وقد تتناول الآية الجميع بالعموم ، والله أعلم .

وهكذا يتوصل القرطبي[٧٧] " إن الوصاة بالجار مأمور بها ، مندوب إليها مسلما كان أو كافرا ، وهو الصحيح ، والاحسان قد يكون بمعنى المواساة ، وقد يكون بمعنى حسن العشرة وكف الأذى والمحاماة دونه . روى البخاري عن عائشة عن النبي ـ ﷺ ـ قال : " ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه ... "[٧٨] .

وقد اختلف الناس في حد الجيرة " فكان الاوزاعي يقول : أربعون دارا من كل ناحية ، وقاله ابن شهاب (الزهري) ، وروي إن رجلا جاء إلى النبي ـ ﷺ ـ فقال : اني نزلت محلة قوم ، وان أقربهم ألي جوارا أشدهم لي أذى ، فبعث النبي ـ ﷺ ـ أبا بكر وعمر وعليا يصيحون على أبواب المساجد : إلا أن أربعين دارا جار ، ولا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه . وقال علي بن ابي طالب : من سمع النداء فهو جار . وقالت فرقة : من سمع إقامة الصلاة فهو جار ذلك المسجد . وقالت فرقة : من ساكن رجلا في محلة أو مدينة فهو جار . قال الله تعالى : (لئن لم ينته المنافقون) إلى قوله (ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا) فجعل الله تعالى اجتماعهم في المدينة جوارا "[٧٩] .

وقد أوصى الرسول ـ ﷺ ـ المسلمين في الإحسان إلى الجار وبره في أحاديث كثيرة قد تزيد على الستين حديثا[٨٠] ، إلا إن اجمع

---

[٧٧] القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ٥ ، ص ١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٨٨ ـ ١٨٩ .

[٧٨] المصدر نفسه ، ج ٥ ، ١٨٤ .

[٧٩] المصدر نفسه ، ج ٥ ، ١٨٥ .

[٨٠] للتفصيل يراجع ، الجبوري ، الجوار دراسة في المفهوم ، ص ٥٨ ، ٦٣ .

حديث وأشمله في الوصية بالجار الحديث الذي رواه معاذ بن جبل ، قال : قلنا يا رسول الله ، ما حق الجار ؟ قال : ان أستقرضك أقرضته ، وان أستعانك أعنته ، وان احتاج أعطيته ، وان مرض عدته ، وان مات تبعت جنازته ، وان أصابه خير سرك وهنيته ، وان أصابته مصيبة ساءتك وعزيته ، ولا تؤذه بقتار قدرك إلا أن تغرف له منها ، ولا تستطل عليه بالبناء لتشرف عليه وتسد عليه الريح إلا بإذنه ، وان اشتريت فاكهة فأهد له منها وإلا فأدخلها سرا لا يخرج ولدك بشيء منه يغيظون به ولده ، وهل تفقهون ما اقول لكم ، لن يؤدي حق الجار إلا القليل ممن رحم الله "[81] . يظهر مما تقدم ، إن الإسلام قد أقر الجوار باعتباره قيمة أخلاقية عليا .. ثم عمل على جعل الجوار بمعنى منح الحماية والامان للأفراد والجماعات من اختصاصات الدولة . أما الجوار بمفهوم التعاون والتكافل بين أفراد المجتمع ، فقد جعله من واجبات الأفراد كافة التي ينبغي عليهم احترامها ومراعاة متطلباتها مراعاة كاملة .

---

[81] القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ٥ ، ص ١٨٨ ، راجع أيضا ، د . عبد الكريم زيدان المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم ، بيروت ١٩٩٤ ، ج ٤ ، ص ٤١ ـ ٥١ .

السؤال التعليمي من منظور إسلامي
وتوظيفه تربوياً

الأستاذ الدكتور
حسن علي فرحان العزاوي
كلية التربية / جامعة بغداد

المدرس المساعد
ياسر خلف الشجيري
كلية التربية / جامعة الانبار

الملخص :

يتلخص هذا البحث بان هناك عدداً من المدرسين ، والعاملين في ميدان التربية والتعليم يعانون من صعوبات في إعداد الأسئلة ، وتوجيهها .

وهذا البحث سيساعدهم في تذليل هذه الصعوبات من خلال توضيح القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة للسؤال التعليمي ، وصوره المتعددة ، فضلاً عن المنظور الحديث للسؤال التعليمي وأهميته في الصف ، والأغراض التربوية التي يحققها المدرس من أسئلته التعليمية الصفية .

وسيجد المدرسون والمختصون بالتربية والتعليم في هذا البحث إرشادات تربوية واضحة في كيفية صياغة السؤال التعليمي وتوجيهه ، وتوظيفه في الميدان التربوي .

مشكلة البحث :

يمكن تحديد مشكلة البحث كما يأتي : يواجه المدرسون وغيرهم من العاملين في مجالات التربية والتعليم ، صعوبة حقيقية في إعداد الأسئلة التعليمية وتوجيهها ، وتوظيفها لتحقيق الأهداف التربوية التي يسعون لها وذلك بسبب صعوبة إعداد هذه الأسئلة من ناحية ، وقلة خبرتهم في مجال الإعداد لها . (ملحم ، ٢٠٠٠ ، ص ٢٦٩) .

وهذه المشكلة أكدتها دراسة (الراوي ٢٠٠٣م) بأنه من خلال المتابعة الميدانية لمدرّسي مادة التربية الإسلامية ومدرساتها فيما له علاقة بالأسئلة ، وجد : " أن معظم المدرسين يعانون من ضعف واضح في صياغة الأسئلة ، والتنويع في مستوياتها ،... وان عدداً غير قليل من مدرسي مادة التربية الإسلامية ومدرساتها هم دون المستوى المطلوب من حيث المهارات اللازمة لاداء عملهم سواء أكان ذلك في الجانب العلمي ام في الجانب المهني " . (الراوي ،٢٠٠٣، ص١) .

أهداف البحث وأسئلته :

يهدف هذا البحث الى الإجابة عن الأسئلة الآتية :

١. ما هو مفهوم السؤال التعليمي لغة واصطلاحاً ؟
٢. ما هي صور السؤال التعليمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ، وأغراضه التربوية ؟
٣. ما أهمية السؤال التعليمي في حجرة الصف ؟
٤. ما الأغراض التربوية التي يمكن ان يجنيها المدرّس من أسئلته التعليمية الصفية ؟
٥. ما هي شروط صياغة الأسئلة ؟
٦. ما هي إرشادات توجيه الأسئلة ؟

٧.ما هي إرشادات تلقي الإجابة عن الأسئلة التعليمية ؟

٨.ما هي أنواع السؤال التعليمي ؟

٩.كيفية توظيف السؤال التعليمي في الميدان التربوي ؟

أهمية البحث :

تأتي أهمية هذا البحث من كونها محاولة الكشف عن مفهوم السؤال التعليمي من منظور إسلامي ، وتوظيفه تربوياً ، بما يخدم مدرّسي مادة التربية الإسلامية ومدرساتها ، ولمعالجة الصعوبة في إعداد الأسئلة التعليمية وتوجيهها ، وتوظيفها لتحقيق الأهداف التربوية المنشودة ، ذلك لان معرفة شروط السؤال التعليمي ، وإرشادات توجيهية ، وتلقي الإجابة عنه يسهم في معالجة تلك الصعوبة ، كما انها تفيد المدرسين على التوافق السليم مع العملية التدريسية ، وجعل المدرسين اكثر إثارة وتشويقاً ، وإذا كان الهدف من التدريس إشراك اكبر عدد ممكن من الطلبة في الدرس فان الأسئلة تكون إحدى الوسائل الأساسية لهذه المشاركة .

ان للأسئلة منزلة كبيرة في التدريس ، بل بالغ قسم من التربويين في إظهار مكانة الأسئلة وأثرها في العملية التعليمية ، فعقدوا بين المدرس والأسئلة معادلة رياضية ، جاءت على النحو الآتي :

المدرس = أسئلة

وبقدر ما يقدم من أسئلة تكون قيمته، ومهما تنوعت الأساليب والطرائق التي تعرض بها المادة ، سواء اتخذت شكل المحاضرة ام المناقشة ام الاستقراء ام غيرها، من الطرائق ، فان الأسئلة تقع في صلب العملية التعليمية، وضرورة لا غنى عنها في عملية التعليم(حميدة ١٩٨٦ص٣).

فالأسئلة تساعد على جذب انتباه الطلبة للدرس ، وتشيع حب

الاستطلاع لديهم بطريقة منظمة وفعالة ، كما انها تشارك في مساعدة المدرس للكشف عن مواطن القوة والضعف عند الطلبة ، ومعالجة الفروق الفردية عندهم ، وتزويدهم بالتغذية الراجحة ، وجعل المتعلم محور العملية التعليمية .

ولأهمية الأسئلة وتأثيرها المتميز في العملية التربوية اجري الكثير من البحوث والدراسات التي تناولت الأسئلة التعليمية الصفية ، ومنها (Stevens ١٩١٢) ودراسة (Floyed١٩٦٠) ودراسة(Schreiber١٩٦٧) وغيرها من الدراسات التي أسفرت نتائجها جميعا عن ان الغالبية العظمى من أسئلة المدرسين كانت من المستويات الدنيا ودون المستوى المطلوب مع ضعف في الإعداد والتوجيه التلقي(حميدة ، ١٩٨٦ ص٤) ويمكن تلخيص أهمية البحث الحالي بالنقاط الآتية :

١. يعد هذا البحث من المحاولات التي تساعد على تحسين عملية التعليم والتعليم عن طريق تبصير المدرسين والمدرسات بالأساليب التعليمية الفاعلة والاستراتيجيات المهمة في العملية التدريسية .

٢. قد تعمل نتائج هذا البحث في مساعدة المدرس على اكتساب المهارات اللازمة لاعداد السؤال التعليمي وتوجيهه، وتلقي الإجابة عنه.

٣. يزود كل من (المدرس والطالب) بتقويم ذاتي لعمله،ومستوى أدائه ومجالات تلافي الثغرات،ونقاط القوة والضعف من اجل إزالة كل ما يعيق تحقيق الأهداف التربوية المنشودة .

منهجية البحث :

اعتمدت الدراسة الحالية على المنهج الوصفي على اعتبار انها تنصب على استقصاء ظاهرة من الظواهر كما هي قائمة في الوقت

الحاضر ، بقصد تشخيصها وكشف جوانبها ، وتحديد العلاقات بين عناصرها او بينها وبين الظواهر الأخرى .

ويعد المنهج الوصفي الأكثر شيوعاً بين جمهور الباحثين في الوقت الحاضر نتيجة صعوبة استعمال الأساليب الأخرى في البحث، لاسيما ما يتعلق منها بالأسلوب التجريبي، وقد لجأ الباحثان الى هذا المنهج ، لانه من أهم أهدافه في البحث هو فهم الحاضر من اجل توجيه المستقبل فالبحث الوصفي يوفر بياناته وحقائقه واستنتاجاته الواقعية باعتبارها خطوات تمهيدية لتحولات تعد ضرورية نحو الأفضل وعليه ، فقد تمت مراجعة الأدبيات والدراسات المتيسرة بشأن المحاور الأساسية للدراسة وتحليلها ، لاستخلاص المؤشرات العامة التي تيسر الإجابة عن الأسئلة المشار اليها في أسئلة البحث من اجل تحقيق أهداف البحث .

السؤال في القرآن الكريم :

بلغت كلمة (سأل) ومشتقاتها في القرآن الكريم (٥٦) مفردة وبلغ مجموع تكرار هذه المفردات في آيات القرآن الكريم (١٢٧) مرة ، وردت في (٤٧) سورة ومن حكم نزول القرآن منجماً في ثلاث وعشرين سنة ، انه كان يجيب عن أسئلة الذين عاصروا نزوله .

وقد سجل القرآن الكريم جملة من الأسئلة وأجوبتها اتخذت صوراً منها:

١.سؤال المؤمنين للرسول (ﷺ):المؤمنون سألوا الرسول محمد (ﷺ) فيما يختص ببيان الأحكام التي تدعوا اليها حاجتهم ، وردت هذه الأسئلة في السور المدنية : البقرة، والمائدة ، والأنفال ... وغيرها ومن المعلوم ان السور المدنية هي التي قامت بمهمة التشريع التفصيلي لاحكام الدين.فقد سألوا عن رفع الصوت في العبادة

والدعاء ، فقال تعالى :" وإذا سَأَلَكَ عِبادِي عَني فَإني قَرِيبٌ أُجِيبُ دعوةَ الداعِ إذا دعانِ " [**سورة البقرة / الآية ١٨٦**] .

وسألوا عن الهلال يبدو في أول الشهر دقيقاً مثل الخيط ، ثم يعظم حتى يستوي ويستدير ، ثم يعود كما كان . فنزل قوله تعالى : " يَسألونَكَ عن الأهلةِ قُل هيَ مَواقيتُ للناسِ والحَجِ[**سورة البقرة / الآية ١٨٩**] . وسألوا عما ينفقون ، وعلى من ينفقون ، فنزل قوله تعالى :" يَسألُونَك ماذا يُنفِقُونَ قُل ما أنفقتُم مِن خيرٍ فللوالدينِ والأقربينَ واليتامى والمساكينِ وابنِ السبيلِ ، وما تفعلُوا مِن خَيرٍ فَإنَّ الله بهِ عَليمٌ[**سورة البقرة / الآية ٢١٥**] .ونزل قوله تعالى :" ويَسألونَكَ ماذا يُنفقُونَ قُلِ العَفوَ"[**سورة البقرة/الآية ٢١٩**] . وسألوا عن شؤون القتال ، فنزل قوله تعالى :" يسألونَكَ عَنِ الشهرِ الحرامِ قتالٍ فيهِ، قُل قِتَالٌ فيهِ كبيرٌ "[**سورة البقرة/ الآية ٢١٧**] .

وسألوا عن توزيع الغنائم ، فنزل قوله تعالى : " يَسألونَكَ عن الأنفالِ قُلِ الأنفالُ للهِ والرسولِ فاتقوا الله واصلحوا ذاتَ بينكُم وأَطيعُوا اللهَ ورسولَهُ إن كُنتُم مؤمنينَ " [**سورة الأنفال / الآية ١**] .

وسألوا عن حكم الخمر والميسر ، فنزل قوله تعالى : " يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس ، وإثمهما اكبر من نفعهما " [**سورة البقرة / الآية ٢١٩**] .

وسألوا عن اليتامى،والمحيض،والأطعمة،وأحكام الأسرة،والميراث ومن الملاحظ ان أحكام الأسرة والميراث جاءت بصيغة (يستفتونك).قال تعالى:"ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون ان تنكحوهن[**سورة النساء/الآية١٢٧**] وقوله تعالى : " يستفتونك

قل الله يفتيكم في الكلالة " [**سورة النساء / الآية ١٧٦**] والكلالة : هو الميت لا ولد له ولا والد .

٢.سؤال غير المؤمنين لرسول الله ـ ﷺ ـ الكافرون والمنافقون يسألون رسول الله ـ ﷺ ـ للتعجيز والاستنكار ، لا كما يفعل المؤمنون بسؤالهم إياه للإتعاض والاستفسار .

فغير المؤمنين سألوا رسول الله ـ ﷺ ـ أسئلة تحمل روح الجدل والتحدي فيما يختص بالدعوة ، وقد ورد أكثرها في السور المكية التي قامت بمهمة الدعوة والإرشاد الى أصول الدين (**الصلطي٢، ٢٦١/١٩٩٧**) فكان منها السؤال عن الساعة. قال تعالى :"يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي[**سورة الأعراف / الآية ١٨٧**] " يسألونك عن الساعة أيان مرساها . فيم أنت من ذكراها الى ربك منتهاها " [**سورة النازعات / الآية ٤٢ ـ ٤٤**] .

ومنها السؤال عن الروح. قال تعالى:" ويسألونك عن الروح، قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا "[**سورة الإسراء/ الآية ٨٥**] .

ومنها السؤال عن السابقين مثل : السؤال عن ذي القرنين ، ومنها السؤال عن الجبال ، ومصيرها حيث البعث ، وغيرها .

٣.ان يطرح القرآن الأسئلة على لسان أنبيائه وقد وجهوها الى أقوامهم على سبيل المحاجة ، والمحاورة ، والبرهان ، على دعواتهم . (**العزام ، ١٩٩٤ ، ص ١٣٢**) .ومنها قوله تعالى على لسان إبراهيم وقومه:"واتل عليهم نبأ إبراهيم ، إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ؟ قالوا:نعبد اصناماً فنظل لها عاكفين . قال هل يسمعونكم إذ تدعون . او ينفعونكم او يضرون . قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ... "

[سورة الشعراء / الآيات ٦٩ ــ ٧٢] .

٤. ان يوجه القرآن الكريم الأسئلة مباشـــرة الـــى الكفــارعلى ســبيل الافحام.منها قوله تعالى :"أأنتم اشد خلقاً أم السماء بناها "[سورة النازعات/ الآية ١٧] وقوله تعالى : "افرأيتم الماء الذي تشربون أأنتم أنزلتموه مــن المُزْنِ ام نحن المُنْزِلُونَ " [سورة الواقعة / الآيتان ٦٨ ــ ٦٩] . وقوله تعالى : " أفلا ينظرون الى الإبل كيف خلقت، والى السماء كيف رفعت، والى الجبال كيف نصبت ، والى الأرض كيــف ســطحت " [ســورة الغاشية : الآيات ١٧ ــ ٢٠] .

٥. ان يذكر القرآن أسئلة وجهها الأنبياء الكرام للباري عز وجل.منـــها قوله تعالى على لسان نبي الله إبراهيم (عليه السلام) " وإذ قـــال إبراهيــم ربي ارني كيف تحي الموتى ؟ قال:أولم تؤمن ؟ قال : بلى ولكن ليطمئن قلبي " (سورة البقرة / الآية ٢٦٠) . وهنـــاك صـــور[١] أخرى للأسئلة في القرآن الكريم تحتاج الى دراسة مفصلة وتأمل . فـــي حين تناول بعض الباحثين التربويين صور الأسئلة في القرآن الكريم في مجموعتين الأولى:(المعلم يسال الجماعة) والأخرى (الجماعة تســـأل المعلم) (شحاته وزميله، ١٩٩٨، ص٤١ ــ ١٤٣)(أبو الهيجاء،٢٠٠١ ، ص ٥٣ ــ ٥٥).ومن الأمثلة على المجموعة الأولى : قولـــه تعـــالى " وسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر .." (سورة الأعـــراف / الآية ١٦٣) .

---

[١] من تلك الصور : سؤال الله تعالى لنبيه محمد (ﷺ) كما فـــي قولـــه تعـــالى : "فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد، وجئنا بك على هؤلاء شهيدا" [النساء/٤١]. ومنها سؤال قوم موسى لموسى رؤية الله جهرة ، ومنها : سؤال زوجـــات النبـــي (ﷺ) وسؤال نبي الله موسى للعبد الصالح ــ كما في سورة الكهف [الآيات ٦٥ ــ ٨٢] .

وقوله تعالى"سَلْ بني إسْرَائيل كم آتيناهم من آيةٍ بينةٍ " (سورة البقـــرة / الآية ٢١١).ومن الأمثلة على المجموعة الأخـــــرى قولـــه تعـــالى : " يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله .."[سورة الأنفال/ الآية ١] .

وقوله تعالى : " ويسألونك عَن المحيض قُلْ هو أذىً فاعتَزِلُوا النّساءَ في المحَيِض " (سورة البقرة / الآية ٢٢٢) .

أغراض الأسئلة القرآنية :

القرآن الكريم ــ الذي جاء لهداية الناس أجمعين ــ يقوم السؤال فيه بعمل مهم في تربية الناس ، فهناك من الأسئلة ما لا يتطلب جوابا ، وانما يهدف الى تحقيق أغراض بلاغية كتعزيز المعنى ، او إنكـــاره او نفيه ، او غير ذلك من الأغراض التي يذكرها علماء البلاغة،وهناك من الأسئلة ما يتطلب أجوبة،ويمكن ان يسمى هذا النوع بالأسئلة الطلبية في حين يسمى النوع الآخر بالأســـــئلة البلاغيـــة . (مقلـــد ،١٩٨٧، ٩١) [الصلطي ١٩٩٧ ، ٢ / ٢٦٢] ويمكن معرفة غرض السؤالمن خـــلال السياق الذي ورد فيه ،ولهذا تنوعت أغراض الأسئلة في القرآن الكريـــم ومنها :

١. السؤال التقريري : يفيد ان المسؤول عنه وقع ، وتحقق في زمـــــن غابر مثل قوله تعالى " ألم نهلك الأولين"(سورة المرسلات/ الآية ١٦) .

٢. السؤال التعجبي : يفيد التعجب من المسؤول كيف ينكر حقيقة واقعة وماثلة له مثل قوله تعالى " أأنتم اشد خلقا أم السماء بناهـــا " (ســـورة النازعات / الآية ١٧) .

٣. السؤال التنبيهـــي : ليكون منبها للحقيقة المهمة التي تعقبه . ومنه قوله تعالى " قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا . الذين ضل سعيهم في

الحياة الدنيا ، وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا " (سـورة الكـهف : الآيتان ١٠٣ ـ ١٠٤) .

٤. السؤال التأكيدي : ويرد السؤال تأكيد المعلومات عن طريق المشاهد الحسية ومثال ذلك قوله تعالى " وإذا قال إبراهيم رب ارني كيف تحيـي الموتى " (البقرة / ٢٦٠) .

٥. سؤال التفكر والاعتبار والتأمل : مثل قوله تعالى " أولم يروا الـى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمـن ... " (سـورة الملك / الآية ١٩) .

٦.سؤال الوعيد والتهديد : للزجر والردع والتخويف .

قال الله تعالى " فستعلمون كيف نذير " (سورة الملك / الآية ١٧) .

وقوله تعالى : " فكيف كان نكير " (سورة الملك / الآية ١٨) .

٧. سؤال يفيد الأمر بفعل المسؤول عنه : مثل قوله تعالى : " فهل انتـم مسلمون " (سورة الأنبياء / الآية ١٠٨) وقوله تعالى :" فهـل انتم منتهون " (سورة المائدة / الآية ٩١) .

٨. سؤال تشويق وترغيب : قال تعالى " هل أدلكم على تجارة تنجيكـم من عذاب اليم " (سورة الصف / الآية ١٠) .

٩. سؤال استنكاري : يفيد :

أ. الاستبعاد : قال تعالى : " أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثـل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء"(سورة البقرة/الآية ٢١٤).

ب.النفي: قال تعالى:"ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب" [سـورة الصف / الآية ٧] . أي لا أحد اكثر ظلما ممن افترى على الله الكذب .

ج. التوبيخ : قال تعالى : " أتأتون الفاحشة وانتم تبصرون " . [سـورة النحل / الآية ٥٤] .

السؤال في السنة النبوية :

لقد حرص النبي محمد (ﷺ) على تبليغ دين الله سبحانه وتعالى ـ للناس كما أمره الله ، وتعليم اتباعه ، والمصدقين بـــه هــذا الديــن بجزئياته كلها ، ولهذا كثرت الأسئلة والاستفســـارات فـــي الأحـــاديث النبوية،فتارة يوجه الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ أسئلة الى الرسول محمد (ﷺ) ليتعلموا منه أمور دينهم ، وتارة كان الرسول محمــد (ﷺ) يوجه أسئلة الى الصحابة لأغراض معينة.(الصلطي،١٩٩٧، ٢/ ٢٢٦).

ومن الأمثلة على أسئلة الصحابة . للنبي ـ ﷺـ الحديث الآتي :(عــن النبي ـ ﷺـ انه جاءه صيادون في البحر فقالوا : يا رسول الله ، أنــا أهل أرماث[٢]، وانا نتزود ماءاً يسيرا ، ان شربنا منه لم يكن فيــه مــا نتوضأ به، وان توضأنا لم يكن فيه ما نشرب ، أفنتوظأ من ماء البحر ؟ فقال النبي(ﷺ): نعم (فهو الطهور ماءه الحل ميته) [أخرجه الإمــام احمد ، مسند الإمام احمد ، كتاب باقي مسند الكثيرين / رقــم ٨٧٣٧] .

ومن الأمثلة على أسئلة النبي محمد ـ ﷺـ لاصحابه من اجل تحقيــق أغراض معينة ، ان الرسول محمد ـ ﷺـ قال(أتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال : ان المفلــس مــن أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي قــد شــتم هــذا ، وقــذف هذا ، واكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطـــي هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فان فنيت حسناته قبل ان يقضـــي ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح في النار] صحيـــح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب،رقم (٤٦٧٨) والترمذي (٢٤١٨)] .

---

[٢] الارماث : خشب يضم الى بعضه ، ثم يشد ، ويركب عليه في الماء .

فالسؤال في هذا الحديث قصد منه لفت الانتباه الى صفات شيء معين وهو (المفلس) الحقيقي ، وتكوين مفهوم واضح عنه .

وفي حديث آخر أيضاً : (ان رسول الله ـ ﷺ ـ جاءه إعرابي فقال : يا رسول الله ان امرأتي ولدت غلاماً اسود ، فقال : هل لك من ابل ؟ قال : نعم ، قال : ما ألوانها ؟ ، قال : حمر ، قال : هل فيها من أورق ؟ قال : نعم ، قال : فانى كان ذلك ؟ قال : أراه عرق نزعه ، قال : فلعل ابنك هذا نزعه عرق) [البخاري ، صحيح البخاري، رقم (٦٣٤١) (الشوكاني ، نيل الاوطار ١٢/٢١)] .

فالرسول محمد ـ ﷺ ـ استعمل أسلوب الاستجواب مع هذا الإعرابي ، فجعل يطرح عليه السؤال تلو الآخر حتى أوصله الى الحقيقة المقنعة عن طريق الاستقراء نفسه .

واستعمل الرسول الكريم محمد ـ ﷺ ـ الأسئلة كثيراً في أحاديثه لتوضيح مفاهيم الإسلام وتعاليم الدين ، فنجده يعلم الصحابة من خلال طرح سؤال ثم يجيب عنه ، او يسأله المشركون ويجيبهم عن أسئلتهم .

- فقد سئل رسول الله ـ ﷺ ـ أي الناس اكرم ؟ فقال : أكرمهم عند الله اتقاهم ، فقالوا : ليس عن هذا نسألك ، قال : فاكرم الناس يوسف نبي الله بن نبي الله بن نبي الله بن خليل الله . قالوا : ليس عن هذا نسألك، قال : فعن معادن العرب تسألوني ؟ قالوا : نعم وقال : " خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا " [البخاري ، ٤ / ٢١٦ ـ ٢١٧] .

واحياناً يجيب النبي (ﷺ) السائل بأكثر مما سأل ، فمن ذلك ما روى عن ابن عمر (رضي الله عنه) ـ عن النبي (ﷺ) ان رجلاً سأله : ما

يلبس المحرم ؟ فقال : لا يلبس القميص، ولا العمامة، ولا السراويل ، ولا البراني ، ولا ثوباً مسه الورس ، او الزعفران ، فان لم يجد النعلين فليلبس الخفين وليقطعهما حتى يكونا تحت الكعبين " [ابن حجر ، فتح الباري ١/٢٣١ آخر باب في كتاب العلم] .

ولم يكن السؤال حكراً على الرجال من الصحابة دون النساء ، ففي الحديث عن ام المؤمنين عائشة ــ رضي الله عنها ــ تقول : " نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء ، ان يتفقهن " [ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ١/٢٢٨] .

وجاء في الحديث عن ام سليم ــ رضي الله عنها ــ جاءت الى رسول الله ــ ﷺ ــ تقول:" يا رسول الله ، ان الله لا يستحي من الحق . فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت ؟ فقال (ﷺ) : " إذا رأت الماء " (ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ،١/ ٢٢٨ــ ٢٢٩) (النووي ، شرح صحيح مسلم ، ٢١٩/٣ ــ ٢٢٠)] .

وهذا جبريل يستعمل السؤال كاستراتيجية للتعليم مع رسول الله ــ ﷺ ــ بأمر من الله تعالى ــ أمام مجموعة من الصحابة ــ رضوان الله عليهم أجمعين ــ فعن عمر بن الخطاب ــ (رضي الله عنه) قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله (ﷺ) ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه اثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس الى النبي (ﷺ) فاسند ركبتيه الى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه وقال : يا محمد، اخبرني عن الإسلام ؟ فقال رسول الله (ﷺ)الإسلام ان تشهد ان لا اله إلا الله وان محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان، وتحج البيت ان

استطعت اليه سبيلا . قال : صدقت ، قال : فعجبنا له يسأله ويصدقه ، قال فاخبرني عن الإيمان ؟ قال : ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قال : صدقت ، قال : فاخبرني عن الإحسان ، قال: ان تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك . قال : فاخبرني عن الساعة ؟ قال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ، قال : فاخبرني عن أمآرتها ؟ قال : ان تلد الأمة ربّتها ، وان ترى الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان . قال : ثم انطلق ، فلبثت مليا . ثم قال لي : يا عمر أتدري من السائل ؟ قلت : الله ورسوله اعلم . قال : فانه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم)) [مسلم ، صحيح مسلم ، ١ / ١٥٧ ــ ١٦٠] .

السؤال التعليمي في الفكر الإسلامي :

لقد أدرك المربون المسلمون قيمة السؤال في التعليم ، وقرروا ان التدريس السليم لا يتحقق ابداً بغير قدر كاف من المناقشات الحرة ، كما انهم يرون ان الأسئلة ضرورية واجبة ، لانها وسيلة الاتصال بين المعلم والمتعلم ، ويعرف المدرس بواسطتها استعداد الطلبة ومبلغ تحصيلهم ، ويستطيع قيادتهم وتوجيههم ، وكانوا ينظرون الى السؤال التعليمي والمناقشات العلمية انها أداة لعملية تبادل حر للآراء ، لا يقصد منه انتصار أحد او هزيمته وانما تهدف الى الوصول بالمناقشين الى إدراك افضل لكل ما يحيط بالقضايا المعروضة من ظروف وملابسات واسباب ومسببات .

ولقد كثر توجيه علماء الإسلام الى المعلم باعتماد الأسئلة في التعليم وإلقاء المسائل على المتعلم ، كما دعوا المتعلم بان يكثر مسائله على معلمه . وفي ذلك جاء عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله لحمراء بن

أعين في شيء سأله : " انما يهلك الناس لانهم لا يسألون ..... وقال ايضاً : " ان هذا العلم عليه قفل ومفتاحه السؤال ... (الكليني، الكافي ، ٤٩/١ ـ ٥٠) .

وهذا ابن جماعة ينصح المعلم بسماع السؤال من موزده على وجهه ، وان كان صغيراً ولا يترفع عن سماعه فيحرم الفائدة واذا عجز السائل عن تقرير ما أورده او تحرير العبارة فيه لحياء او مقصور ووقع على المعنى عبَّر عن مراده وبين وجه إيراده ورد على من عليه ثم يجيب بما عنده او يطلب ذلك من غيره ويتروى فيما يجيب به رده وإذا سُئِلَ عن ما لم يعلمه قال لا اعلمه او لا ادري فمن العلم ان يقول لا اعلم " [ابن جماعة ، تذكرة السامع والمتكلم ، ص ٤٢] .

ويمتاز الإمام ابو حنيفة النعمان (رضي الله عنه) بتقرير الحجج والبراهين على هذا الأسلوب العلمي الذي يعتمد أسلوب الاستجواب، وقوة الحجة ، ولباقته في الحوار والجدل وعملية طرح الأسئلة وتلقيها . فقد روي عنه انه لما تولى المنصور الخلافة وعلم ان أبا حنيفة رفض القضاء على عصر الأمويين ، وعرض عليه ان يتولى القضاء في عصره فرفض ايضاً ولما اخذ الخليفة يجادله في ذلك ويراجعه قال له : والله ما أنا بمأمون الرضا فكيف أكون مأمون الغضب واني لا اصلح لذلك . فقال له المنصور ، كذبت أنت تصلح . فقال : قد حكمت على نفسك ، فكيف يحل لك ان تولي قاضياً على أمانتك وهو كذاب ؟ ولما حلف عليه المنصور ان يتولى القضاء حلف هو ايضاً الا يتولاه .

فقال له الربيع حاجب الخليفة الا ترى أمير المؤمنين يحلف !!

فقال ابو حنيفة : أمير المؤمنين اقدر على الكفارة مني .

ويروى ان ابا يوسف أراد ان يشتغل وينصب نفسه للدرس لما سمع إعجاب ابي حنيفة (ﷺ) فارسل اليه الإمام رجلاً يسأله عن رجل دفع الى قصّار ثوباً ليغسله ثم جاء صاحب الثوب فسأله فجحده القصار، ثم جاء بعد ذلك القصار بثوب مقصوراً ، أيجب له الأجر ؟ فان قال : نعم ، فقد اخطأ ، وان قال لا فقد اخطأ ، فلما ذهب اليه وسأله وخطأه الرجل ، قام من ساعته لابي حنيفة ، فلما دخل عليه وسأله ، قال : سبحان الله من قعد يفتي الناس وعقد مجلساً لا يحسن ان يفتي في مسالة من الاجارات ؟! ثم أجابه ان كان قصره بعدما اغصبه فلا أجرة له لانه قصره لنفسه ، وان كان قصره قبل ان يغصبه فله الأجرة ، لانه قصره لصاحبه . (مدكور، ١٩٧٣، ٢/٥٨٩ ــ ٥٩١) .

ويقول الإمام النووي : " وينبغي للمعلم ان يطرح على أصحابه ما يراه من مستفاد المسائل ، ويختبر بذلك إفهامهم ، ويظهر فضل الفاضل ، ويثني عليه بذلك ترغيباً له وللباقين في الاشتغال والفكر في العلم ...." (النووي ، المجموع ، ١/٣٤) .

كما ميز الإمام الغزالي بين نوعين من الأسئلة :

النوع الأول: يستحب ان لا يجب عنها العالم ، فهي مثل الأمراض التي لا يرجى شفاؤها ويعرض الطبيب عن مداواتها، ومن هذه الأسئلة التي تأتي من فئات ثلاث: الحاسد او المبغض، والأحمق البليد وقاصر الفهم.

النوع الثاني : فهي الأسئلة التي يجب الإجابة عنها ، وهي التي تأتي من شخص غير حاسد، ولا يسال بقصد التعنت والامتحان. (الغزالي ، أيها الولد المحب ، ص ١٤٠) .

وقد كانت الأسئلة عليها مدار النقاش والحوارات التي تدور في أسواق العرب القديمة : مثل أسواق عكاظ ، ومجنة ، وذو المجاز ،

وغيرها ، كما طبقت في مدارس العلم في الكوفة ، والبصرة ، وبغداد ، ومكة ، والشام ، وغيرها من المدارس ، وقد انتقلت الأسئلة من كونها استراتيجية للنقاش والحوار والتعلم الى أسلوب تأليفي للكتب والمناهج ، وأدخلت في شتى العلوم .

ولهذا يعزو ابن خلدون الركود الحضاري الذي شاع في البلاد الى رداءة طرائق التدريس التي أهملت الأسئلة الحوارية والمناقشة والمذاكرة فيقول : " وايسر طرق هذه الملكة فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة في المسائل العلمية فهو الذي يقرب شانها ، ويحصل مرامها ...." (ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٤٥٨) .

وقد نادت بهذه الاستراتيجية في التدريس مدرسة التساؤل ، ففلسفة التربية عندها جزء من فلسفة السؤال المستمر ، والتساؤل الذي لا يفتر ... وعلى هذا الأساس تتحول فلسفة التربية الى طاقة للسؤال ومنبع للاستفهام لا يتوقف عن مناقشة العملية التعليمية والكشف عن معانيها ولهذا فان نجاح العملية التربوية يكون على مدى قدرة الطلاب على السؤال .

أهمية السؤال التعليمي :

تؤدي الأسئلة اثراً رئيساً في العملية التعليمية ، وتستمد أهميتها من كونها جزءاً من عملية التقويم التي أصبحت تحظى بمكانة مرموقة في المنهاج الحديث ، لاسيما في الربع الأخير من القرن العشرين ، اذ أصبحت عملية التقويم تهدف الى تحقيق وظائف متنوعة (جابر ١٩٨٥ ص ٣٩٤ ـ ٣٩٥) .

وتؤكد الاتجاهات الحديثة في التربية على مساعدة الطلبة كيف يتعلمون ، والاستقلالية في تعلمهم ، والتفكير لانفسهم ، ولعل الأسئلة

من أهم الوسائل الفعالة لتنمية هذا الاتجاه ولكي يكون التعليم فعالاً يجب ان يعمل المعلم على استمرار نشاط الطلبة التعليمي ، وان يكون قادراً على معرفة نمو الطلبة كأفراد ، والوسيلة الأساسية لتحقيق ذلك هي الأسئلة (جابر ، ١٩٨٥ ، ص ١٥٢) .

الأسئلة في حقيقتها عماد طريقة تدريس المدرس ، فإذا كان الهدف في التدريس إشراك الطلبة في عملية التدريس ، فان الأسئلة تكون إحدى البدائل الأساسية لهذه المشاركة ، فكفاية المدرس تظهر بصورة واضحة عندما يستعمل الأسئلة الصفية ، ويحسن توجيهها وصياغتها، وكيفية إثارة الطلبة لتلقيها وفهمها والإجابة عنها ، وقد قيل : " من لا يحسن الاستجواب لا يحسن التدريس ".

فلا يمكن تجاهل الأهمية التعليمية التي تقوم بها الأسئلة الصفية، فهي تمثل عادة قسماً كبيراً من وقت الدرس ، وتعد وسيلة مهمة لتهيئة مرحلة التعلم وعن طريقها ينتبه الطلبة ، ويتحفزون لتلقي السؤال من المدرس ، او من زملائهم في طرائق تدريس معينة ثم يختار إجابة هذا السؤال ، ويتحاور مع المدرس او الزميل في صحة الإجابة واكتمالها . (محمد ومجيد مهدي ، ١٩٩١ ، ص ١٤٧) .

فالأسئلة إذا عامل من عوامل نجاح المدرس في إعطائه المادة للطلبة وفي توجيههم وإثارة أفكارهم وعملهم على تعلم ما يريد ان يتعلموه ، وهي من انجح الوسائل في إشراك اكبر عدد مكن من الطلبة في الدرس ، وهذا الأمر يؤكده اغلب المشتغلين بأصول التدريس . (سعد ١٩٩٠ ، ص ١٣٣) .

وحديثاً اظهر البحث التربوي ان طرح الأسئلة الفعالة تؤثر بطريقة مباشرة ، وبطريقة غير مباشرة في مقدار التعلم ، وفي مستواه،

وفي نمطه . ولقد راجع جود وبروفلي **Good and Brophly** عام ١٩٨٧م البحوث التي أجريت على طرح الأسئلة وانتهيا الى ان الطلبة تعلموا تعلماً اكبر حين طرح المدرسون عليهم أسئلة اكثر ، وحين ضمنوا دروسهم أنواعاً مختلفة من الأسئلة (جابر، ٢٠٠٠ ، ص ٦٢) .

وتتجلى أهمية السؤال التعليمي في النقاط الآتية :

١. تجذب انتباه المتعلم الى الأفكار المهمة في المادة الدراسية .
٢. تحثه على دراستها ، وفهمها واسترجاعها في الوقت المناسب والاستفادة منها في المستقبل .
٣. تدفعه الى توظيف استراتيجياته الادراكية ، وعملياته العقلية لزيادة الفهم والاستيعاب .
٤. تلخص المادة على شكل أسئلة .
٥. تحفز المتعلم على استقصاء معرفة جديدة من مراجع مختلفة .
٦. تزيد من فاعلية المتعلمين في المواقف الصفية المتنوعة .
٧. تساعد المعلم في الكشف عن مواطن القوة والضعف عند المتعلمين .
٨. تقدم خبرة مثيرة لتفكير المتعلم . (سعد ، ١٩٩٠، ١٣٤ ــ ١٣٦) (دورزه ، ٢٠٠٠، ٢٢٤) (الخوالده وعيد، ٢٠٠١، ص٣٢٠ ــ ٣٢١) .

فالسؤال بشكل عام يثري عملية التعليم ويزيد من دافعية المتعلم للتعلم ، ويشيع حب الاستطلاع لديه بطريقة فعالة ومنظمة .

أغراض السؤال التعليمي :

ان الغرض الرئيس من السؤال التعليمي هو طلب الإجابة ، وفي ضوء الإجابة تتحدد الأغراض ، لذلك فعلى المدرس تحديد المستوى

المعرفي للطلبة ، ويبدأ بحوارهم من مستوى أعلى بقليل من مستواهم كي يستطيع بناء معرفتهم وتطويرها دون ان يتعدى كثيراً قدراتهم الفردية على الاستيعاب ، او ان يتدنى عنها بكثير ، فيتسربون من التعلم نتيجة معاناتهم في الحالة الأولى ، ولعدم اهتمامهم للأسئلة في الثانية .

وفي إطار طرح الأسئلة ، وسماع الأجوبة ونقدها ، يصل المدرس الى الأغراض العامة للأسئلة. (محمد ومجيد مهدي،١٩٩١،ص١٤٨) .

فما هي أغراض الأسئلة التدريسية في الصف ؟

لخص هايمان Hayman الأغراض التي يمكن ان يجنيها المدرس من أسئلته الصفية وهي :

١.حث طالب معين على الاشتراك في التعليم الصفي ونشاطاته .
٢.جذب انتباه الطلبة وتشجيعهم ، وحثهم على المناقشة .
٣.إعطاء توضيح لمشكلة معينة (تنظيمية او تعليمية) .
٤.الاستفسار عن أعمال الطلبة الغائبين والمقصرين في واجباتهم .
٥.تشجيع الطلبة على الإجابة الصحيحة وتوجيههم اليها .
٦.التعرف على نشاطات الطلبة الخاصة ومشكلاتهم وحاجاتهم .
٧. التأكد من فهم الطلبة واختبار معرفتهم للموضوع .
٨. تحليل نقاط الضعف عند الطلبة (حمدان ، ١٩٨٥، ص ٦٢) .

في حين لخصها د. نهاد صبيح سعد بما يأتي :

١.اختبار معلومات الطلبة .
٢.حمل الطلبة على ربط خبراتهم السابقة في الدرس الجديد .
٣.إثارة الاطلاع والاستطلاع في الطلبة .
٤.التمرين والمراجعة لغرض تثبيت بعض الحقائق المهمة في عقول الطلبة .
٥. إثارة التفكير في الطلبة .

٦.تنمية قوى التقدير والتمييز في الطلبة .

٧.ضمان تنظيم المواد التعليمية والخبرات وتفسيرها بشكل يمكن الحصول على تعميمات أخرى يستفاد منها عند الحاجة .

٨.توجيه الانتباه الى العناصر المهمة في الدرس .

٩.جلب انتباه الطلبة او الصف بصورة عامة الى الدرس .

١٠.تنمية الإعجاب في الطلبة وحملهم على الدرس . (سعد ، ١٩٩٠ ، ص ١٣٣ ــ ١٣٦) .

فوائد الأسئلة التعليمية :

١.السؤال أسلوب إثارة وتشويق للطلبة .

٢.يمكن ان يكون السؤال هدفاً بذاته ، لغرسه في نفوس الطلبة هدفاً يحمل معلومة تعطى للطلبة بصيغة سؤال لانه يكون اكثر وقعاً في النفس . ٣. السؤال طريقة ناجحة لتوكيد معنى او تقريبه للأذهان .

٤.السؤال أسلوب لكشف الخبرات السابقة عند المتعلمين .

٥.يمكن من خلال السؤال معرفة الفروق الفردية عند المتعلمين ، ومدى استيعابهم للمادة الدراسية .

٦.قد يكون السؤال مفتاحاً للإبداع والتفكير عند الطلبة ، واسلوباً لحل المشكلات .

٧.السؤال قد يكون وسيلة لربط الطلبة بمدرسهم ومتابعتهم لسير الحصة

٨.السؤال يعطي للمدرس وللطالب تغذية راجعة وفورية تبين للطالب مدى فهمه للدرس ، وللمدرس مدى توصيله المعلومات للطلبة ، ومواطن القوة والضعف عندهم .

٩.السؤال يجعل من المتعلم محور العملية التعليمية .

١٠.يمكن قياس مستويات عقلياً عن طريق السؤال إذا ما احسن أعداده. (العزام ، ١٩٩٤ ، ص ١٣٦) (ابو جلالة ، ٢٠٠١ ، ص ١٤٨) .

شروط (صياغة الأسئلة) :

١.يجب ان يكون السؤال واضحاً جلياً ، مصاغاً بعبـــارات ســـهلة ، وكلمات مألوفة لا يشتت ذهن الطالب .

٢.يجب ان يكون السؤال ، موجز الصيغة ــ قدر الإمكان ــ خالياً من الجمل التفسيرية المعترضة .

٣.يجب ان يكون السؤال مثيراً للتفكير .

٤.يجب ان يكون السؤال موافقاً لاعمار الطلبة وقابلياتهم .

٥.يجب ان يكون السؤال محتوياً على فكرة واحدة ، والا كان مربكـــاً ومعقداً ويصعب الإجابة عنه .

٦.يجب ان يكون السؤال متطلباً لجواب شامل ، غير موحياً للجواب .

٧.يجب تجنب الأسئلة التي تتطلب الإجابة عنها بـــ كلمة (نعـــم) او (لا) إلا إذا قورنت بتعليل ، وكذلك تجنب الأسئلة التي تحمل الطلبة على الحدس والتخمين بنسبة كبيرة .

٨.يجب ان يكون للسؤال هدف معين ، او غرض محدد .

٩.يجب ان لا يصاغ السؤال بلغة الكتاب .

١٠.تنوع المطلـــوب من الأسئلـــة الانجازية كأن تكون الأسئلة شفوية احياناً ، وتحريريه أخرى ، وتطبيقية ثالثة .

١٠. تنوع مستوى الأسئلة الادراكي، والشعوري ، والحركي . (عبد القادر ، ١٩٦٤ ــ ص ١٠٨ ــ ١٠٩) (الصمادي ، ١٩٩١ ، ص ١٧١ ــ ١٧٢) (النزال، ١٩٩٥ ، ص ٢٤٥) (الخوالدة، ٢٠٠١، ٣٢٢ ص ٣٢٣) .

إرشادات حول (توجيه السؤال) :

لا يكفي مدرس التربية الإسلامية معرفة الصياغة الجيدة للأسئلة لنجاحه ، فحسب بل لابد من معرفة كيفية توجيهها في أثناء الشرح فهي استراتيجية ، على قدر كبير من الأهمية ينبغي على مدرس التربية الإسلامية معرفتها جيداً ، والتدريب عليها لمن لا يجد في نفسه القدرة على هذا النوع من التدريس .

فتوجيه السؤال يتضمن إرشادات عدة ، منها :

١. ان يوجه المدرس السؤال الى الطلبة جميعهم قبل ان يعين المجيب ..
٢. ان يوزع المدرس الأسئلة بين المتعلمين بصورة عادلة دون إهمال او استثناء .
٣. ان يوجه المدرس السؤال الى غير المنتبهين .
٤. ان يترك المدرس مهلة كافية بعد طرح السؤال للتفكير به .
٥. ان يكون صوت المدرس واضحاً ومسموعاً من الطلبة عند توجيه السؤال .
٦. التدرج بتوجيه السؤال من السهل الى الصعب ، ومن البسيط الى المركب على ان يحمل كل سؤال إجابة واحدة محددة .
٧. ان يكون المدرس هادئاً وواثقاً من نفسه ، عند توجيه الأسئلة .
٨. الا يوجه المدرس أسئلة كثيرة ومثيرة للتفكير في وقت واحد .
٩. ان يتجنب المدرس توجيه السؤال الذي يتضمن مطلبين في ان واحد.
١٠. ان لا يستعمل المدرس الأسئلة في الأوقات غير المناسبة ، بل يوجه السؤال في الوقت المناسب ، وحسب المقصود من السؤال .

١١. ان لا يكون القصد من الأسئلة إحراج الطلبة ، او معاقبتهم ، او الإلحاح على الذي لا يعرف . (محمد ومجيد مهدي ، ١٩٩١ ، ص ١٥٠) (العزام ، ١٩٩٤ ، ص ١٣٧ ــ ١٣٨)) ابو جلاله ، ٢٠٠١ ، ص ١٥٠) (الحديثي ، ٢٠٠٤ ، ٧٧) .

إرشادات حول (تلقي الإجابة عن السؤال) :

١. إظهار الاستحسان لجواب الطالب وتشجيعه ، وزرع الثقة في نفسه ، وحمله على الإجابة في المرات القادمة .
٢. تقبل إجابات الطلبة حتى ولو كان فيها نقص او خطأ بأسلوب تربوي .
٣. السماح للطلبة بمناقشة أجوبة زملائهم بعناية واحترام .
٤. ان تتضمن الإجابات افكاراً كاملة وعبارات صحيحة واضحة ، لقبولها .
٥. ان لا يسمح المدرس للطلبة في الإجابة بدون استئذان .
٦. ان لا يلح المدرس على الطلبة الذين لا يستطيعون الإجابة عن الأسئلة .
٧. التأكد من ان الطلبة جميعاً يحصلون على فرص متساوية للإجابة عن الأسئلة بنجاح .
٨. متابعة الإجابات المنخفضة المستوى ، وغير الكاملة .
٩. حين يستجيب الطالب استجابة صحيحة وبثقة اقبل الاستجابة ، وسلم بها ، وانتقل الى ما بعد ذلك ، ولا تبالغ في الثناء .
١٠. حين يستجيب طالب ما استجابة صحيحة ، ولكنه متردد ، وفر له تغذية راجعة ، (محمد ومجيد مهدي ، ١٩٩١ ، ص ١٥١) (جابر ، ٢٠٠٠، ص ٧٠ ــ ٧١) .

موقف المدرس من أسئلة الطلبة :

ان للأسئلة التي يوجهها الطلبة خلال الدرس ، وموقف المدرّس منها أثراً كبيراً في نجاح العملية التعليمية التعلمية ، وعلى المدرس مراعاة النقاط الآتية ، عندما يوجه بعض طلبته الأسئلة له حول أي جزء من المادة الدراسية ، ومنها :

١. تشجيع الطلبة على توجيه الأسئلة . والتأكيد على ان تكون الأسئلة ذات أهمية للدرس .
٢. إبراز قيمة أسئلة الطلبة وأهميتها ، والإجابة عنها في الحال ، دون تأجيل .
٣. السماح للطلبة بمناقشة آراء المدرس ، أو الموافقة على معارضتهم في بعض ما تقوله ، حتى يقتنعوا بوجهة نظر المدرس على أساس علمي ومنطقي ، لان المدرس الذي يفرض آراءه على الطلبة لا يحملهم على التفكير العلمي السليم .
٤. الصدق ، وتبادل الثقة والاحترام مع الطلبة في الإجابة ، والابتعاد عن الإجابة غير المتأكد منها ، او من صحتها ، لان ذلك يزعزع الثقة في المدرس فلا يحدث التعلم .
٥. ان يهتم المدرس بكل سؤال يسأله الطلبة .
٦. الا يسمح المدرس بإثارة أسئلة ذات طابع شخصي او أسئلة تسبب نوعاً من المضايقة (آل ياسين ، ١٩٧٤،ص ٩٨ــ١٠٠) (محمد ومجيد مهدي،١٩٩١، ص١٥٠) (الحديثي، ٢٠٠٤ص ٧٨).

صفات الجواب الجيد :

لا يعد الجواب صحيحاً جيداً إلا إذا كان :

١. على قدر السؤال .

٢.صحيح المبنى والمعنى ، خالياً من الأخطاء اللغوية والأخطاء المعنوية . ٣. منظماً . ٤. حسن الأداء .

٥. ناشئاً عن تفكير صحيح (عبد القادر ، ١٩٦١، ص ١١٤) .

أنواع السؤال التعليمي :

يمكن تقسيم الأسئلة التعليمية تبعاً لمجموعة من المعايير ، منها ما يتوجه نحو الأشخاص ، ومنها ما يهتم بالعمليات الادراكية العقلانية، ومنها ما يسعى الى مراعاة الفروق الفردية ، ومنها ما يراعي الدرجة والتصحيح ، ومنها ما يراعي أسلوب إدارة الأسئلة ، ومنها ما يصنف في ضوء الاهتمام لعامل الوقت ، او في ضوء درجة التقنين ، أو حجم الفئة المستهدفة ، وغير ذلك من المعايير المختلفة وكل منها يخدم جانباً معيناً تبعاً للغرض الذي صنف من اجله ، الا ان المشتغلين في طرائق التدريس يميلون الى جملة من التصانيف منها .

- تصنيف الأسئلة من حيث أغراضها: وهي على قسمين، وهما :

١.الأسئلة الاختبارية .

٢.الأسئلة التهذيبية او التوجيهية .

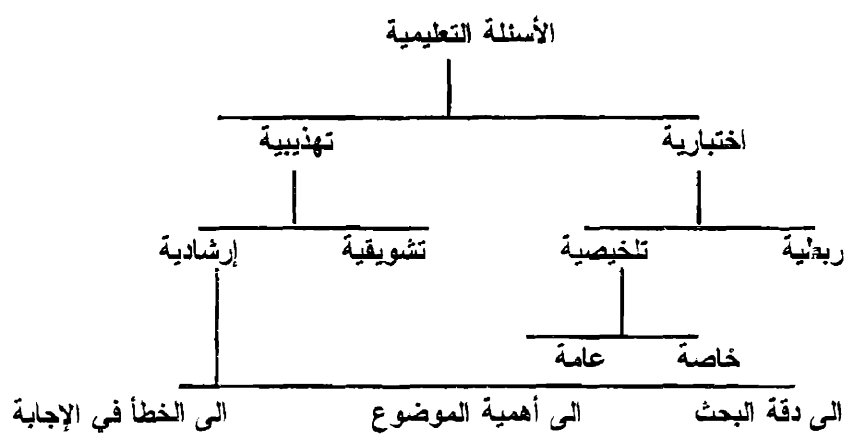
والغرض من الأسئلة الاختبارية ، معرفة ما لدى الطلبة من المعلومات القديمة التي لها ارتباط بالدرس ، ولذا تقسم الى قسمين هما :

أ. الاختبارية الربطية : تأتي عند التمهيد والربط .

ب. الاختبارية التلخيصية : وتكون عند التلخيص الجزئي او الكلي ، سواء أكانت خاصة ام عامة .

اما الأسئلة التهذيبية او التوجيهية ، فالغرض منها إرشاد الطلبة الى التفكير الصحيح ، والدقة في فحص الجزئيات والمقدمات ولفت أنظارهم الى المهم من عناصر الدرس ، وأيقاظ الشوق في أنفسهم ،

وارشادهم الى ما في أجوبتهم من خطأ ليتبينوه ويعرفوا وجه الصـــواب فيه ، وغالباً تأتي الأسئلة التهذيبية في مرحلة (العرض والاســـتنباط) (عبد القادر ١٩٦١، ٢/١٠٦ ــ ١٠٧) (ســـعد ١٩٩٩ ، ص ١٣٧) والشكل الآتي يوضح أنواع الأسئلة التعليمية :



ــ وهناك من يميل الى تصنيف السؤال التعليمي الى نوعين هما :

ــ (أسئلة المعلم) و (أسئلة الطلبة) (المبروك وآخــرون ، ١٩٩٠ ، ص ١٥٣ ــ ١٥٤) .

١. أسئلة المدرس تنقسم الى نوعين :

أ. أسئلة المراقبة ، للتحقق مما فهمه الطلبة وتقويم عمل المدرس ذاته ولقياس مدى المعارف المكتسبة بما في ذلك الفهم .

ب. أسئلة التعليم : تحث الطالب على فهم معرفة جديدة ، وتهدف الـــى وضع الطالب على اكتشــاف الحقائق وتوليد المعارف ، وأهمية أسئلة التعليم تشمل :

١. تقود الطالب الى التفكير وتوحي بالفكرة .

٢.تدعو الى الجهد والمبادرة .

٣.تلبي وتستجيب لحاجة الطالب الى النشاط .

٢. أسئلة الطلبة : وهي الأسئلة التي يطرحها الطلبة حول الدرس ومن أهميتها :

أ. تدارك أسباب النقد الموجه الى أسئلة المدرس والى الطرق المستعملة

ب. توجه المدرس لمعرفة مدى اهتمامات الطلبة وقدراتهم ، وما هي الصعوبات التي تواجههم .

توظيف السؤال التعليمي في الميدان التربوي :

يمكن لمدرس التربية الإسلامية من استعمال الأسئلة التعليمية في الصف مع طلبته ، وعليه ان يخطط جيداً للفقرة التي يريد تدريسها، ومن ثم يضع عدداً من الأسئلة متدرجة في سهولتها وصعوبتها ، متسلسلة الأفكار بحيث يقود السؤال الأول الى السؤال الثاني ويقود الى نتيجة معينة ، وغرض محدد، وهدف واضح وهكذا ، مع ملاحظة الجانب التقويمي للأسئلة ، ولمستوى الطلبة وللمادة الدراسية ، وتوفير التغذية الراجعة لهم ، ويمكن للمدرس توظيف السؤال التعليمي لقياس مستوى التركيب والتقويم في المجال المعرفي لتصنيف بلوم . إذا ما تمت صياغته بدقة وحكمة .

كما يمكن للمدرس توظيف المعلومات التي لدى الطلبة لاشراكهم في الإجابة عن الأسئلة ، ولا يعتمد عليها اعتماداً كلياً ، بل يعتمد هو الى الإجابة عن الأسئلة التي لا يستطيع الطلبة الإجابة عنها . (الحديثي ، ٢٠٠٤ ، ص ٧٦) .

فالمدرس يثير سؤالاً محدداً حول موضوع معين ، وينتظر من الطلبة الإجابة عنه وليكن مثلاً الربا في فقه المعاملات ، او المخدرات وحكمها الشرعي ، او الإعجاز في القرآن الكريم ، او الجانب العلمي في الحديث النبوي .. ومن خلال ذلك يدور نقاش علمي مقنن ومخطط

له وموجه في الحصة حتى تتحقق أهداف الدرس المطلوبة (العزيزي ، ١٩٩٦ ، ص ٢٠٧ ــ ٢٠٨) .

يمكن المدرس استعمال السؤال التعليمي من خلال :

١. التمهيد : بطرح الأسئلة مدخلاً للدرس ، او ربط الدرس السابق بالجديد ومنه يدخل لعرض عناصر الدرس ، او يطرح السؤال على صيغة مشكلة تتطلب حلاً .

٢. العرض : ويعمد المدرس في عرض عناصر الدرس الى الأسئلة التفكيرية او التهذيبية لإثارة النقاش والحوار حول موضوع الدرس وعناصره ، وتبادل الآراء والأفكار من اجل الوصول الى النتيجة في نهاية الحصة بالاشتراك مع الطلبة .

٣. التقويم الختامي : ان يطرح المدرس أسئلة على الطلبة في نهاية الحصة ليتأكد من تحقيق الأهداف ، واستيعاب الطلبة للمادة التعليمية ، ويفضل ان ينوع المدرس في الأسئلة الموجهة للطلبة ، وان لا يعتمد على روتين او آلية يفقد المادة معناها وهدفها (العزام ١٩٩٤ ، ص ١٣٨ ــ ١٣٩) .

نتائج البحث :

يمكننا إجمال نتائج البحث الحالي بالنقاط الآتية ، تتضمن كل نقطة إجابة عن سؤال من أسئلة البحث المتقدمة :

١. السؤال التعليمي هو مثير يستدعي او يتطلب استجابة معينة ترتبط بهدف تعليمي مقرر .

٢. للسؤال التعليمي في القرآن الكريم صور عديدة منها : سؤال المعلم للجماعة وسؤال الجماعة للمعلم ، كأن يوجه المؤمنون السؤال للرسول ــ ﷺ ــ او سؤال غير المؤمنين ، او بطرح القرآن

السؤال على لسان الأنبياء وقد وجهوها الى أقوامهم، او أسئلة وجهها الأنبياء الكرام للباري عز وجل .

اما أغراض الأسئلة القرآنية فهي لتربية النفوس ، ومنها ما يتطلب جواباً وتسمى بالأسئلة الطلبية ، ومنها ما لا يتطلب جواباً ، ولكنها تخرج لأغراض بلاغية أخرى مثل : تقرير المعنى ، أو إنكاره أو نفيه، أو الوعيد والتهديد ، أو الأمر بفعل المسؤول عنه ، أو التشويق والترغيب وغير ذلك .

ومثله في السنة النبوية المطهرة ، وفي هديهما سار علماء الإسلام فيما بعد .

٣.الأسئلة عامل مهم من عوامل نجاح المدرس في إعطائه المادة للطلبة ، وفي توجيههم ، وإثارة أفكارهم ، وحملهم على تعلم ما يريد ان يتعلموه ، وهي من انجح الوسائل في إشراك اكبر عدد من الطلبة في الدرس، ولهذا قيل (من لا يحسن الاستجواب لا يحسن التدريس) .

٤. للأسئلة التعليمية أغراض تربوية يمكن ان يجنبها المدرس من أسئلته الصفية منها : إثارة الاطلاع والاستطلاع عند الطلبة وإثارة التفكير عندهم ، واختبار معلومات الطلبة ، وضمان تنظيم المواد التعليمية ، والخبرات وتفسيرها بشكل صحيح يمكن الحصول على تعميمات أخرى يستفاد منها عند الحاجة ، وغير ذلك .

٥. من شروط صياغة الأسئلة ان يكون السؤال موجز الصيغة خالياً من الجمل التفسيرية المعترضة ، وان يكون مثيراً للتفكير ، مناسباً لاعمار الطلبة ومستواهم العقلي، متضمناً هدفاً تعليمياً واحداً وغيرها .

٦. من الإرشادات حول توجيه الأسئلة : ان يوجه المدرس السؤال التعليمي الى الطلبة جميعهم قبل ان يعين المجيب ، وان يوزع الأسئلة

بين المتعلمين بصورة عادلة دون إهمال او استثناء مع التركيز على غير المنتبهين ، واعطاء الطلبة مهلة كافية للتفكير بالإجابة ، وان يراعي المدرس التدرج المنطقي في توجيه الأسئلة كما يبدأ من السهل الى الصعب ، ومن البسيط الى المركب ، وان يحمل كل سؤال فكرة واحدة لا غير .

٧. من الإرشادات حول تلقي الإجابة عن السؤال : إظهار الاستحسان لجواب الطالب وتشجيعه ، وزرع الثقة في نفسه وحمله على الإجابة في المرات القادمة والسماح للطلبة بمناقشة أجوبة زملائهم بعناية واحترام ، وان يتابع الإجابات ذات المستوى المنخفض، وغير الدقيقة، لإجراء التعديلات عليها .... وغيرها .

٨. يمكن تقسيم الأسئلة التعليمية تبعاً لمجموعة من المعايير ، كل منها تخدم الغرض التي صنفت من اجله ، ولكن الأسئلة التعليمية المطلوب معرفتها هي على نوعين : اختبارية ، وتهذيبية ، والاختبارية تقسم الى نوعين : ربطية، وتلخيصية، والتهذيبية تقسم الى نوعين هما تشويقية ، وإرشادية .

كما يمكننا تقسيم الأسئلة التعليمية الى أسئلة المدرس ، وأسئلة الطلبة ، وأسئلة المدرس تقسم الى نوعين هما أسئلة المراقبة ، وأسئلة التعليم .

٩. يمكن لمدرس مادة التربية الإسلامية ان يستعمل السؤال التعليمي في عناصر الدرس المختلفة ، في التمهيد ، وفي عرض عناصر الدرس ، وفي التقويم الختامي .

التوصيات :

في ضوء النتائج التي توصل اليها البحث الحالي يمكن التقدم بالتوصيات الآتية :

١.الاهتمام بالسؤال التعليمي في الدرس من قبل المدرسين، لما له من اثر فعال في جذب انتباه الطلبة للدرس وإثارة تفكيرهم وتنمية مواهبهم.

٢.تدريب المدرسين على استعمال السؤال التعليمي، واعداده، وتوجيهه، وكيفية تلقي الإجابة عنه عند تدريس فروع مادة التربية الإسلامية .

٣.تضمين كتاب التربية الإسلامية أسئلة تعليمية اكثرشمولية ودقة للمادة

المقترحات :

استكمالا للبحث الحالي يقترح الباحثان إجراء الدراسات الآتية :

١. إجراء دراسة تتناول الأسئلة التعليمية مع القصة في التحصيل الدراسي وتنمية التفكير الناقد لدى طلبة المرحلة الإعدادية في مادة التربية الإسلامية .

٢.اثر استعمال الأسئلة التعليمية مع طريقتي الاستقراء والقياس في اكتساب المفاهيم العلمية، والتفكير الإبداعي في مادة التربية الإسلامية .

٣. اثر الأسئلة التعليمية والملاحظة وضرب الأمثال في التحصيل الدراسي لطلبة المرحلة المتوسطة في مادة التربية الإسلامية .

٤. الأسئلة في الفكر الإسلامي وأثرها في تصحيح المفاهيم الخاطئة .

٥. اثر تدريس مجموعتين إحداهما بالأسئلة التي تقيس (التذكر، والفهم) والأخرى بالأسئلة التي تقيس (التحليل ، والتركيب ، والتقويم ، والتطبيق) في تحصيل طلبة الجامعة في مادة العقيدة الإسلامية ، والفكر الإسلامي .

المصادر والمراجع

١. **ابن جماعة ، بدر الدين بن ابي اسحق إبراهيم بن الفضل سعد الله ابن جماعة الكناني** ت ٧٣٣هـ ، (تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم) ط١ ، دار الكتب العلمية – بيروت .

٢. **ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي** ت ٨٠٨هـ (المقدمة) ، مطبعة مصطفى محمد ، مصر ، د.ت.

٣. **ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم** " لسان العرب " دار المعارف ، القاهرة ١٩٨١م .

٤. **ابو جلالة ، صبحي حمدان** " استراتيجيات حديثة في طرائق تدريس العلوم " مراجعة : أ.د. فيوليت شفيق سريان ، ط١، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع ، الكويت ، ٢٠٠١م .

٥. **ابو الهيجاء ، فؤاد** " طرق تدريس القرآنيات والإسلاميات واعدادها بالأهداف السلوكية " ط١، دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م .

٦. **انيس ، إبراهيم ، وآخرون** " المعجم الوسيط " ط٢ ، دار الأمواج ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م .

٧. **جابر ، جابر عبد الحميد ، وآخرون** " مهارات التدريس " دار النهضة المصرية ، مصر ، ١٩٨٥م .

٨. **جابر ، جابر عبد الحميد** " مدرس القرن الحادي والعشرين الفعال ، المهارات والتنمية المهنية " ط١، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م .

٩. الحباشنة،يوسف عبد الله سليمان "تحليل واقع الأسئلة الصفية الشفهية في دروس اللغة العربية عند معلمي ومعلمات المرحلة التاسيسية (الصفوف الابتدائية الأولى) في منظمة راس الخيمة في دولة الإمارات العربية المتحدة " ١٩٩٣م .

١٠. **الحديثي ، إحسان عمر محمد سعيد** " تقويم مهارات الاستجواب لدى مدرسي مادة التربية الإسلامية ومدرساتها في المرحلة المتوسطة " (رسالة ماجستير غير منشورة) كلية التربية / ابن رشد ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٠م .

١١. **حمدان، محمد زياد** " طرق سائلة للتدريس الحديث " دار التربية الحديثة،

عمان ، ١٩٨٥م .

١٢. **حميدة ، فاطمة إبراهيم** ، " مهارات وأساليب إلقاء الأسئلة في تدريس المواد الاجتماعية " ط١، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٨٦م .

١٣. **الخوالدة ، ناصر احمد ، ويحيى اسماعيل عيد** " طرائق تدريس التربية الإسلامية وأساليبها وتطبيقاتها التربوية " ط١، دار حنين للنشر والتوزيع ، عمان ، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع ـ الكويت ، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م .

١٤. **دوزة ، افنان نظير** " النظرية في التدريس وترجمتها عالمياً " ط ، دار الشروق للتوزيع والنشر ، عمان ـ الأردن ، ٢٠٠٠م .

١٥. **الراوي ، علي فهد علي** " تقويم مستويات الأسئلة الصفية الشفهية لدى مدرسي مادة التربية الإسلامية ومدرساتها في المرحلة المتوسطة في ضوء تصنيف بلوم (رسالة ماجستير غير منشورة) كلية التربية ـ ابن رشد ، جامعة بغداد ـ ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م .

١٦. **سعد ، نهاد صبيح** " الطرق الخاصة في تدريس العلوم الاجتماعية " ط١، جامعة البصرة ، مطابع التعليم العالي ١٩٩٠م .

١٧. **شحاته ، زين محمد ، وعبد الله محمد الجغيمان** " طرق تدريس مواد العلوم الشرعية في المرحلة الابتدائية "ط١ ، نشرة الندور العالمية للشباب الإسلامي ، الدمام ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م .

١٨. **الصلطي ، مبارك**" الأسئلة التقويمية في علوم الشريعة " ضمن : المرجع في تدريس علوم الشريعة ، القسم الثاني تحرير : عبد الرحمن صالح عبد الله ، ط١ ، دار البشير للنشر والتوزيع ، الأردن، ومؤسسة الوراق للنشر والتوزيع ، الأردن، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م .

١٩. **الصمادي ، محمد عبد الله ، وعبد الرحمن صالح عبد الله ، وناصر احمد الخوالدة** مدخل الى التربية الإسلامية وطرق تدرسها " ط١، دار الفرقان للنشر والتوزيع . عمان ـ الأردن، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م .

٢٠. **طعيمة ، رشدي احمد** " إعداد الأسئلة في الورقة الامتحانية " جامعة السلطان قابوس ، مسقط ، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م .

٢١. **عبد القادر ، حامد** " النهج الحديث في أصول التربية وطرق التدريـــس " الجزء الثاني ، ط٢ ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ١٣٨١هـ ــ ١٩٦١م .
٢٢. **العزام ، ابراهيم احمد حسن** " التربية الإسلامية وأساليب تدريسها علـــى ضوء القرآن والسنة " ط١، ١٤١٤هـ ــ ١٩٩٤م .
٢٣. **العزيزي ، عزت احمد ، وشوكت محمد العمري ، وابراهيم محمد النجـار** " مناهج وأساليب تدريس التربية الإسلامية " ط١ ،
مؤسسة آمد آيست ، واشنطن ، ١٤١٦هـ ــ ١٩٩٦م .
٢٤. **عصفور ، وصفي** " مستويات الأسئلة الصفية الشائع استعمالها عند معلمي التاريخ للصفوف الإعدادية بمدارس وكالة الغوث الدولية في الأردن وعلاقتـها بخبرة المعلمين وفهمهم لطبيعة التاريخ " ١٩٨٧م .
٢٥. **عيد ، يحيى اسماعيل** " التقويم في علوم الشريعة " ضمن كتاب المرجـــع في تدريس علوم الشريعة ، تحرير : عبد الرحمن صـــالح عبـد الله ، ط١ ، مؤسسة الفيصل ، ١٩٩٥ .
٢٦. **الغزالي ، ابو حامد محمد بن محمد بن محمد** ، ت ٥٠٥هـ " ايها الولـد المحب " ط٢ ، دار الاعتصام ، القاهرة ، ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م .
٢٧. **المبروك ، عثمان احمد، وسعد المقرم ، وعمارة بيت العافية** " طرق التدريس وفق المناهج الحديثة " ط١، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ١٩٩٠م .
٢٧. **محمد ، داود ماهر ، ومجيد مهدي محمد** " أساسيات في طرائق التدريس العامة ، ط١ ، مطابع جامعة الموصل ، ١٩٩١م .
٢٨. **مدكور ، محمد سلام** " مناهج الاجتهاد في الإسلام في الأحكـــام الفقهيـة والعقائدية " ط١ ، جامعة الكويت ١٣٩٣هـ ــ ١٩٧٣م .
٢٩. **مقلد ، محمد محمود** ، استراتيجية السؤال والجواب ، تطبيقات في مجـال اللغة العربية ، رسالة التربية ، وزارة التربية والتعليم ، مسقط ، ربيـــع الأول ١٤٠٨هـ ــ نوفمبر ١٩٨٧م .
٣٠. **النووي ، ابو زكريا محي الدين بن شرف** " المجموع شرح المهذب " دار الفكر بيروت ، د.ت.

المرأة العراقية المعاصرة بين المهام الإنجابية والأسرية ومهام ممارسة العمل خارج البيت

أ.د. إحسان محمد الحسن
علم الاجتماع / كلية الآداب
جامعة بغداد

الملخص :

منذ منتصف القرن العشرين بدأت المرأة العراقية تحتل مكانة اجتماعية وحضارية مرموقة في المجتمع العراقي نظراً للأدوار الفاعلة والمتميزة التي أصبحت تحتلها في الدولة والمجتمع والأسرة . فقد أخذت تحتل اكثر من عمل اجتماعي في آن واحد ، فهي الأم والأخت والزوجة وربة البيت والعاملة والموظفة والمهنية والخبيرة والعالمة والفلاحة(١).

ومن خلال هذه الأهمية الأسرية والوظيفية والمجتمعية تخدم المجتمع وتشارك في عملية إعادة بنائه وتدعم الدولة وتشارك في تنفيذ مشاريعها الخدمية والتنموية وتضحي من اجل استقرار ورفاهية الأسرة وتعزيز مواقعها التربوية والإنمائية في المجتمع .

ومن الجدير بالذكر ان ارتفاع مكانة المرأة وتشعب مسؤولياتها وتنامي مهمتها الاجتماعية كانت ترجع الى عدة عوامل موضوعية في مقدمتها شيوع أجواء الحرية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية في المجتمع العراقي وارتفاع المستويات الثقافية والعلمية للمرأة وزيادة الطلب الفعال على خدماتها وجهودها البشرية المبدعة والخلاقة

خصوصاً خلال فترة تحضر المجتمع وتنميته الشاملة[٢] . فضلاً عن ارتفاع مكانتها في الأسرة ومشاركتها في اتخاذ القرارات مع زوجها ، تلك القرارات التي تحدد مسائل الإنجاب وتربية الأطفال وادارة شؤون الأسرة وتقسيم العمل الاجتماعي .

ولعل من أهم مهام المرأة المعاصرة في مجتمعنا العراقي الناهض مهمة إنجاب الأطفال وتربيتهم وفق أسس التربية الحديثة ومبادئ المجتمع والتراث العربي الخالد ، ومهمة ممارسة العمل الوظيفي خارج البيت جنباً الى جنب مع الرجل[٣]. بمعنى آخر ان المرأة العراقية المعاصرة مطالبة بإشغال عملين اجتماعيين متكاملين هما اثر ربة البيت واثر الموظفة او العاملة او الخبيرة خارج البيت في آن واحد وإشغالها لمثل هذين الأثرين في آن واحد لابد ان يشارك في رفع مكانتها في المجتمع ويعطيها مجالاً أوسع في عملية إعادة بناء المجتمع وتثوير قطاعاته البنيوية وتسريع حركة نموه وتطوره المجتمعي والحضاري[٤]. وربما في هذا المجال قد يتساءل البعض إن المرأة غير قادرة على الجمع بين متطلبات الإنجاب وتربية الأطفال وادارة شؤون البيت وبين متطلبات العمل الإنتاجي والمهني الذي يمكن ان تزاوله خارج البيت . فالمرأة كما يعتقد هؤلاء اما تكون ربة بيت وتشغل نفسها في شؤون الإنجاب ورعاية الأسرة او تكون عاملة او موظفة خارج البيت إذ ان الجمع بين المهمتين إنما هو عملية صعبة او شاقة إذا لم تكن مستحيلة[٥]. ان البحث هذا لا يؤيد هذا الاعتقاد مطلقاً طالما ان المرأة تستطيع الجمع والتوفيق بين مهام الإنجاب والرعاية الأسرية ومهام العمل والإنتاج الوظيفي خارج نطاق البيت شريطة ان يبادر الرجل بمساعدتها في مهامها الأسرية والمهنية وتبادر الدولة

بتوفير الخدمات والمستلزمات الضرورية التي تمكنها من أداء العمليين الاجتماعيين المتكاملين في ان واحد . كما ان المرأة من جانبها ينبغي ان تندفع نحو الدخول في معترك الحياتين الأسرية والوظيفية وتبرهن قدراتها غير المحدودة في إحراز نتائج باهرة في واجباتها الأسرية وواجباتها الوظيفية والمهنية ، بعد قيامها برسم جدول زمني ينظم أوقات عملها الوظيفي وأوقات عملها الأسري وأوقات فراغها وترويحها .

تتعلق هذه الدراسة بمعالجة خمسة محاور تدور حول مشاركة المرأة في الإنجاب والأعمال المنزلية ومساهمتها في العمل خارج البيت وهذه المحاور هي :

أ. المهام الإنجابية والأسرية للمرأة العراقية .

ب. المهام الإنتاجية والخدمية للمرأة العراقية خارج البيت .

ج. ازدواجية اثر المرأة العراقية المعاصرة في الإنجاب والأعمال المنزلية وممارسة العمل خارج البيت .

د. المشكلات الناجمة عن جمع المرأة بين مهام الإنجاب والعمل .

هـ . التوصيات والمعالجات لحل مشكلات التناقض بين مستلزمات الإنجاب ومستلزمات العمل .

والآن علينا دراسة هذا المحاور بالتفصيل .

أ. المهام الإنجابية والأسرية للمرأة العراقية

أدت المرأة العراقية ولا زالت تؤدي حضورها المرموق في مهام الإنجاب وتربية الأطفال ورعاية الأسرة واستقرارها وتحقيق أهدافها القريبة والبعيدة فخصوبة المرأة العراقية نتيجة العوامل البايولوجية والاجتماعية والقيمية والدينية تعتبر عالية بالنسبة لخصوبة النساء في الأقطار الأُخر خصوصاً الأقطار الصناعية المتقدمة في

الغرب والشرق . تشير إحصاءات الأمم المتحدة الى ان معدل الولادات في العراق عام ١٩٩٧ بلغ ٤٠ طفلاً لكل ١٠٠٠ مواطن ومواطنة وبلغ في مصر في نفس السنة ٣٧ طفلاً وفي تونس ٣٤ طفلاً وفي كندا ١٥ طفلاً وفي كوبا ١٦ طفلاً وفي الولايات المتحدة الأمريكية ٢٧ طفلاً وفي المجر ١٢ طفلاً وفي بريطانيا ١٣ طفلاً وفي أسبانيا ١٣ طفلاً وفي هونك كونك ١٤ طفلاً وهكذا(٦). اما إحصاءات الزيادة الطبيعية للسكان في عام ١٩٩٧ والتي هي الفرق بين معدل الولادات ومعدل الوفيات فتشير الى ان العراق يتمتع بأعلى معدل للزيادة الطبيعية للسكان . فقد كان معدل الزيادة الطبيعية لسكان العراق ٣٤ لكل ١٠٠٠ مواطن وفي مصر ٢٦ لكل ١٠٠٠ مواطن وفي تونس ٢٤ لكل ١٠٠٠ مواطن وفي كندا ٨ لكل ١٠٠٠ مواطن وفي كوبا ١٠ لكل ١٠٠٠ مواطن وفي الولايات المتحدة الأمريكية ٢١ لكل ١٠٠٠ مواطن وفي هونك كونك ١٠ لكل ١٠٠٠ مواطن وفي المجر ٢ لكل ١٠٠٠ مواطن وفي السويد ٤,. لكل ١٠٠٠ مواطن وفي بريطانيا ١, ١ لكل ١٠٠٠ مواطن وهكذا(٧) .

اما المعدل السنوي لزيادة سكان العراق في عام ١٩٩٧ فقد كان من أعلى المعدلات في العالم إذ بلغ ٥، ٣% . في حين بلغ في الجزائر ٣، ٣% وفي مصر٩, ١% وفي السودان ٩، ٢% وفي تونس ٤، ٢% وفي كندا ١، ١% وفي السلفادور ٢، ٣% وفي كوبا ٧، ٠% وفي الولايات المتحدة الأمريكية ١% وفي هونك كونك ٦، ١% وفي المجر ١، ٠% وفي بريطانيا ١، ٠% وفي أسبانيا ٨، ٠% وفي بولندا ٩، ٠% وفي السويد ١، ٠% وهكذا(٨). من هذه الإحصاءات الرسمية للأمم المتحدة نستنتج بان كلا من معدلات الولادات ومعدل الزيادة الطبيعية

والمعدل السنوي لزيادة السكان في العراق هي معدلات مرتفعة إذا ما قورنت بمعدلات الأقطار الأخرى . وهذه الحقيقة ان دلت على شيء فإنما تدل على الأثر المتميز والشاخص الذي تؤديه المرأة العراقية في مسألة الإنجاب . وفي هذا الصدد علينا القول أن المرأة العراقية مطالبة بالمضي قدما في الحفاظ على مستويات الخصوبة السكانية عندها وعدم تخفيض هذه المستويات المقنعة مهما تكن الظروف ولا سيما وان العراق بحاجة الى المزيد من السكان لمواجهة الطلب الشديد على الأيدي العاملة ومواجهة المستلزمات الأمنية المتعلقة بحماية حدود الوطن والدفاع عن تراثه وخيراته وموارده .

ومع هذا فان هناك أدلة مادية تشير الى ان بعض النساء يمتنعن عن الزواج وإنجاب الأطفال بسبب انشغالهن في الدراسة والتحصيل العلمي او انشغالهن العمل الوظيفي الذي يمارسنه خارج البيت وانشغالهن في رعاية أبناء أسرهن الأصلية . كما ان بعض النساء المتزوجات اللواتي يتعمدن في تقليص عدد أطفالهن اذ لا ينجبن اكثر من طفلين بسبب أعمالهن الوظيفية ورغبتهن في التمتع بحرية الحياة وعدم التقيد بمسؤوليات الأسرة والأطفال(٩). ان مثل هذه الحالة تؤثر تاثيراً سلبياً على السكان إذ تسبب بطء نموه وعدم قابليته على الزيادة المستمرة والسريعة . بمعنى آخر عدم قابلية الأسر على زيادة حجم السكان وبالتالي هبوط السكان من ناحية الكمية بالنسبة للموارد والخيرات الاقتصادية ، الأمر الذي يؤدي الى ظهور حالة لا يستطيع فيها السكان استثمار الموارد الاقتصادية استثماراً كلياً(١٠).

وهنا يصبح القطر غير قادر على الشروع بخططه الصناعية والزراعية والتنموية والتجارية ويكون بالتالي متخلفاً اقتصادياً ومادياً .

وإذا ما تخلف القطر في الميدان الاقتصادي والمادي فان هذا لا بد ان ينعكس على الميادين والأنشطة المجتمعية الأخرى كالنشاط التعليمي والتربوي والنشاط السياسي والنشاط الأسري والقيمي، فيؤدي الى تخنفها وعقمها وعدم قابليتها على النهوض والارتقاء في تحقيق أهدافها القريبة والبعيدة .

إذن قلة الإنجاب يسبب الجمود المادي والتخلف الاقتصادي ، وفي ذات الوقت يضعف الإمكانات الأمنية والدفاعية للمجتمع .

لذا يتطلب من النساء العراقيات الاهتمام المتزايد بموضوع الإنجاب لانه يؤثر على الكم السكاني ، ويتطلب من الأسرة العراقية الاهتمام بموضوع التنشئة الاجتماعية والرعاية التربوية لابنائها لانه يؤثر في نوعية السكان ودرجة قابليته في استثمار الموارد الطبيعية والمشاركة الفعالة في بناء وتطوير المجتمع[١١]. إذن من صالح نهضتنا الاقتصادية وتنميتنا الاجتماعية ان يزداد السكان كماً ونوعاً . غير ان زيادته مرهونة بتنامي وكثرة الأسر الزواجية الحديثة التكوين ، وتنامي هذا النمط من الأسر يرتكز على تسهيل مهمة الزواج من خلال تخفيض المهور والكف عن طلب الشروط التعجيزية الخاصة بالزواج وتقليص النفقات الباهضة للزواج مع تشجيع الزواج المبكر ومحاربة العزوبية والتصدي لمظاهرها السلبية .

والإنجاب لا يتعلق بمواقف المرأة نحوه بل يتعلق أيضا بمواقف الرجل وموقف الدولة والمجتمع[١٢]. فمواقف كل من المرأة والرجل ينبغي ان تكون إيجابية ومشجعة على إنجاب الأطفال ، وينبغي ان يكون الأبوان مستعدين على رعاية الأطفال والاهتمام بهم وتلبية حاجاتهم اليومية وحل مشكلاتهم اليومية والتفصيلية[١٣].

اما اهتمام الدولة بالإنجاب فيعبر عن نفسه في عدة صور أهمها القيام بالحملات الإعلامية والتوجيهية التي توضح أهمية الإنجاب لمسألة التنمية الاقتصادية والاجتماعية واثره الفاعل في الأغراض الأمنية والدفاعية واثره الواضح في الأمن القومي السكاني . فضلاً عن زيادة اهتمام الدولة برعاية الأسرة والترفيه عنها اقتصادياً واجتماعياً والمشاركة الفاعلة في مشكلاتها التربوية والمجتمعية . واخيراً يمكن ان تتدخل الدولة في موضوع توفير المزيد من الحضانات والمدارس التي تستوعب العدد المتنامي من الأطفال والصغار مع توفير المستلزمات الحياتية التي تحتاجها الأسرة والتي تمكن المرأة من الإنجاب ورعاية الأسرة والمشاركة في العمل الاقتصادي خارج البيت في ان واحد . كل هذه الإجراءات التي تقوم بها الدولة إزاء الأسرة وأطفالها لابد ان تشجع الأسرة على إنجاب العدد الكافي من الأطفال الذي يتلائم مع حاجة المجتمع والدولة والسكان ويتوافق مع ظروف الأسرة وإمكاناتها المادية والاجتماعية .

ان حث الأسر على زيادة حجما من خلال الإنجاب يكمن في الإيجابيات الكثيرة التي تتسم بها الأسر الكبيرة الحجم . فكثرة الإنجاب تمكن المجتمع من زيادة عدد نفوسه وبالتالي قدرته على استثمار موارده وخيراته الطبيعية استثماراً اقتصادياً كاملاً وهادفاً ، وكفايته في المضي قدماً في طريق التنمية والتحضر والتحديث وشروعه في بناء حضارته ورسم سماتها الجوهرية والموضوعية (١٤) . فضلاً عن أهمية كثرة السكان في المكانة السياسية الإيجابية التي يحتلها المجتمع بالنسبة للمجتمعات الأخرى خصوصاً إذا كان السكان متخصصاً ومدرباً على فنون العلم والتكنولوجيا . واخيراً يؤدي السكان الكبير تأثيره المساعد

في بناء القوة العسكرية التي تدافع عن أمن الوطن والدفاع عن حدوده وصيانة أمنه الوطني .

ب. المهام الإنتاجية والخدمية للمرأة العراقية خارج البيت

ازدادت أعداد النساء العاملات في العراق زيادة تتوازى مع طبيعة التحولات الحضارية والاجتماعية والمادية والتكنولوجية التي شهدها بعد الخمسينات والستينات من القرن العشرين . فقد دأبت الدولة وحاول المسؤولون على تحرير المرأة العراقية من المظالم والقيود الاجتماعية التي فرضتها عليها النظم الإقطاعية والاستبدادية والسلطوية . وفسح المجال أمامها باكتساب الثقافة والتربية والتعليم واشغال شتى الأعمال والمهن التي لا تعود مردوداتها الإيجابية للعراق فحسب بل تعود للمرأة ايضاً عن طريق رفع مكانتها الاجتماعية وتغيير المواقف السلبية التي كان يحملها الرجل إزاءها وإزاء إمكانياتها المبدعة والخلاقة [١٥].

ان استراتيجية الدولة الخاصة بمسالة المرأة هي استراتيجية نابعة من المبادئ الأخلاقية والإنسانية للتراث الحضاري للامة العربية والإسلامية ، هذه المبادئ التي تعتقد بحتمية تحرير المرأة العربية من القيود الاجتماعية والضغوط الحضارية وإزالة مظاهر التخلف والتداعي التي سيطرت على مجتمعها لفترة طويلة من الزمن[١٦]. وقد حاولت هذه المبادئ الخيرة تغيير العمل المتدني الذي كانت تحتله المرأة العربية في السابق . وفي نفس الوقت العمل من اجل دعم مركزها وكيانها المهم الذي تتطلبه المرحلة الراهنة التي يمر بها مجتمعنا العربي[١٧].

ان انتشار التعليم الأساسي والعالي بين الإناث وقبول المرأة في كافة المعاهد والكليات والجامعات ونجاحها في إكمال الدراسة الجامعية

وتأهيلها العلمي الجيد خصوصاً في السنوات القليلة الماضية قد تركت آثارها الإيجابية في هيكل التوزيع المهني للأعمال حسب متغير النوع السكاني[١٨] . ففي الوقت الحاضر يشاهد المرء تزايد أعداد النساء اللواتي يشغلن الأعمال الروتينية والإنتاجية والإدارية والمهنية[١٩]. ولم تبق مهنة واحدة سواء كانت هذه المهنة قديمة أو حديثة إلا ودخلتها المرأة العراقية وبرهنت كفايتها واقتدارها على إشغالها والقيام بمهامها ومتطلباتها [٢٠]. ان عدد النساء العاملات في المهن البيروقراطية والإدارية والوظيفية خصوصاً المعلمات والطبيبات والممرضات والمهندسات والباحثات الاجتماعيات والمحاميات والاقتصاديات والصيدلانيات .. الخ اخذ في الزيادة السريعة كل عام[٢١]. وهناك نسبة عالية من القوى العاملة النسوية تشتغل في المصانع والمزارع على اختلاف أنواعها . كما أتاحت الدولة المجال أمام المرأة بإشغال المراكز الحساسة في نقابات العمال والمنظمات المهنية والوزارات والمديريات العامة . تشير الإحصاءات الرسمية الى ان نسبة الاستخدام بين النساء بسن العمل قد ارتفعت من ١٣,٢% في عام ١٩٧٤ الى حدود ١٨% في عام ١٩٨٠ [٢٢].

واستمرت النسبة بالارتفاع السريع حتى أصبحت حوالي ٢٨% في عام ١٩٩٧[٢٣]. كما ارتفعت نسبة النساء من مجموع القوى العاملة في البلاد من ١٧% في عام ١٩٧٦ الى ١٩% في عام ١٩٨٠[٢٤]. واستمرت النسبة بالارتفاع حتى بلغت ٣١% في عام ١٩٩٧ . ويقدر معدل الزيادة السنوية في أعداد المشتغلات خصوصاً خلال فترة الحرب بحدود ١١,٦% .

وبجانب إقبال النساء على أماكن العمل الإنتاجي والخدمي وعلى أماكن الدراسة الأساسية والجامعية والعليا فإنهن في ذات الوقت يتمتعن بالمزيد من الحقوق السياسية كحق الانتماء الى صفوف الأحزاب السياسية وحق انتخاب المجالس البلدية والمحلية والتشريعية وحق الانتماء الى المنظمات الجماهيرية والشعبية والمشاركة في إدارتها وتوجيه سياستها المهنية والاجتماعية والتعبوية[٢٥]. واستطاعت المرأة في ظل قوانين الدولة ان تحصل على الكثير من حقوقها الشرعية كحقها في رفض زواجها من الرجل الذي لا ترغب فيه كزوج لها وحقها في طلب الطلاق من وزجها اذا كانت هناك أسباب موجبة للطلاق وحقها في اتخاذ القرارات مع وزجها في الإنجاب وتربية الأطفال وادارة شؤون الأسرة وتنظيم العلاقات مع الأقارب . واخيرا حقها في الوصية والميراث والملكية .

ان جميع المكاسب والحقوق التي حصلت عليها المرأة العراقية مؤخرا تعتبر بمثابة العوامل المساعدة على عملها خارج البيت خصوصا وان هناك الكثير من الأعمال الإنتاجية والخدمية التي تنتظرها . وعلى الرغم من ذلك نرى إن نسبة القوى العاملة النسوية في العراق واطئة اذا ما قورنت بنسبة القوى العاملة النسوية في الدول الصناعية المتقدمة ، لذا يتطلب تحفيز النساء على كافة انحداراتهن الاجتماعية ومستوياتهن الثقافية والمهنية بالمشاركة في العمل الاقتصادي خارج البيت لكي يكون بمقدور القطر الحصول على القوى العاملة المدربة وغير المدربة التي يحتاجها في المرحلة الراهنة ويستغني عن العمال العرب والأجانب .

ان انخراط جموع النساء الى العمل المثمر سيمكن العراق من سد حاجته الى الأيدي العاملة ، وهنا تتحسن الأحوال الاقتصادية والاجتماعية ويعم الخير والرفاه والازدهار في ربوع المجتمع . ولكن عمل المرأة خارج البيت ومساهمتها في مشاركة زوجها في كسب موارد العيش للأسرة غالبا ما يؤدي الى رفاهية الأسرة المادية وقدرتها على سد كافة متطلباتها(٢٩) . فالأسرة الميسورة هي الأسرة التي تستطيع العيش التي تستطيع العيش في دار تتوفر فيه جميع شروط السكن الجيد وتستطيع تأثيثه بالأثاث اللازمة ، كما تستطيع اقتناء جميع وسائل أداء العمل المنزلي كسيارة البيت والثلاجة والمكنسة الكهربائية والمروحة وطباخ الغاز .. الخ . فضلاً عن قدرتها على ممارسة أنشطة الفراغ والترويح الجيد خلال أوقاتها الحرة ، وممارستها مثل هذه الأنشطة لابد ان تطور شخصيات أفرادها وتفجر قابلياتهم المبدعة والخلاقة(٢٧) .

ومن الجدير بالذكر ان عمل المرأة خارج البيت ومشاركتها في تحمل بعض الأعباء المادية للأسرة لابد ان تدفع الزوج او الأخ او الابن الى احترامها وتقديرها والدفاع عن حقوقها ومساعدتها في أداء واجباتها المنزلية . علما بان هناك أدلة إحصائية تشير الى ان عمل المرأة أدى الى تعميق العلاقات الزوجية وزيادة المحبة والتفاهم والتعاون بين الزوجين . كما ان توفر فرص العمل للمرأة ستدفعها الى المضي قدماً في اكتساب التربية والتعليم والتدريب على المهارات والاختصاصات التي يحتاجها المجتمع المعاصر .

ج. ازدواجية اثر المرأة العراقية المعاصرة في الإنجاب والأعمال المنزلية وممارسة العمل خارج البيت

ان المرأة العراقية المعاصرة نتيجة لظروفها الموضوعية والذاتية وظروف مجتمعها وطبيعة المرحلة الحضارية التاريخية التي يمر بها مطالبة بالتركيز على أداء مهمتين أساسيتين هما إنجاب الأطفال وتربيتهم تربية اجتماعية وأخلاقية ووطنية إيجابية ومزاولة العمل الإنتاجي او الوظيفي او الخدمي خارج البيت . ذلك ان الإنجاب هو وظيفة أساسية من وظائف الأسرة وواجب جوهري من واجبات المرأة المتزوجة . فمن أهداف الزواج وتكوين الأسرة إنجاب الأطفال الذين يحافظون على سلالة الأسرة ويربطون حاضرها بماضيها ويؤدون الحضور الكبير في استمرارية ومواصلة عطاءاتها للمجتمع الكبير[٢٨]. فضلاً عن أهميتهم في قوتها ومتانتها ووحدتها التي تمكنها من تحقيق أهدافها القريبة والبعيدة . كما ان الإنجاب هو من العوامل الأساسية التي تحافظ على السكان من القلة أو الانقراض وتمكنه من الزيادة المستمرة خلال الشعوب والعصور[٢٩]، تلك الزيادة التي تتمخض عنها قوة المجتمع وقابليته على استثمار موارده الطبيعية والدفاع عن تراثه ومقدساته ومنجزاته المادية والحضارية ضد الأعداء والطامعين .

أما عمل المرأة خارج البيت فله عدة فوائد ومردودات للمرأة ذاتها واسرتها ومجتمعها الكبير . ان مشاركة المرأة في العمل الإنتاجي والمهني يمكنها من الاستفادة من طاقاتها وخبراتها ومؤهلاتها العلمية والتكنولوجية . ويعزز مكانتها الاجتماعية في الأسرة والمجتمع ويساعد أسرتها على بلوغ الرفاهية الاقتصادية والمادية ، هذه الرفاهية التي تنتج في وحدتها وتماسكها وقوتها اذ تستطيع تحقيق كافة طموحاتها

وأهدافها . فعمل المرأة خارج البيت يضاعف الموارد الاقتصادية للأسرة ويمكنها من سد حاجتها ومطاليبها الأساسية والثانوية[٣٠]. وهنا تكون الأسرة مؤسسة فاعلة في البناء الاجتماعي لها أهميتها ووزنها المؤثرين في تنمية المجتمع وتحوله المجتمعي الهادف . كما ان عمل المرأة خارج البيت يرفد المجتمع الكبير بالطاقات البشرية المبدعة والخلاقة التي تساعده في استثمار موارده الطبيعية وتنظيم ماكنته الإدارية وتمشية أموره الإنتاجية والخدمية على افضل صورة ممكنة . إذن عمل المرأة خارج يضعف حجم القوى العاملة في البلاد ويساعد القطر في تنفيذ خططه التنموية دون الاعتماد على الأيدي العاملة الأجنبية . اما إذا كانت الطاقات البشرية النسوية غير معبئة وحبيسة واسيرة القيم والعادات والتقاليد الاجتماعية البالية فان نصف الطاقات البشرية للمجتمع ستكون معطلة وجامدة . وهنا لا يستطيع المجتمع استثمار موارده وخيراته الطبيعية ويفشل في تنفيذ خططه التنموية ويواجه صعوبات جمة في إدارة أموره الإنتاجية والخدمية . لذا والحالة هذه ينبغي على المرأة تبوء العمل الاقتصادي والوظيفي خارج البيت والعمل جنبا الى جنب مع الرجل بغية إحراز التنمية الشاملة المطلوبة وتطوير المجتمع في شتى الميادين .

مما تقدم نستنتج بان المرأة مطالبة بالموازنة بين ضرورات الإنجاب وضرورات مزاولة العمل الاقتصادي والوظيفي خارج البيت . بمعنى آخر انها مطالبة بالإنجاب وتربية الأطفال ورعاية الأسرة ومطالبة في ممارسة العمل في ان واحد . ومساهمة المرأة في مهمة الإنجاب ومهمة العمل خارج البيت ستجعلها تحتل عملين اجتماعيين ووظيفيين في آن واحد . هما عمل ربة البيت (الام) وعمل العاملة او

الموظفة خارج البيت ، واحتلالها لمثل هذين الأثرين المتكاملين في ان واحد لابد ان يرفع مكانتها في الأسرة والمجتمع ويؤدي الى تحسن المستوى المعاشي والاجتماعي والثقافي للأسرة كمنظمة اجتماعية .

لكن المرأة المؤهلة على أداء المهمتين الوطنيتين في ان واحد مهمة الإنجاب ومهمة العمل خارج البيت هي المرأة التي تتسم بمواصفات معينة سنذكرها بعد قليل ، ليست كافة النساء قادرات ومؤهلات على أداء هاتين المهمتين المعقدتين ، ومع هذا يطمح القادة والمسؤولون والمخططون الاجتماعيون والاقتصاديون على قيام نسبة كبيرة من النساء بأداء مهمة الإنجاب ومهمة العمل الاقتصادي ، تتسم المرأة المؤهلة على أداء هاتين المهمتين الوطنيتين بالصفات التالية :

أ. ان تكون المرأة مثقفة ومدركة وواعية لأهمية الإنجاب والعمل الاقتصادي لذاتيتها واسرتها ومجتمعها الكبير .

ب. ان تكون المرأة مؤهلة جسميا وعقليا واجتماعيا وثقافيا على أداء المهمتين المذكورتين .

ج. ان تكِون هناك حوافز مادية ومعنوية تشجع المرأة على الإنجاب والعمل في ان واحد .

د. أن يقبل كل من الرجل والمجتمع الكبير العملين الوظيفيين المتكاملين اللذين تقومان بهما المرأة (اثر الام وحضور العاملة او الموظفة في آن واحد) .

هـ . ان يكون الرجل او الزوج مستعدا على مساعدة زوجته وتمكينها من أداء المهمتين المذكورتين كأن يشارك في أداء العمل المنزلي ورعاية الأطفال والصغار خصوصا وقت غياب الام من البيت .

و. ان يكون المجتمع الكبير ناهضاً ومتقدما بحيث يوفر للمرأة العاملة كافة التسهيلات التي من شانها ان تساعد المرأة في أداء المهمتين المشار اليهما أعلاه كتوفي الحضانات ورياض الأطفال الجيدة وتوفير المواد الغذائية المطبوخة او نصف المطبوخة والملابس الجاهزة وتوفير الأجهزة والمعدات التكنولوجية الحديثة التي تساعد على تسهيل العمل داخل البيت كطباخ الغاز والمكنسة الكهربائية والغسالة والثلاجة وتوفير وسائط النقل والمواصلات التي تسهل مهمة الذهاب والإياب من العمل بالنسبة للمرأة العاملة .

ي. ان تكون المرأة مستعدة ومقتنعة ذاتياً واجتماعياً في اداء مهام الإنجاب والعمل ، وان تكون قادرة على رسم جدول زمني يوازن بين مهام رعاية الأطفال وتدبير شؤون البيت والاهتمام بالزوج ومهام العمل الوظيفي الذي تمارسه خارج البيت وبين امور الفراغ والترويح والراحة والاستجمام .

من جهة ثانية نلاحظ بان مواصفات المرأة وحدها غير كافية على قيامها بمهمتي الإنجاب والعمل . فبجانب مواصفات المرأة التي ذكرناها أعلاه مواصفات المجتمع الكبير الذي تعيش فيه المرأة وتتفاعل معه . فالمجتمع ينبغي ان يفسح المجال للمرأة ويشجعها على الإنجاب والعمل وذلك من خلال التسهيلات الاجتماعية التي يقدمها للأسرة كخدمات رعاية الأسرة ورعاية الأمومة والطفولة والخدمات السكنية والخدمات الطبية والخدمة التعليمية والتربوية والخدمات الترويحية(٣١). فضلا عن ضرورة توفر خدمات التشغيل والاستعمال والضمان الاجتماعي والنقل والمواصلات والخدمات التسويقية والتوزيعية التي تضمن وصول السلع الأساسية والكمالية الى الأسرة

باستمرار . كما ان هيئات العمل ومدراء الدوائر والمؤسسات التي تعمل فيها المرأة ينبغي فهم ظروف المرأة وملابساتها وتقديم المساعدات لها التي تمكنها من الاستمرار في العمل والإنجاب ورعاية شؤون الأسرة .

إذن كل من مواصفات المرأة والمجتمع تساعد على قيام النسوة بأداء المهمتين الوطنيتين المذكورتين أعلاه . غير ان المواصفات الإيجابية التي ينبغي ان تتوفر عند المرأة يمكن خلقها وبلورتها وترسيخها عند النساء والمجتمعات المحلية من خلال عدة قنوات أهمها ما يلي :

أ. المؤسسات التربوية والتعليمية والثقافية .

ب. وسائل الإعلام الجماهيرية كالتلفزيون والراديو والصحف والمجلات والإعلان .. الخ .

ج. المنظمات المهنية والشعبية والحزبية .

د. أماكن العبادة والعمل .

هـ . القادة والمسؤولون .

و. العائلة والأقارب .

٥. المشكلات الناجمة عن جمع المرأة بين مهام الإنجاب والعمل

تتعرض المرأة التي تجمع بين مهام الإنجاب والعمل الى الكثير من المشكلات والتحديات التي تهدف هذه الدراسة الى تشخيصها وتوضيح مظاهرها السلبية ثم معالجتها لكي تتمكن المرأة من النجاح في مهمة الإنجاب ومهمة العمل والجمع بين المهمتين تلبية لطموحات واهداف المجتمع الكبير الذي يحتاج الى السكان ويحتاج الى الأيدي العاملة المنتجة والخلاقة التي من خلالها يستطيع المجتمع بلوغ

الرفاهية المادية وإحراز التقدم الاجتماعي . ان هناك أربع مشكلات أساسية تواجه المرأة العراقية التي تجمع بين مهمتي الإنجاب والعمل ، وهذه المشكلات هي :

أ. تعرض المرأة للتعب والإرهاق والملل .

ب. إهمال مهمة تربية الأطفال والتقصير فيها .

ج. اضطراب الحياة الزوجية للمرأة .

د. التناقض بين مهام البيت ومهام العمل(*).

والآن نود شرح هذه المشكلات بالتفصيل علماً بان معالجتها ستأتي في المبحث القادم من الدراسة .

أ. تعرض المرأة للتعب والإرهاق والملل :

من المشكلات المهمة التي تواجهها المرأة التي تجمع بين مهام الإنجاب والعمل مشكلة تعرض المرأة للتعب والإرهاق والملل خصوصا إذا كان للمرأة عدد كبير من الأطفال يزيد على خمسة أطفال . فالمرأة تصرف كافة أوقاتها في أداء مهام البيت ومهام العمل بحيث لا يكون عندها وقت للفراغ والترويح ووقت لتنمية شخصيتها وتطوير إمكاناتها ووقت تقضيه مع زوجها واقاربها . وهنا تتعرض المرأة للإعياء الجسماني والعقلي وينتابها الملل والضجر وتخيم عليها أجواء الحياة الرتيبة التي لا تستطيع المرأة التحرر منها والإفلات من قبضتها بسهولة(٣٢) .

(*) شخص الباحث هذه المشكلات بالدراسة الميدانية التي أجراها على عينة من ٢٠٠ امرأة عاملة في مدينة بغداد عام ١٩٩٥ . وقد تمخضت الدراسة عن البحث الميداني الموسوم " المشكلات الأسرية والمهنية التي تعاني منها المرأة العاملة " .

في بداية اليوم أي قبل ذهاب المرأة الى العمل تتولى العناية بالأطفال إذ تهيأهم للذهاب الى الحضانات او رياض الأطفال او المدارس ثم تذهب الى العمل لتقضي هناك ساعات طوال في أداء مهام العمل الوظيفي المطلوب منها . وبعد الانتهاء من العمل الوظيفي ترجع الى البيت لتتولى أداء الواجبات المنزلية التي لا تعد ولا تحصى فهي المسؤولة عن التنظيف والطبخ وغسل الملابس والعناية بالأطفال ومعالجتهم في حالة المرض . فضلا عن مسؤولياتها نحو زوجها إذ يتوقع منها سد كافة حاجاته ومتطلباته الحياتية والعاطفية . ناهيك بالجهود والمسؤوليات التي تتحملها الزوجة إزاء أقاربها خصوصا أهلها واهل زوجها . فالمجتمع يتوقع منها زيارتهم بين فترة وأخرى وتقديم المساعدات لهم والمشاركة في أفراحهم وأحزانهم . واخيرا تكون المرأة مسؤولة عن العناية بالمرضى من أفراد عائلتها واقتناء الحاجيات وشراء الأثاث وتدبير الأمور الأخر للمنزل . ان كافة هذه المهام والمسؤوليات المرهقة تعرض المرأة الى الإعياء الجسمي والعقلي خصوصا إذا كان زوجها لا يقدم لها المساعدات ولا يشاركها في تحمل أداء هذه المسؤوليات ويتوقعها القيام بكل شيء(٣٣) .

ان إعياء المرأة جسميا وعقليا ومعاناتها من روتينية الحياة الرتيبة والمملة سيعرضانها الى المرض الجسمي والعقلي الذي يقلل من درجة تكيفها للمحيط الاجتماعي الذي تعيش فيه وتتفاعل معه . لذا يجب على الزوج او الرجل معرفة المعاناة الحقيقية التي تتعرض لها المرأة في البيت والمجتمع ثم تقديم المساعدة الإيجابية لها ، المساعدة التي تقلل من درجة إعيائها وتمكنها من العيش بصورة هادئة ومستقرة في العائلة والمجتمع . كما يتطلب من الدولة تقديم الخدمات الاجتماعية

والاقتصادية التي تساعد المرأة على تحمل أعبائها ومسؤولياتها إزاء الإنجاب والعمل .

ب. مشكلة تربية الأطفال ورعايتهم :

تعاني المرأة العاملة من مشكلة تربية أطفالها . فقضاء المرأة ساعات طوال في العمل خارج البيت يعرض الأطفال الى الإهمال وضعف التربية . ناهيك بقلق المرأة على أطفالها عندما تتركهم في البيت وحدهم ، وقلقها هذا لا يساعدها على التركيز على العمل المناط بها مما يسبب انخفاض إنتاجيتها وتدني مستوى الخدمات التي تقدمها للمؤسسة أو الجهة التي تعمل فيها(٣٤).

ان المرأة العاملة في معظم الأوقات والحالات تتعرض الى مشكلة عدم وجود من يرعى أطفالها ويشرف عليهم ويلبي متطلباتهم خلال فترة خروجها الى العمل . فالأزواج في معظم الحالات لا يستطيعون مساعدة زوجاتهم في تحمل مسؤولية العناية بالأطفال خلال فترة خروجهن الى العمل وذلك اما لانشغالهم في العمل الوظيفي او عزوفهم عن تحمل مسؤولية تربية الأطفال والإشراف عليهم لاسباب نفسية واجتماعية وحضارية بحتة . فمعظم الأزواج يرفضون تنظيف الأطفال او اللعب معهم او السهر على رعايتهم ، لان مثل هذه الواجبات هي من اختصاص النساء وليس من اختصاصهم(٣٥). كما ان قلة حضانات الأطفال وبعدها الجغرافي عن الأماكن السكنية وهبوط نوعيتها لا يشجع الأمهات على إرسال أطفالهن لها خلال فترة عملهن. زد على ذلك عزوف الجيران والأقارب عن تحمل مسؤولياتهم حول العناية بأطفال المرأة العاملة نظرا لضعف العلاقات الاجتماعية بين العائلة الزواجية واقاربها من جهة والعائلة الزواجية وجيرانها من جهة

أخرى وذلك لسيطرة مظاهر التحضر والتصنيع والتحديث الشامل على قطاعات ومؤسسات المجتمع .

ومن الجدير بالذكر انه عندما لا يوجد من يساعد المرأة العاملة في العناية بأطفالها والإشراف عليهم خلال فترة غيابها عن البيت فان الأطفال غالبا ما يعانون من مشكلة تردي أوضاعهم الاجتماعية والصحية والتربوية والسلوكية او ينحرفون عن الطريق السوي بعد اختلاطهم بأبناء السوء وتأثرهم فيهم مما يولد عندهم خصائل الجنوح والإجرام[٣٦]. ونتيجة لعدم وجود الأبوين في البيت فقد يهمل الأطفال واجباتهم المدرسية ويتهربون من السعي والاجتهاد بسبب عدم وجود من يشرف عليهم ويوجههم . وهنا يتعرض هؤلاء الصغار الى الرسوب وترك الدراسة وعدم الاستفادة من قابلياتهم وإمكانياتهم الذكائية والعقلية . ولمعالجة هذه الحالة السلبية تضطر المرأة العاملة الى طلب الإجازات المتوالية او عدم المواظبة على العمل او استعمال الهاتف وقت عملها للاطمئنان على سلامة الأطفال او حتى جلب الأطفال معها الى العمل[٣٧]. وجميع هذه الأمور تضر بمصالح المؤسسات والمصانع ويمنع تحقيق أهدافها القريبة والبعيدة .

ج. اضطراب الحياة الزوجية للمرأة :

هناك مشكلة أخرى تعاني منها المرأة العاملة الا وهي مشكلة توتر علاقاتها الزوجية . علما بان عمل المرأة خارج البيت كما تشير الدراسات والأبحاث الاجتماعية يجلب للمرأة الاحترام والتقدير ويرفع منزلتها الاجتماعية ويثبت أقدامها في الأسرة والمجتمع ويرفه عنها مادياً وحضارياً ويقوي معنوياتها ويعزز ثقتها بنفسها وإمكاناتها ويدعم استقلاليتها وذاتيتها[٣٨]. بيد ان ضعف وتوتر العلاقات الزوجية يأتيان

من غياب المرأة ساعات طوال عن البيت وتعرضها للإرهاق والتعب والملل بسبب انشغالها بأداء الواجبات الوظيفية والمنزلية في آن واحد وعدم قدرتها على تقديم العناية المطلوبة للزوج والأطفال .

ومما يسيء الى العلاقات الزوجية عدم مبادرة الزوج الى مساعدة زوجته في أداء الواجبات المنزلية والعناية بالأطفال وتراكم الأعمال والمسؤوليات عليها وعدم قدرتها على الإيفاء بالتزاماتها داخل وخارج الأسرة . وهنا يعتقد الزوج بان زوجته مقصرة في خدمته وخدمة أطفاله وغير قادرة على إدارة وتمشية أمور البيت . ومثل هذا الاعتقاد يسيء الى العلاقات الزوجية ويسبب التصادم بين الزوجين مما يؤثر في استقرار الأسرة ووحدتها [٣٩] .

تشير الدراسة الموسومة " المشكلات الاسرية والمهنية التي تعاني منها المرأة العاملة " التي هي دراسة ميدانية في محافظة بغداد أجراها الباحث الدكتور إحسان محمد الحسن الى ان اغلب النساء العاملات اللواتي قابلهن في صيف عام ١٩٩٥ (١٢٣) من مجموع ٢٠٠ (٦٢%) يشعرن بان عملهم خارج البيت يسبب إهمالهن لرعاية أزواجهن وأطفالهن[٤٠]. كما ان (٩٨) من مجموع ١٢٣ امرأة عاملة (٨٠%) يعلمن بان هذا الإهمال ينتج في عدم استقرار الأسرة وبالتالي زيادة نسب الطلاق في المجتمع . هذه الحالة صحيحة في ظل الظروف الصعبة التي تعمل فيها المرأة العراقية . بيد ان مساعدة الزوج لزوجته في أداء أمور البيت وعدم توقعه قيامها بتحمل مسؤوليات رعايته ورعاية أطفاله والاهتمام بتلبية جميع متطلبات بيته، فضلا عن إنشاء المزيد من الحضانات ورياض الأطفال وتطوير مستوياتها ومبادرة الدولة بتقديم الخدمات الاقتصادية والثقافية

والاجتماعية والصحية والسكنية والترويحية ، كل ذلك سيخفف من وطأة المسؤوليات الجسام والالتزامات المتشعبة التي تضطلع بها المرأة المعاصرة ويسهل عليها القيام بواجباتها الوظيفية والمنزلية . الأمر الذي يوطد العلاقات الزوجية داخل الأسرة ويحمي الأسرة من أخطار التفكك والتصدع وعدم الاستقرار .

د. التناقض بين مهام البيت ومهام العمل

ان المرأة العاملة ليست مسؤولة فقط عن أعباء العمل الوظيفي الذي تمارسه خارج البيت بل مسؤولة أيضا عن أعباء الأسرة ومتطلبات الزوج والأطفال والأقارب . وعمل المرأة ساعات طوال خارج البيت لابد ان يتعارض مع مسؤولياتها المنزلية وواجباتها الاسرية . والتعارض هذا يوقع المرأة العاملة في مشكلات التوفيق بين متطلبات عملها المنزلي ومتطلبات عملها الوظيفي إذ لا تعرف على أي واجبات تركز[٤١] . فإذا ركزت على واجباتها المنزلية والأسرية وأهملت واجباتها المهنية الوظيفية فان هذا لابد ان يعرض عملها الإنتاجي او الخدمي الى الخطر . أي إنتاجيتها تتعرض الى الهبوط وتضطرب الخدمات التي تقدمها الى المجتمع وتسيء علاقاتها مع الإدارة والمسؤولين مما يضطرها الى التوقف عن العمل او تركه كليا . وإذا ما ركزت المرأة العاملة على عملها الوظيفي وأهملت واجباتها الأسرية فان بيتها يتعرض الى الاضطراب والفوضى وسوء الإدارة مما يترك أثره المخرب في سلوك الأطفال وسلامة تنشئتهم الاجتماعية ويسيء الى العلاقات الزوجية بحيث تكون الأسرة عرضة للتفكك والتحلل وعدم الاستقرار .

ان المشكلة التي تعاني منها المرأة العاملة في الوقت الحاضر تتجسد في عدم وجود من يحل مكانها في البيت أثناء خروجها الى العمل . فعندما تذهب الى العمل لا يوجد من يكون مسؤولا عن رعاية الأطفال وتربيتهم واداء الأعمال المنزلية اللازمة . ذلك ان الزوج في الأعم الأغلب لا يساعد زوجته في رعاية الأطفال وفي أداء الأعمال المنزلية بسبب القيم والمواقف الكلاسيكية السائدة في المجتمع والتي لا تحبذ قيام الرجال بهذه الأعمال وتتوقع من النساء تحمل وزرها دون مساعدتهن من قبل الرجال . كما ان قلة المعينات وصعوبة الحصول عليهن وضعف العلاقات القرابية وهامشية صلات الجيرة تجعل المرأة العاملة وحيدة في أداء واجباتها المنزلية دون وجود من يساعدها ويخفف عنها عملها الثقيل . وهذه الحقيقة تعرضها الى الإرهاق والإعياء الجسدي والنفسي خصوصا وانها مسؤولة عن تحمل أعباء أعمالها المنزلية والوظيفية في ان واحد .

تشير دراسة الدكتور إحسان محمد الحسن الموسومة " المشكلات الأسرية والمهنية التي تعاني منها المرأة العاملة " الى ان أغلبية النساء اللواتي تمت مقابلتهن (١٠٥) من مجموع (٢٠٠) (٥٣%) يتحملن وحدهن مسؤولية الواجبات المنزلية بضمنها تربية الأطفال ولا يوجد من يساعدهن في أداء هذه المسؤوليات . وان عددا قليلا منهن ٦٢ من مجموع (٢٠٠) (٣١%) يتلقين المساعدات في أداء الواجبات المنزلية من أزواجهن عند ذهابهن الى العمل . اما المساعدات التي يقدمها الأقارب والأبناء الصغار للنساء العاملات وقت عملهن خارج البيت فهي قليلة ومحدودة .

٦. التوصيات والمعالجات لحل مشكلات التقاطع بين مستلزمات الإنجاب والعمل :

بعد تشخيص أهم المشكلات التي تعترض سبيل المرأة في التوفيق بين متطلبات الإنجاب ومتطلبات العمل علينا في هذا المبحث معالجتها والتصدي لمسبباتها الموضوعية والذاتية . والعلاج هذا يأخذ التوصيات والمعالجات التالية :

١. ضرورة قيام وسائل الإعلام الجماهيرية وبقية الجماعات المؤسسية في المجتمع كالمدارس والجامعات والمنظمات الجماهيرية وأماكن العبادة والعمل والقادة المسؤولين والمجتمعات المحلية بحث الأسر والنساء على :

أ. تسهيل مهام الزواج وذلك لكون الزواج شرطا أساسيا من شروط الإنجاب . وتسهيل أمور الزواج يكون عن طريق تخفيض المهور وعدم فرض الشروط الصعبة على الشباب الذين يريدون الزواج .

ب. حث المرأة مهما تكن خلفيتها الاجتماعية ومستواها الثقافي والعلمي على مزاولة العمل خارج البيت .

ج. حث المرأة على ضرورة الجمع والتوفيق بين مهام الإنجاب ومهام العمل .

٢. ضرورة تخفيف حدة التعب والإرهاق والملل عن كاهل المرأة وذلك من خلال الإجراءات التالية :

أ. حث الزوج والأبناء الكبار على تقديم المساعدات للزوجة في العناية بالأطفال والصغار والتدبير المنزلي خصوصا وقت ذهاب المرأة للعمل خارج البيت .

ب. حث الأقارب على تقديم العون والمساعدة للزوجة التي لديها أطفال وتمارس العمل الوظيفي خارج البيت . والمساعدة تأخذ عدة جوانب أهمها رعاية الأطفال والتدبير المنزلي والزيارات المستمرة لتفقد أوضاع الأسرة الزواجية .

ج. حث الإدارة وأصحاب العمل على عدم تطبيق الشروط الصعبة للعمل على المرأة العاملة التي لديها أطفال ومسؤوليات بيتية والتساهل في مسائل الدوام ومتابعة شؤون العمل والدقة في أداء العمل .

٣. ضرورة عدم توقع الأزواج من زوجاتهم القيام بكافة المهام المتعلقة بتربية الأطفال وتدبير شؤون المنزل خصوصا عندما تكون الزوجات عاملات او موظفات خارج البيت . وهنا يتطلب من هؤلاء الأزواج مساعدة زوجاتهم في مهام تربية الأطفال والتدبير المنزلي .

٤. على الدولة والمنظمات المهنية والشعبية فتح المزيد من الحضانات ورياض الأطفال في طول القطر وعرضه وتحسين نوعيتها والإشراف عليها لكي تتولى من جانبها العناية بالأطفال والصغار والإشراف عليهم خلال ساعات غياب الام عن البيت . كما يتطلب من المدارس الابتدائية زيادة ساعات دوامها لكي تتلائم ساعات الدوام فيها مع ساعات عمل الام في المؤسسات الإنتاجية والخدمية . أما إذا كانت ساعات الدوام في المدارس الابتدائية قصيرة فان الأطفال يذهبون الى بيوتهم في وقت مبكر ولا توجد خلاله الأمهات . وهنا تضطر النساء العاملات او الموظفات خلق

الأعذار للخروج عن العمل وتركه لكي يشرفن ويراقبن أطفالهن في البيوت .

٥. ضرورة مبادرة الدولة وأجهزة القطاع الخاص بتوفير السلع الأساسية والكمالية والملابس الجاهزة والمواد الغذائية الجاهزة ونصف الجاهزة وتوزيعها على تجار المفرد في كافة أجزاء القطر لكي تكون في متناول الأمهات . وهنا تتفرغ الأمهات لاداء الأعمال المنزلية والوظيفية .

٦. على المرأة العاملة والموظفة تنظيم جدول زمني يحدد أوقات عملها المنزلي وأوقات عملها الوظيفي ويقسم العمل على أفراد الأسرة ويوازن بين أوقات العمل وأوقات الفراغ والترويح .

٧. على وسائل الأعلام الجماهيرية ودوائر الإرشاد والبحث الاجتماعي وأماكن العبادة والمنظمات الجماهيرية والشعبية خصوصا الاتحاد العام لنساء العراق تثقيف المرأة بطبيعة مشكلات المجتمع ومحاربة أميتها الحضارية لكي تعرف كيفية الموازنة بين متطلبات عملها ومتطلبات أسرتها ولا تعكس مشكلاتها الخاصة في عملها وتتسلح بالقيم الاجتماعية الإيجابية التي تدفعها الى حب العمل الجماعي والتضحية في سبيل الغير وتحمل المسؤولية كاملة والصدق في القول والإخلاص في العمل والنقد الذاتي والانضباط والتحمل والمعاناة والدقة في أداء العمل .. الخ . كما تعني محاربة أميتها الحضارية تزويدها بالمعلومات الصحية والاقتصادية والسياسية التي تجعل منها امرأة يمكن الاعتماد عليها في المهمات والشدائد .

٨. على المرأة العاملة ان تتحمل مسؤولياتها المهنية كاملة وتقدر العمل الذي تزاوله وتعي حاجة المجتمع الماسة لجهودها الإنتاجية والخدمية واحترام الإدارة والمسؤولين والتعاون معهم كلما استطاعت الى ذلك سبيلا .

٩. على الإدارة والمسؤولين احترام المرأة العاملة وتثمين جهودها الإنتاجية والخدمية الخلاقة وعدم استغلالها وتقدير ظروفها ومسؤولياتها الوظيفية والأسرية والمنزلية ومنحها الحوافز المادية والمعنوية التي تستحقها وزيادة أجورها او رواتبها إذا كانت مستحقة لذلك ورفع كفاءتها ومهارتها في أداء العمل .

١٠ . ينبغي على المجتمع تغيير مواقفه إزاء منزلة المرأة في المجتمع ومساواتها مع الرجل في الواجبات والحقوق والسماح لها بالدخول الى كافة الأعمال الإنتاجية والخدمية . ذلك ان تغيير مثل هذه المواقف سيؤدي أثره الكبير في تفجير طاقات المرأة وبعث قواها وإمكاناتها الخلاقة خدمة لاهداف الدولة والمجتمع .

الخلاصة والاستنتاج

تضطلع المرأة العراقية المعاصرة بمهمتين وطنيتين أساسيتين هما الإنجاب من خلال الزواج وتكوين الأسرة الزواجية ومزاولة العمل الإنتاجي والوظيفي خارج البيت . ومشاركة المرأة العراقية في هاتين المهمتين جعلتها تحتل عملين اجتماعيين متكاملين هما عمل الزوجة والام في البيت وحضور العاملة او الموظفة خارج البيت . وإشغالها لمثل هذه الأعمال المهمة والخطيرة قد رفع مكانتها في المجتمع وجعلها تقف على صعيد واحد مع الرجل في الواجبات والحقوق الاجتماعية .

ان معدلات الإنجاب للمرأة العراقية كما تشير الإحصاءات الرسمية للأمم المتحدة تعتبر من بين المعدلات العالية في العالم . وعليه نهيب بالنساء العراقيات المحافظة على معدلات الإنجاب العالية هذه . إلا ان مشاركة المرأة العراقية في العمل الإنتاجي والوظيفي خارج البيت لا ترقى الى طموحات المسؤولين على الرغم من زيادة معدلات القوى العاملة النسوية في العراق خلال فترة السبعينات والثمانينات من القرن العشرين . ومع هذا فان المرأة العراقية مطالبة بالدخول الى مجالات العمل المختلفة لاسيما بعد تحررها من الأمية وقطعها أشواط متميزة في ميادين التربية والثقافة والتعليم أسوة بأخيها الرجل .

لكن المرأة العراقية المعاصرة مطالبة بالزواج وتكوين الأسرة الزواجية وإنجاب عدد من الأطفال يتلائم مع ظروفها وظروف أسرتها وحاجة المجتمع الكبير للسكان . ومطالبة في ذات الوقت بتبوء العمل الإنتاجي او الوظيفي خارج البيت خصوصا بعد تحررها من أميتها واكتسابها للتربية الأساسية والثقافة والتعليم . بمعنى آخر ان المرأة العراقية مطالبة بضرورة الجمع بين الإنجاب والعمل لاسيما وان العراق يخوض في الوقت الحاضر معركتين فاصلتين هما معركة البناء والتنمية والتقدم ومعركة إزالة آثار الحروب التي خاضها العراق لاسيما الحرب مع إيران والكويت وأمريكا وحلفائها .

بيد ان الأبحاث والمسوحات العلمية الميدانية تشير الى ان النساء العراقيات اللواتي يجمعن بين مهام الإنجاب ومهام العمل يواجهن عدة مشكلات أهمها : تعرض المرأة للتعب والإرهاق والملل ومواجهة المرأة لمشكلة تربية الأطفال ورعايتهم واضطراب الحياة الزوجية

واخيراً التناقض بين مهام البيت ومهام العمل . بعد تشخيص ووصف وتحليل هذه المشكلات يحاول البحث وضع التوصيات والمقترحات والمعالجات لحلها والقضاء عليها كيما يشجع النساء العراقيات على المزاوجة بين وظيفة الإنجاب ووظيفة العمل اللتين تعتبران من أهم واخطر الوظائف التي تضطلع بها المرأة العراقية المعاصرة في المجتمع الحديث .

الهوامش والمصادر

١. الحسن ، إحسان محمد (الدكتور) . آثار التصنيع في المنزلة الاجتماعية للمرأة العراقية ، الاتحاد العام لنساء العراق ، بغداد ١٩٨٠ ، ص ٢٨ .

٢. المصدر السابق ، ص ٢٦ ــ ٢٧ .

٣. الحسن ، إحسان محمد (الدكتور) . علم الاجتماع : دراسة نظامية ، مطبعة الجامعة ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ص ٢١٣.

4. Klien, Viola. Married Woman Working, London, 1985 , See the introduction.

٥. الخولي، البهي . المرأة بين البيت والمجتمع ، القاهرة ، ١٩٨٣ ، ص ٣٠٠ ــ ٣٠٢ .

6. Demographic Yearbook United Nations, New York, 2000, See the section on Birth, Deaths, and Natal increase.

7. Ibid, See Section on Natural increase of population.

8. Ibid, See the section on Annual Population Increase .

٩. السابق ، جروان . المرأة في القرن العشرين ، مطبعة جوزيف سليم ، بيروت ، ١٩٩٦ ، ص ٢٣ ــ ٢٨ .

10. Hanson, J.L.A Textbook of Economics,7th Ed., 1996, Macdonald and Evans Limited. London, pp. 82 – 83.

١١. الحسن ، إحسان محمد (الدكتور) . العائلة والقرابة والزواج ، بيروت ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ١٩٨٦ ، ص ١٦٧ .

12. Jephcott, P. Married Women Werkina London, 1982 , see the conclusions.
13. Ibid., p.53 .
١٤. الحسن ، إحسان محمد (الدكتور) . إيجابيات العائلات الكبيرة الحجم في عصر التحضر والتصنيع ، دراسة منشورة في مجلة المرأة العدد ١٩٧٥ ، لسنة ١٩٨٣ ، ص٧ .
١٥. الحسن ، إحسان محمد (الدكتور) . الثورة والقادسية الجديدة ، مركز البحوث والمعلومات ، بغداد ، ١٩٨٢ ، ص ٢٣ ـ ٢٤ .
١٦. المصدر السابق ، ص ٣٧ .
١٧. المصدر السابق ، ص ٥٢ .
١٨. المصدر السابق ، ص ٧١ .
١٩. المصدر السابق ، ص ٧٧ .
٢٠. لمصدر السابق ، ص ٨٢ .
٢١. حميد ، أحلام شيت . الثورة والتغيرات الاجتماعية والحضارية للمرأة العراقية ، أطروحة ماجستير غير منشورة في الاجتماع كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٨٣ ، ص ١٠٢ ـ ١٠٣ .
٢٢. الحسن ، إحسان محمد (الدكتور) . الثورة والقادسية الجديدة ، ص ٨١ .
٢٣. المجموعة الإحصائية السنوية لوزارة التخطيط ، الجهاز المركزي للإحصاء ، ١٩٩٠. مع إحصاءات عمالة المرأة في الاتحاد العام لعمال العراق ، ١٩٩٨ .
٢٤. إحصاءات عمالة المرأة في الاتحاد العام لعمال العراق ، ١٩٩٥ .

٢٥. حميد ، أحلام شيت . اثر الثورة في التحولات الاجتماعية والحضارية للمرأة العراقية ، ص ١١١ .

26. Japhcott, P. Married women Working, See the introduction .

٢٧. الحسن ، إحسان محمد (الدكتور) . الفراغ ومشكلات استثماره ، دراسة مقارنة في علم الاجتماع الفراغ ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ص ٥٨ ـ ٥٩ .

٢٨. الحسن ، إحسان محمد (الدكتور) . العائلة والقرابة والزواج ، ص ١٥ .

29. Hicks, M.C. The Social Framework, London, 1991, pp. 14-16 .

٣٠. عبد الله ، آسو إبراهيم . المشكلات الاجتماعية والحضارية للمرأة في منطقة الحكم الذاتي ، أطروحة ماجستير في علم الاجتماع غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٨٢ ، ص ١٩٠ .

٣١. البطريق ، محمد كامل . منهاج خدمة المجتمع ، القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٨٨ ، ص ٣٢٢ ـ ٣٢٤ .

٣٢. الحسن ، إحسان محمد (الدكتور) . علم الاجتماع الصناعي ، مطبعة جامعة بغداد ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ص ٢٠٤ .

٣٣. نفس المصدر السابق ، ص ٢٠٥ .

٣٤. الحسن ، إحسان محمد (الدكتور) . المشكلات الأسرية والمهنية التي تعاني منها المرأة العاملة ، بحث مقدم الى الندوة العلمية المتعلقة بزيادة مساهمة المرأة العراقية في تعزيز البناء

الاقتصادي للقطر خلال الفترة ٩ ـ ١١ تشرين الأول ، ١٩٩٥ ، تحت إشراف اتحاد نقابات عمال بغداد ، ص ٩ .

٣٥. نفس المصدر السابق ، ص ١٠ .

36. Goode, W. Family Disorganization, in Contemporary Social Problems by R. Merton and Nisbet, New York , 1981, P. 390 .

٣٧. الحسن ، إحسان محمد (الدكتـــور) . المشـــكلات الأســرية والمهنية التي تعاني منها المراة العاملة ، ص ١١ .

38. Rosenfeld, J. The Marriage and Family, Illinois , 1982 , pp. 216 – 217 .

٣٩. الحسن ، إحسان محمد (الدكتـــور) . المشـــكلات الأســرية والمهنية التي تعاني منها المرأة العاملة ، ص ١٢ .

٤٠. نفس المصدر السابق ، ص ١٣ .

٤١. عبد الله آسو إبراهيم . المشكلات الاجتماعية والحضارية للمرأة العاملة في منطقة الحكم الذاتي ، ص ١٧٧ .

الفُلك والسفينة في القرآن الكريم
دراسة لغويّة مقارنة

الدكتور أحمد جواد العتابي
كلية التربية ـ الجامعة المستنصرية

الملخص :

يعرض البحث لدراسة الآيات التي وردت فيها الفاظ الفلك والسفينة والجواري دراسة لغوية تعتمد على تحليل التركيب اللغوي من حيث العلاقات الاعرابية ومن حيث بناء الصيغة ، ومن حيث الذكر والحذف والتقديم والتأخير . فضلاً عن السياقات التي وردت فيها ، والمصاحبات التي اقترنت بها ، وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون على ثلاثة فصول يعرض الفصل الآول لأيات الفلك وبمباحث تسعة ، يعرض المبحث الآول لدراسة الفلك بوصفها آية من أيات الله سبحانه . أما المبحث الثاني فيتناول دراسة الفلك في قصة نوح (عليه السلام) . ويعرض المبحث الثالث للفلك في آيات الصنع والصناعة أما سياقات التسخير فكانت من نصيب المبحث الرابع ، ويعرض المبحث الخامس للفلك في سياقات التسيير والركوب والنقل ، وياتي المبحث السادس ليعرض للفلك في سياقات الازجاء ، وتكون المصاحبات من نصيب المبحث السابع ، ويعرض المبحث الثامن للفلك في سياق النجاة ويختص المبحث التاسع بالآيات التي ورد فيها وصف للفلك في القرآن الكريم ، ثم يعرض لوصف الفلك في كتب التفسير وبعد ذلك يعرض لوصفها في الكتاب المقدس وتفاسيره . أما الفصل الثاني فيتناول الآيات التي وردت فيها لفظة السفينة ويعرض الفصل الثالث للآيات التي وردت فيها لفظة (الجواري) وهو على ثلاثة مباحث خاص بآيات (الجواري) والثاني يعرض لاستعمال لفظة (الطوفان) في القرآن الكريم والثالث يتناول لفظة (المواخر) في الاستعمال القرآني ثم تأتي خاتمة البحث .

الفصـــل الأول

المبحث الأول

الفلك بوصفها آيةً من آيات الله سبحانه

ورد الفلك في القرآن الكريم بوصفها آية مـــن آياتـــه ســـبحانه . إذ اقترنت بخلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار وارسال الرياح. وقـــد وردت في ثلاثة مواضع وفي سياقات مختلفة ومتنوعة، وعلى النحو الآتي :

أولاً : في سورة البقرة / ١٦٤ ((إنّ في خَلْقِ السَّموات والأرضِ واخِتلافِ الليـــلِ والنهار والفلكِ التي تجري في البحرِ بما ينفعُ الناسَ وما أنزلَ اللهُ من السماءِ مـــن ماءٍ فأحيا بهِ الارضَ بعد موتِها وبثَّ فيها من كلِ دابةٍ وتصريفِ الرياحِ والســـحابِ المسخرِ بين السماءِ والأرضِ لآياتٍ لقومٍ يعقلون))

ويلاحظ في سياق الآية ما يأتي :

١. اقتران ذكر (الفلك) بالاشياء العظيمة في عملية الخلق وهـــي عمليـــة خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار .
٢. اقتران ذكر (الفلك) بنعم الله سبحانه على الأرض ولاسيما مـــا يخـــص غذاء الانسان من النبات والسحاب وتصريف الرياح .
٣. اقتران ذكر (الفلك) بخلق الحيوانات أو كل ما يدب .
٤. اقتران ذكر (الفلك) بكل هذه الاشياء العظيمة التي خلقها الله ســـبحانه بوصفها آيات يستدل بها القوم الذين يعقلون .

كما يلاحظ في التركيب أن الآية الكريمة :

صُدّرت بأداة التوكيد (إنّ) المشددة المكســـورة الـــهمزة . وقـــدّم خبرها المؤلف من المجرورات المعطوفات الكثيرة . إذ بلغت اكثر من ثمانيـــة معطوفات ، ثم يأتي بعد هذه السلسلة الطويلة من المعطوفات اسمها المقـــترن باللام التي تفيد التوكيد أيضا . فضلاً عن أنه جاء نكرة (لآياتٍ) للدلالـــة على التعظيم . كما أن تقديم الخبر جاء لغرض العناية والاهتمام .

ثانياً : في سورة الروم /٤٦((وَمِن آياتهِ أنْ يرسلَ الرياحَ مُبشَرات وليُذيقَكم من رحمتهِ ولتجريَ الفلكُ بأمرِهِ ولِتَبتغوا من فضلهِ ولعلكم تَشكُرون))

ويلاحظ في الآية الكريمة ما يأتي :

١. أن (الفلك) جاءت في سياق تعداد آياته سبحانه .

٢. أن جريان (الفلك) لايكون إلا بأمرهِ سبحانه .

٣. اقتران جريان (الفلك) برحمته سبحانه، التي تدعوهم الى شكرهِ سبحانه.

ويلاحظ في تركيب الآية :

١. أنها صدَرت بالخبر (الجار والمجرور) للاختصاص والحصر .

٢. أن المصدر المؤول (أن يرسل) وقع موقع المبتدأ المؤخر وجاء بـ (أن والفعل) ليدل على تجدد الحدث ودوامه .

٣. يلاحظ أهمية (الحال) مبشَراتٍ . إذ دلت على أن ارسال الرياح ليس مطلقا وانما قيّد بالبشارة والخير .

٤. وبسبب الحال (مبشّرات) جاءت لام التعليل التي تكررت ثلاث مرات لبيان العلّة والسبب لاذاقتهم الرحمة ، ولجريان الفلك والابتغاء من فضله . إذ جاءت هذه الجمل معطوفاً بعضها على بعض وموصولة بالواو .

ثالثاً:في سورة يس/٤١((وآيةٌ لَهم أنّا حَمَلنا ذُريَّتهم في الفُلْكِ المشحونِ)).

ويلاحظ في الآية الكريمة ما يأتي :

١. أنها جاءت عقب تعداد مجموعة من الآيات ، التي سبقت آية الفلك ، في قوله ــ تعالى ــ : (وآيةٌ لهم الأرض الميتةُ أحييناها) وفي قوله تعالى: (وآيةٌ لهم الليلُ نَسلَخ منه النهار) .

٢. أن الفلك في هذه الآية وصف بـ (المشحون) وقد تكررت هذه الصفة في مواضع كثيرة سنعرض لها إن شاء الله .

٣. أن (الفلك المشحون) اقترن في الآية التي بعدها بخلقِ مثلهِ مما يركبون . في قوله ــ تعالى ــ (وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) .

٤. أن (الفلك المشحون)اقترن ـ ايضاً ـ بمشيئة الاغراق في الآيــة التــي بعدها في قوله تعــالى((وإن نشــأ نغرقــهم فــلا صريــخَ لــهم ولا هــم يُنْقَذون)) / ٤٣ .

أما تركيب الآية فيلاحظ فيه ما يأتي :

١. أن التركيب (وآيةٌ لهم) تكرر في السورة لتعداد آيات الله سبحانه.

٢. أن التنكير في (آيةٌ) فيه معنى التعجب والتعظيم .

٣. اسناد (الحمل) الى (نا) العظمة ، لبيان فضله وقدرته ـ سبحانه ـ .

٤. وصف (الفلك) بالمشحون هو الشائع في الاستعمال القرآني .

المبحث الثاني

الفلك في قصة نوح (عليه السلام)

ورد (الفلك) مصاحباً لقصة نوح (عليه السلام) في القرآن الكريم في المواضع الآتية :

أولاً : في قوله تعالى (فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِيــنَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً عَمِينَ) (الأعراف : ٦٤) .

ويلاحظ في الآية الكريمة ما يأتي :

١. عودة الضمير في (فكذّبوه) و (فأنجيّناهُ) على نوح (عليه السلام) .

٢. عطف التركيب(والذين معه في الفلك)على الضمير العائد على نوح (عليه السلام) .

٣. التقابل بين (انجيناهُ) و (أغرقنا) .

أما تركيب الآية الكريمة فيلاحظ فيه :

١. أسناد الانجاء والاغراق الى (نا) العظمة .

٢. دلالة الظرفية (في الفلك) لتخصيص الذين معه فقط بهذا الانجاء.

٣. شيوع الفعل الماضي في التركيب (فكذبوه ، فأنجيناه ، وأغرقْنا ، كذّبوا ، كانوا) . لتاكيد وقوع الحدث .

ثانياً : في قوله ــ تعالى ــ : (فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) (المؤمنون : ٢٨) .

ويلاحظ في الآية الكريمة ما يأتي :

١. شيوع حالة الحضور في سياق الآية من خلال شيوع ضمير المخاطب في (استويتَ) و (أنتَ) و (معكَ) و (فقلْ). بخلاف آية الاعراف التي شاعت فيها حالة الغياب .

٢. في آية الاعراف قال سبحانه وتعالى : (أنجيناهُ) وفي آية المؤمنون قال سبحانه : (نَجانا) ففي آية الاعراف كان الانجاء من الغرق . وفي آية (المؤمنون) كانت التنجيةُ من شرور القوم الظالمين .

٣. في آية الاعراف جاء التركيب (والذين معه في الفلك) . أما في آية المؤمنون فقد جاء التركيب (ومن معك في الفلك) .

٤. وصف القوم في آية الاعراف : (أنهم كانوا قوماً عَمين) ووصفهم في آية (المؤمنون) بـ (القوم الظالمين) .

أما تركيب الآية فيلاحظ فيه :

١. صُدّرت الآية بأداة الشرط (إذا) للدلالة على أن الحدث غير مشكوك فيه ، إذ إنها ترد في المواضع التي يكثر فيها وقوع الحدث.

٢. جاء المعطوف اسم الموصول (مَنْ) بخلاف آية الاعراف جاء المعطوف (الذين) . والفرق بينهما أن (مَنْ) أعم واشمل من (الذين) بدليل دخول (رُبَّ) عليها :

يارُبَّ مَنْ يُبْغِضُ أذوادَنا رُحْنَ على بغضائه واغتدين[1]

٣. دلالة الاستعلاء في (على الفُلكِ) الذي يدل على النصرة والقوة ولذلك جاء جواب الشرط بالحمد لله .

---

(1) الكتاب ٢ / ١٠٨ .

المبحث الثالث

الفُلك في سياق الصناعة

وردت الفلك في سياق الصُنع والصناعة في القرآن الكريم في المواضع الآتية:

اولاً : في سورة هود / ٣٧ : (وَاصنَعِ الْفُلْكَ بأعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظلمُوا إنَّهُمْ مُغرَقونَ) .

ويلاحظ في الآية الكريمة :

١. أنها صُدّرت بفعل الأمر المتضمّن معنى التبليغ الى نبي الله نوح (عليه السلام) بالمباشرة في صنع الفلك .

٢. أن صنعَ الفلك يتم بعناية إلاهيّة عن طريقين ، الأول المعاينة (بأعيننا) . والثاني (الوحي) . (وحينا) .

٣. تشير الآية أن هذه الفلك لها خصوصية عند الله سبحانه لأنها صنعت بعناية ورعاية من الله فهي تختلف عن سائر الفَلك الأخر .

٤. في الآية ايجاز دقيق إذ فيها اخبار لما سيؤول اليه نوح (عليه السلام) ومَن معه مِن الانجاء . وما يكون عليه مصير الذين ظلموا من إغراق .

أما تركيب الآية فيلاحظ فيه :

١. دلالة حرف الجر في توجيه معنى الفعل (اصنع) إذ فيه ما فيه من الرعاية والعناية والتوجيه . لأن حرف الجار (الباء) يدل على الالصاق . كأنما صنع الفلك يجري ملتصقاً بالعناية والوحي الالهيين.

٢. إن التركيب(بأعيننا ووحينا) يشيع في نفس المخاطب الشعور بالأمان والثقة العالية بالنجاة من الغرق إذ إنه يكون في علاقة تقابل مع التركيب(إنهم مغرقون)كأنما الآية تقول:أنكم ناجون، وإنهم مغرقون .

٣. النهي عن مخاطبته سبحانه بشان الذين ظلموا ورد في موضعين فقط . إذ تكرر التركيب (ولا تخاطِبْني في الّذين ظَلموا إنّهم مُغرَقُون) في آية

هود / ٣٧ ، وفي آية المؤمنون / ٢٧ . إذ إن سياق الآيتين كان واحداً وهو الأمر بصنع الفلك .

ثانياً : في سورة هود/٣٨ : ((وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ)).

ويلاحظ في الآية الكريمة :

١. صدرت الآية بالفعل المضارع (يصنع) للدلالة على استمرار الحدث وقت الاخبار .
٢. تكرار الفعل (سَخِر) ماضياً ومضارعاً .
٣. لم يرد في تركيب الآية (بأعيننا ووحينا) لأن الآية التي سبقتها أغنت عن ذلك .
٤. تقديم سخرية الملأ ، ومجيئها في سياق (إنْ) الشرطية التي ترد في المواضع النادرة أو المشكوك فيها أو ما ينزل هذه المنزلة ، إذ إن نوح (عليه السلام) حمل سخريتهم على محمل الشك وليس القطع من باب الظن الحسن ، وتلك أخلاق الانبياء إذ إنهم لا يسيئون الظن حتى بأعدائهم .
٥. تكرار حرف الجر (من) المصاحب للفعل (سَخِر) إذ كانت سخريتهم أشد لأنها تكررت مرتين (سَخِروا منه) و(تسخَروا منا) وجاءت الثالثة بغير حرف الجر من (كما تسخرون) .

أما تركيب الآية فيلاحظ ما يأتي :

١. يلاحظ معنى المطاوعة في (ويصنع الفلك) كأنما هو مطاوع ــ لقوله ــ تعالى ــ في الآية التي قبلها : (واصنع الفلك) .
٢. دلالة الأداة (كلمَا) على تكرار الحدث وهو المرور والسخرية .
٣. عُدّي الفعل (مرّ) بحرف الجر (على) ، إذ ورد في الاستعمال القرآني ان الفعل (مرّ) مرةً يتعدى بحرف الجر (الباء) ، ومرةً يتعدى بحروف الجر (على) ، ومرةً لا يتعدى بحرف الجر ولا بغير حرف . وقد ورد

متعدياً بحرف الجر (على) ، في أربعة مواضع أحدها الآيـة موضـوع البحث . أما المواضع الثلاثة الأخرى فهي :

في قوله ـ تعالى ـ : ((أو كالذي مرّ على قرية))البقرة / ٢٥٩.

وفي قوله تعالى ((وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهـم عنها مصرفون)) يوسف / ١٠٥ .

وفي قوله ـ تعالى ـ ((ثم دمّرنا الأخرين ، وإنكم لتمرّون عليهم مُصبِحيـن)) الصافات / ١٣٧ .

ويلاحظ أن هذه المواضع التي ورد فيها الفعل مرّ متعديـاً بحـرف الجر (على) يغلب عليها سياقات الانكار والغفلة وعدم التدبر . وهـذا يتناسب مع سياق الآية موضوع البحث .

ثالثاً : في سورة (المؤمنون) / ٢٧ (فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَـا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْـنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِيـنَ ظَلَمُـوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ) .

ويلاحظ في الآية ما يأتي :

١. صدرّت الآية بالفعل (أوحينا) لتأكيد العناية الالهية في صنع الفلك فـي قوله تعالى ((بأعيننا ووحينا))

٢. شيوع (نا) العظمة في تركيب الآية في قوله ـ تعالى ـ :((فأوحينا)) و ((بأعيننا ووحينا)) و ((أمرنا)) .

٣. دلالة التركيب (فاذا جاء أمرنا) ، إذ ورد في المواضع التي تغلب فيـها سياقات العقاب والجزاء والعذاب في الحياة الدنيا .

٤. التركيب (وفار التنور) ورد مرتين إحداهما في سورة هود / ٤((حتـى إذا جَاءَ أمرُنا وفَارَ التنورُ قلْنا إحملْ فيها مـن كـل زوجيـنِ اثنيـنِ)) والاخرى في الآية موضوع البحث . وكلا الموضعين كان في سياق قصة نوح (عليه السلام) .

أما تركيب الآية فيلاحظ ما يأتي :

١. تأكيد الايحاء.بتكراره مرتين احدهما بـ(فأوحينا)،والآخرى(ووحينا).

٢. غلبة حرف الفاء الذي يدل على السببية والتعقيب للدلالة على تعاقب الأحداث من دون مهلة .

٣. (أن) الداخلة على الفعل الأمر (أصنع) للدلالة على الفور . وهذا يتناسب مع دلالة التعقيب في حرف (الفاء) .

٤. وهنا لابد من عقد موازنة بين الآية موضوع البحث . وآية هود / ٤٠ إذ يلاحظ ما يأتي :

آية (المؤمنون)	أية هود
١ـ جاءت بعد دعاء نوح(عليه السلام) لطلب النصرة من ربّه(قال ربِّ انصرني بما كذّبونِ) .	١ـ جاء بعد استجابة نوح(عليه السلام) للأمر الالهي في صنع الفلك ((ويصنع الفلك)).
٢ـ صدّرت بـ (الفاء) (فأوحينا اليه) دلالة الفاء على التعقيب من دون مهلة لأنها جاءت استجابة لدعاء نوح(عليه السلام) (ربِّ انصرني).	٢ ـ صدّرت بـ (حتى) التي تدل على تقصّي الحدث شيئاً فشيئاً ، وهذه الدلالة تتناسب مع قوله تعالى(ويصنع الفلك) أي أن صنع الفلك بدأ شيئاً فشيئاً حتى وصل الى تمامه .

٣ـ التركيب (اذا جاء أمرنا وفار التنور) واحد في الآيتين

٤ـ جواب (إذا) جاء مقترناً بالفاء لانه جملة طلبية (فاسلكْ).	٤ـ جواب (إذا) جاء مجرداً من الفاء (قُلنا) .
٥ـ جواب (إذا) (فاسلك فيها) إذ اقترن الفعل بحرف الجر (في) ، ولم يرد ذلك إلا في موضعين أحدهما	٥ـ جواب (إذا) (قلنا احمل فيها) إذ اقترن الفعل بحرف الجر(في) ولم يرد ذلك إلا في هذا الموضع فقط .

الآية موضوع البحث والآخر في

قوله تعالى (اسلك يدك في جيبك) القصص / ٣٢ .

٦ـ التركيب (من كلِ زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول) واحد في الآيتين .

٧ـ ختمت الآية بـ (ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون) .

٨ـ قصة نوح (عليه السلام) في سورة المؤمنون تبداء بالآية ٢٣ـ وتنتهي بالآية /٢٩.

٧ـ ختمت الآية باضافة (ومَنْ آمن وما آمنَ معه إلا قليل).

٨ـ قصة نوح(عليه السلام)في سورة هود تبدأ بالآية٢٥ـ وتنتهي بالآية/٤٨ ويعدّ ذلك أطول موضع وردت فيه القصة.

المبحث الرابع

الفلك في سياقات التسخير

وردت لفظة الفلك في سياقات التسخير في القرآن الكريم ، وفي المواضع الآتية :

أولاً : في سورة ابراهيم / ٣٢ (اللهُ الَّذي خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالأرْضَ وَأنْزَلَ منَ السَّمَاء ماءً فأخْرَجَ به منَ الثَمرَات رزقاً لكُمْ وَسَخَّرَ لكُمُ الفلك لِتَجْريَ فِي الْبَحْر بأمْرِه وَسَخَّرَ لكُمُ الأنْهَارَ) .

ويلاحظ في الآية الكريمة ما يأتي :

١. أن تسخير الفلك مصاحب لخلق السموات والأرض .
٢. أن تسخير الفلك مرتبط بأمره ــ تعالى .
٣. أن جريان الفلك مرتبط بعلة التسخير .
٤. أن التركيب (وسخرَ لكم الفلك لِتَجريَ في البحرِ بأمرِه) يتكرر في أكثر من موضع في القرآن الكريم كما سنرى إن شاء الله .

٥. أن تسخير الفلك يذكر مع الأحداث العظيمة خلق السموات والأرض وإنزال الماء من السماء ، وإخراج الثمرات .

أما تركيب الآية فيلاحظ فيه :

١. صُدّرت الآية بلفظ الجلالة في جملة اسميَة للدلالة على التخصيص والحصر .

٢. شيوع صيغة الماضي في بناء الآية (خلقَ ، أنــزلَ ، أخــرَجَ ، ســخَّر).

٣. ظاهرة الوصل بين جمل الآية .

أما تركيب الآية فيلاحظ فيه :

١. أن لفظ الجلالة (المبتدأ) هو اللفظ المهيمن في بناء الآية اذ ترتبط فيه كل الأحداث من خلقٍ وانزال واخراج وتسخير .

٢. اقتران تسخير الفلك بهذه الاحداث العظيمة دلالة على أهميته والعناية به بخلاف (السفينة) فانها لم ترد مقترنة بالأحداث العظيمة .

٣. تقييد جريان الفلك بأمرهِ تعالى يدل على أهمية الفلك بخلاف السفينة فان جريانها لم يقيد بأمره ـ تعالى ـ إذ لم يرد في الاستعمال القرآني (والسفينة التي تجري في البحر بأمره) .

ثانياً : في سورة الحج / ٦٥ (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي البَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إلا بِأَذْنِهِ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ) .

ويلاحظ في الآية ما يأتي :

١. صُدرّت الآية بالتركيب (ألم تَرَ) الذي يفيد التعجب .

٢. التركيب (الفلك التي تجري في البحر بأمره) تكرر هنا وفي مواضع أخرى .

٣. اقتران جريان الفلك بالأحداث العظيمة ، تسخير ما في الأرض وإمساك السماء ان تقع على الأرض وفي هذا الاقتران دلالة على أهمية الفلك ، بخلاف السفينة .

أما تركيب الآية فيلاحظ فيه :

١.التركيب (أَلم ترَ) يشيع في سياقات التعجب التي تـــرد فـــي الاســـتعمال القرآني إذ ورد واحدة وثلاثين مرة . والغالب فيه أن يتعدى بحرف الجـر (الى) (ألم ترَ الى) .

٢.العطف في (والفلك) من باب عطف الخاص على العام لأن (ما في الأرض) عام وهو المعطوف عليه والفلك يدخل في (مـــا فـــي الارض) وذلـك للدلالة على العناية والاهتمام .

ثالثاً : في سورة الجاثية / ١٢ (اللهُ الَّذي سَخَّرَ لكمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيـهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) .

ويلاحظ في الآية الكريمة ما يأتي :

١.أنّ الجزء الكبير من تركيب الآية يتشابه في نظمه مع آية الـروم / ٤٦ : ((ولِتَجرِيَ الفُلْكُ بأَمرِهِ ولَتبتغُوا من فَضْلِه ولعلكمُ تَشكرونَ)) إلا أن آيـــة الجاثية زيد فيها (فيه) . لأن لفظة (البحر) تقدم ذكرُها .بخـــلاف آيـــة الروم / ٤٦ إذ لم يرد ذكر للبحر فيها . ومن اللافت للنظـــر ان الـــتركيب (الفلك التي تجري في البحر) قد تكرر فـــي آيـــة البقـرة / ١٦٤ . وآيـــة ابراهيم ٣٢ . وآية الحج / ٦٥ وآية الروم /٤٦ . وفي الآيـــة موضـــوع البحث . ومن اللافت للنظر . أيضاً ان التركيب نفسه جاء مقيّداً بـــالمركّب (بأمرِه) في أغلب المواضع ، عدا آية لقمان / ٣١ ، إذ قيد الـــتركيب ب (بنعمت الله) قال ـ تعالى ـ : ((ألم تَرَ أن الفُلكَ تَجري في البحر بنعمـتِ اللهِ لِيُريكم من آياتِه إنّ في ذلك لآياتٍ لكلِّ صبـــارٍ شـكور)) إذ إن ســـورة لقمان يشيع فيها ذكر النعـــم وتعدادهـــا (وأســـبغَ عليكـــم نِعمَـــه ظـــاهرةً وباطنـة) / ٢٠ ، ولذلك جاء (بنعمت الله) ملائماً للسياق .

٢. أن تسخير البحر علة لجريان الفلك في البحر بأمره ـ تعالى ـ .

اما تركيــب الآيــة :

أ. صدرت الآية بلفظ الجلالة (الله) لغرض التخصيص والحصر ، إذ إن التسخير لا يكون إلا بأمره وحده .

ب .العناية بالفلك من جهة تقديمة على(ولتبتغوا من فضله)ومن جهة تقييد جريانه بأمره تعالى.وهذا ما لا نجده مع السفينة والجوار كما سنرى إن شاء الله .

المبحث الخامس

الفلك في سياقات التسيير والركوب والحمل

ورد الفلك في سياقات التسير والركوب والحمل في القرآن الكريم في المواضع الآتية :

اولا : في سورة يونس / ٢٢ (هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين) .

ويلاحظ في الآية الكريمة :

١. صدرت الآية بتركيب (هو الذي) وهو شائع في الاستعمال القرآني إذ يرد في مواضع كثيرة ويغلب وروده في سياقات الخلق، والانشاء . والجعل ، وارسال الرياح ، وانزال المطر ، وبعث الرسل والانبياء وكل ما يتصل بخلق الانسان والطبيعة من سماوات ، وأرضين وبحار ونجوم وكواكب وشمس وقمر ورياح .

٢. ذكرت الآية (البر) . وفصلت القول في (البحر) .

٣. ننسب التسير الى الله سبحانه .

أما تركيب الآية فيلاحظ فيه :

١. التركيب (هو الذي) ورد في سبعة وأربعين موضعا . إذ يتألف من الضمير (هو) للاشارة الى الذات العلية . واسم الموصول (الذي)

للاشارة الى الإخبار بواسطة جملة صلة الموصول ، التي تتالف من جملة فعلية فعلها ماض في الغالب ، وهذه الجملة متصلة بسلسلة من الجمل ، إذ يكون التركيب (هو الذي) المهيمن الذي ترتبط به جملة الصلة وما اتصل بها من الجمل .

٢. دلالة الفعل (يسيركم) ونسبة التسيير الى الله سبحانه . إذ إن صيغة المضارع تدل على استحضار الحدث كأنه شاهد .

٣. يلاحظ أن جملة الشرط وجوابه ، كل واحدة منها تتألف من سلسلة من الجمل المترابطة . فجملة الشرط تتألف (كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها) وجملة الجواب تتألف من (جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم ، ودعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين) .

٤. يلاحظ أيضا صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة ويرى البلاغيون أن هذا الانتقال لغرض المبالغة (كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويسترعي منهم الانكار والتقبيح) [٢].

ثانيا : في سورة المؤمنون / ٢١ ــ ٢٢ (وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون . وعليها وعلى الفلك تحملون) .

ويلاحظ في الآيتين الكريمتين ما يأتي :

١. اقتران منفعة الحمل بالانعام .

٢. أن حملهم على الفلك يدخل في حكم (العبرة) في قوله تعالى (وإن لكم في الانعام لعبرة) .

٣. الفلك هنا واسطة حمل شأن الأنعام .

---

[٢] الكشاف / ٦٤٠ ، دار المعارف بيروت ط / ٢٠٠٢ .

أما تركيب الآيتين فيلاحظ فيه :

١. أن التنكير في (لعبرة) جاء للدلالة على التعظيم والتفخيم .

٢. سلسلة (نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع ومنها تأكلون) جاءت لتوضيح عظمة (لعبرة) وأهميتها .

٣. تقديم الجار والمجرور (وعليها وعلى الفلك) للحصر والتخصيص .

٤. التركيب (وعليها وعلى الفلك تحملون) ورد مرتين إحداهما في الآية موضوع البحث . والأخرى في سورة غافر / ٨٠ .

٥. يلاحظ في الاستعمال القرآني أن الفعل (حمل) مرة يقترن بحرف الجر (في) (إحمل فيها) ، ومرة يقترن بحرف الجر (على) . فالظرفية تكون في حرف الجر (في) ، والاستعلاء يكون في حرف الجر (على) .

ثالثا : في سورة العنكبوت / ٦٥ (فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون) .

ويلاحظ في الآية الكريمة ما يأتي :

١. أن الضمير في (ركبوا) يعود على الذين سبق وصفهم في الآيات التي سبقت .

٢. يلاحظ في الاستعمال القرآني أن الفعل (ركب) مرة يتعدى بنفسه (والخيل والبغال والحمير لتركبوها) النحل / ٨ . و (لتركبن طبقا على طبق) الانشقاق / ٩ . ومرة يتعدى بحرف الجر (في) بخلاف الفعل (حمل) فإنه يتعدى مرة بحرف الجر (على) ومرة بحرف الجر (في) هنا .

٣. (الفلك)/غير مقترنة بلفظ البحر . إذ الغالب في الاستعمال القرآني أنها تكون مصاحبة له . إلا أن ذكر (البر) في الآية أغنى عن ذكر البحر .

٤. يفهم من سياق الآية أن(الفلك) يختلف عن السفينة، وأن السياق سياق خوف شديد بدليل قوله ـ تعالى ـ (دعوا الله مخلصين له الدين) . وقوله تعالى ((فلما نجاهم)) ولا تكون التنجية إلا من خطر عظيم .

أما تركيب الآية فيلاحظ فيه :

١. صدرت الآية بأداة الشرط (إذا) التي ترد في المواضع التي يكثر وقوعها وغير المشكوك فيها .

٢. اداة الشرط (لما) التي (تقتضي جملتين وجدت ثانيهما عند وجود أولاهما) المغني ١/٢٨٠ . وهي ظرف للزمان .

٣. جواب (لما) جاء بـ (إذا) الفجائية التي تدل على السرعة في الحدث الذي لايكون متوقعا .

رابعا : في قوله تعالى الصافات / ١٣٩ . ١٤٠ (وإن يونس لمن المرسلين. إذ أبق إلى الفلك المشحون) .

ويلاحظ في الآية الكريمة مايأتي :

١. أنها جاءت عقب سياق تعداد أخبار الرسل .

٢. يلاحظ أنها صدرت بالظرف (إذ) .

٣. أن الفلك وصف بـ (المشحون) وهو الشائع في الاستعمال القرآني .

٤. الفعل (أبق) لم يرد في القرآن الكريم إلا في هذا الموضع .

أما تركيب الآية فيلاحظ فيه :

١. صدرت الآية بـ (إذ) غير المقترنة بـ (الواو) . إذ إن (إذ) وردت في الاستعمال القرآني مرة مع الفعل (اذكر) . ومرة مع حرف (الواو) والفعل محذوف . ومرة بحذف الفعل والواو ، كما في الآية موضوع البحث فاذا ذكر الفعل ، فان الكلام قد جرى على الأصل . واذا حذف وذكرت الواو فيقدر حملا على الأصل . فاذا حذف الفعل وحذفت ، فلا يجوز التقدير عند الفراء إذ يقول ((ويستدل على أن (واذكروا) مضمرة مع (إذ) أنه قال (واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الارض) .. ولا يجوز مثل ذلك في الكلام بسقوط الواو إلا أن يكون معه

جوابه متقدما أو متأخرا كقولك (ذكرتك إذ احتجت اليك) أو (إذ احتجتك ذكرتك))[٣]

٢. لفظة (المشحون) وردت وصفا للفلك في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع فقط في الشعراء / ١١٩ ، وفي الصافات / ١٤٠ ، ولم ترد منها أية صيغة أخرى في الاستعمال القرآني .

٣. ويلاحظ أن دلالة (أبق) غير دلالة (هرب) . فإباق ذهاب العبد من غير خوف ولاكد عمل . والحكم فيه أن يرد . فاذا كان من كد عمل أو خوف لم يرد)[٤] . بخلاف الهرب الذي لم يخصص ولم يقيد بحالة معينة إذ إنه عام يشمل العبد وغير العبد والرجل والمرأة ، في العمل وغير العمل . فاستعمال الفعل (أبق) في الآية موضوع البحث جاء متسقا مع سياق السورة كلها إذ وردت لفظة (عبادنا) ثماني مرات في التركيب (عبادنا المؤمنين) أو (عبادنا المخلصين) . إذ يأتي كلا التركيبين لازمة في نهاية كل خبر من أخبار الرسل والأنبياء .

خامسا : في قوله تعالى غافر /٧٩,٨٠ (الله الذي جعل لكم الأ نعام لتركبوا منها ومنها تأكلون . ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون) .

ويلاحظ في الآيتين الكريمتين ما يأتي :

١. في الآيتين تعداد لمنافع الأنعام والاستفادة منها في الركوب والأكل والحمل .
٢. التركيب (وعليها وعلى الفلك تحملون) تكرر في سورة المؤمنون/٢٢ أيضا .
٣. أن ذكر (الفلك) يأتي متأخرا بعد ذكر الأنعام .
٤. الفعل (ركب) تعدى بحرف الجر (من) . والشائع فيه أن يتعدى إما بحرف الجر (في) ، يقول الزمخشري (هلا قال منها تركبون ومنها

---

(٣) معاني القران ١/ ٣٥ .

(٤) العين ٥/٢٣١ .

تأكلون) ... قلت : في الركوب . الركوب في الحج والغزو .. وهذه أغراض دينية إما واجبة . أو مندوب إليها مما تتعلق به إرادة الحكيم . وأما الأكل وإصابة المنافع ، فمن جنس المباح الذي لا تتعلق به إرادته)[٥] . وفي أية أخرى ورد تعدي الركوب . بـ (من) . في قوله تعالى ((وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون)) يس/٧٢، إذ تقدم الجار والمجرور هنا بخلاف الآية موضوع البحث . فقد تأخر الجار والمجرور .

أما تركيب الآية فيلاحظ فيه :

١. أن الانعام جعلها الله للركوب والحمل . أما الفلك فقد خصها بالحمل (وعلى الفلك تحملون) .

٢. ويلاحظ أن سلوك الفعلين (ركِب وحمَل) يختلف في الاستعمال القرآني ، فالأول يتعدى بنفسه ومرة يتعدى بحرف الجر (في) . ومرة بحرف الجر (من) . أما الثاني فيتعدى بنفسه أيضاً ويتعدى بحرف الجر (على) وثالثةً بحرف الجر (في) . جاء في كتاب العين (وكلّ شيء علا شيئاً فقد ركِبه) .[٦]

ويبدو أن دلالة الفعل مع حرف الجر (على) تفيد بذل الجهد والمكابدة جاء في مختار الصحاح (وحملَ عليه في الحرب حَملةً . وحملَ على نفسه في السّر أي جهدها فيه) .[٧]

سادساً : في قوله تعالى الزخرف / ١٢

(وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ)

---

(٥) الكشاف / ٩٦٢ .

(٦) العين ٥ / ٣٦٣ .

(٧) مختار الصحاح / ١٥٦ .

يلاحظ في الآية الكريمة ما يأتي :

١. أنها جاءت في سياق تعداد نعم الله سبحانه (الذي جعل لكم الأرض مهاداً) (والذي نزّلَ من السماء ماءً) (والذي خلق الأزواج) .

٢. أن لفظة الفلك هنا متقدمة على الأنعام التي جاءت منسوقة عليها .

٣. الآية التي بعدها جاءت بتوحيد الضمير في (ظهورِه) و (عليه) في قوله تعالى ((لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه)) جاء في الكشاف (على ظهوره) على ظهور ما تركبون وهو الفلك والانعام .[8]

أما تركيب الآية فيلاحظ فيه :

١. أن (الفلك) جاءت في سياق (الجَعْل) .

٢. قدم (الفلك) لأن الكلام في الآية التي بعدها سيكون على الأنعام التي تأخر ذكرها عن (الفلك) .

٣. يلاحظ في الاستعمال القرآني أن الفعل (استوى) يتعدى في الغالب بحرف الجر (على) . ونادراً ما يتعدى بحرف الجر (الى) (ثم استوى الى السماء) البقرة / ٢٩ . فضلاً عن أن تعديتَه بحرف الجر (على) تأتي مع (الفلك) ولم يرد تعديته بـ (على) مع الأنعام الا في هذا الموضع لأنها مختلطة بالفلك .

المبحث السادس

الفُلك وسياق الإزجاء

وردت الفلك في سياق الإزجاء في الاستعمال القرآني في موضع واحد في قوله تعالى الاسراء / ٦٦ (رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً) .

---

(8) الكشاف ٩٨٥ .

وردت مادة (أزجي) في الاستعمال القرآني في ثلاثة مواضع :

١. في قوله تعالى (ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله) (الاسراء / ٦٦) .

٢. وفي قوله تعالى (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاما) (النور / ٤٣) .

٣. وفي قوله تعالى(يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاة) (يوسف / ٨٨) .

والإزجاء في اللغة : التزجيةُ : دفع الشيء ، كما تزّجي البقرةُ ولدَها ، أي : تسوقه. والريح تُزجي السحاب، أي : تسوقُه سوقاً رفيقاً والمُزجى : القليل من قوله ــ عزّ وجل ــ (وجئنا ببضاعة مُزجاة)[٩] و[١٠]. (وأن التزجية الشيء القليل الذي يدافع به ، نقول فلان يزجّي العيش ، أي : يدفع بالقليل ويكتفي به).[١١] وعند الزمخشري (مُزجاة: مدفوعة، يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقاراً لها من أزجيته إذا دفعتَه وطردتَه) .[١٢]

والآية موضوع البحث من سورة الإسراء أسند فيها الإزجاء الى الله سبحانه وتعالى ، والإزجاء غير التسخير ، فقد وردت مواضع كثيرة ذكر فيها الفلك في سياقات التسخير كما مّر بنا ، فالتسخير تذليل للصعب تمهيداً لاستعماله واستخدامه . أما الازجاء فيأتي بعد التسخير إذ فيه رفقٌ ولين (أي تسوقه سوقاً رقيقاً) .

ويلاحظ في تركيب الآية ما يأتي :

صُدرّت الآية بـ (ربكم الذي) وفي ذلك اشعارٌ للمخاطب على أن ما بعده

---

[٩] العين ٦ / ١٦٥ .

[١٠] مجاز القرآن ١ / ٣١٧ .

[١١] معاني القرآن واعرابه / ٣ / ١٢٧ .

[١٢] الكشاف / ٥٣٨ .

مختص به ولا يفارقه الى غيره .

١. لما كان الإزجاءُ السوق برفق ولين ، فإن ما أعقبَ الآية وما تلاها يدخل في علاقة تقابل مع الازجاء بوصفه نفعاً ونعمةً من الله ، يدل على ذلـــك الآية التالية ((واذا مسّكم الضرُّ في البحر ضل من تدعــون إلا إيــاه)) ٦٧ ، وقوله تعالى ((أم أمِنتم أن يعيدكم فيه تارةً أخرى فيرسل عليكـــم قاصفاً من الريح فيغرقكم بما كفرتم)) / ٦٩ .

٢. لم يرد الإزجاء مع السفينة. أو مع الجواري في الاستعمال القرآني .

المبحث السابع

مصاحبات لفظة (الفلك) في الاستعمال القرآني

ترد مع لفظة (الفلك) مصاحبات تكررت في أكثر من موضع وكـــانت هـــذه المصاحبات على نمطين :

الاول : في النظم إذ يتألف من (الفعل سخّر + الفلك + تجـري + بـــأمره) إذ تكرر ذلك في المواضع الآتية :

آ. في سورة ابراهيم / ٣٢ (وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِه).

ب. في سورة الحج/٦٥(سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ) .

ج. الروم / ٤٦ (وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِه) .

د . الجاثية / ١٢ (اللهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيه بِأَمْرِهِ) .

الثاني : في المفرد متمثلاً بلفظة (المشحون) . إذ ورد في المواضع الآتية :

آ. الشعراء / ١١٩ (فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْك الْمَشْحُونِ) .

ب. يس / ٤١ (وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ) .

ج. الصافات / ١٤٠ (إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ) .

أما النظم فيلاحظ أن هناك اتفاقاً في آيتي ابراهيم والحج ، إذ جـــاء النظم بالفعل (سخّر + لكم + الفلك + تجري + في البحـــر + بــأمره) مــع ملاحظة الفرق في آية ابراهيم أن التسخير كان مسلطاً على الفلك مباشـــرةً

(وسخّر لكم الفلك) ، أما آية الحج فكان التسخير مسلطاً على (ما في الارض) وجاء (الفلك) منسوباً عليه . فضلاً عن أن آية ابراهيم جاء الفعل (لتجري) مقترناً بلام التعليل لبيان علة التسخير . أما في آية الحج فقد جاء الفعل خلواً من اللام لبيان حال الفلك في البحر . أما في آية الروم/٤٦ فقد جاء النظم مختلفاً إذ تألف من (اللام + تجريَ + الفلك + بأمره) فلم يذكر الجار والمجرور (في البحر) لأن النظم جاء في سياق تعداد آياته سبحانه (ومن آياته ....) .

أما في آية الجاثية / ١٢ فقد كان التسخير مسلطاً على البحر (الله الذي سخرّ لكم البحر) . ثم يأتي الفعل (لتجري) مقترناً باللام لبيان العلة .

ويلاحظ في جميع الآيات موضوع البحث أن الجار والمجرور (بأمره) ظل ملازماً للنظم في كل المواضع إلا في آية لقمان / ٣١ (أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللهِ) إذ جاء الجار والمجرور (بنعمت الله) بدلاً من (بأمره) . أما مصاحبة (الفلك) للفظة (المشحون) جاءت نعتاً ملازماً لها فإن مادة (شحن) لم ترد في الاستعمال القرآني إلا على هذه الصيغة . وفي ثلاثة المواضع التي مّر ذكرها . ففي آية الشعراء جاء نعت الفلك بالمشحون منسجماً مع السياق إذ كان الحديث عن نبي الله نوح (عليه السلام) ونجاته ومن معه في الفلك الذي حمل فيه من كل زوجين اثنين وأهله. وفي آية يس جاء النعت متسقاً لسياق حمل ذرية هؤلاء المخاطبين إذ لابدّ أن يكون الفلك مشحوناً . وفي آية الصافات جاء النعت متسقاً أيضاً لسياق الآخبار عن حالة نبي الله يونس إذ خرج مغاضباً فركب في الفلك المشحون بالمسافرين إذ تعطل الفلك عن الجريان فقال أصحاب الفلك هناك عبد آبق لابدّ من إخراجهِ لتجريَ الفلك فوقعت عليه القرعة .... الى آخر القصة .

المبحث الثامن

الفُلك في سياق النجاة

وردت لفظة الفلك في سياق النجاة في المواضع الآتية :

١. في سورة الاعراف / ٦٤ (فكَذَّبُوهُ فأنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الفُلْكِ) .

٢. في سورة يونس / ٢٢ (حتَى إذا كُنتُمْ فِي الفُلْكِ وَجَرَيْنَ بهِمْ بريح طَيِّبَة وَفرِحُوا بهَا جَاءَتْهَا ريحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ المَوْجُ منْ كُلِّ مكَـان وَظَنُّـوا أَنَّهُمْ أحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لهُ الدِّينَ لئنْ أنْجَيْتَنَا منْ هَذهِ لنَكُونَـنَّ منَ الشاكرين) .

٣. في سورة يونس / ٧٣ (فكذّبوه فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الفُلْكِ وَجَعَلنَـاهُم خلائِفَ وأغْرَقْنا الذيَن كذّبوا بآياتنا) .

٤. في سورة الشعراء / ١١٩ (فأنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الفُلْكِ المَشْحُون).

٥. في سورة العنكبوت / ٦٥ (فإذا رَكِبُوا فِي الفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لـهُ الدِّينَ فلمَّا نَجَّاهُمْ إلى البَرِّ إذا هُمْ يُشْرِكُونَ) .

فآيتا الاعراف ويونس / ٧٣ في سياق الإخبار عن النبي نوح (عليه السلام) ، إذ جاء الانجاء عقب التكذيب بدلالة حرف الفاء . ويلاحظ أن النظم في الآيتين يكاد يكون متفقاً إلا في فعل النجاة ففي آية الاعراف جاء الفعل على وزن (أفعلَ) وفي آية يونس/ ٧٣ جاء الفعل على وزن (فعّل) . وكذلك جاء اسم الموصول في آية الاعراف بـ (الذين معه) أما في آية يونس / ٧٣ فجاء بـ (مَن معه) .

أما في آية الشعراء / ١١٩ فالإنجاء لم يأتِ عقب التكذيب وإنما جاء عقب أن دعا نوح (عليه السلام) ربّه لينجيَهُ ومن معه ((فافتح بيني وبينهم فتحاً ونجني ومَن معي من المؤمنين)) .

أما في آيتي يونس / ٢٢ والعنكبوت / ٦٥ فجاء الانجاء في سياق مخاطبة الناس عامةً لبيان قدرة الله سبحانه على حفظهم في البر والبحر

ولا سيّما اذا كانوا في الفُلك الذي أحبط بريح عاصف وموجٍ متلاطم . إذ يلاحظ ان النظم يكاد يكون متفقاً ايضاً في سياق الدعاء (دعوا الله مخلصين له الدين) إلا أن الاختلاف فيما بعد ذلك ففي آية يونس / ٢٢ (يقسمون لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين) إذ جاء الفعل على وزن (أفعلَ) أما في آية العنكبوت فالنظم وصف لحالهم بالظرف الزماني (لمّا) ويكون الفعل على وزن (فعلّ) ويبدو أن صيغتي (أفْعلَ ــ أنجي) و (فعّلَ ــ نجّى) جاءتا على معنى واحد في الاستعمال القرآني ، إذ من خلال تتبع هذين الفعلين في القرآن الكريم تبيّنا انهما لم يستعملا في سياقات مختلفة ولم يخص أحدهما بسياق وآخر بسياق . إذ الغالب فيها اسنادها الى الله سبحانه ظاهراً أو مستتراً وعلى وفق الجدول :

نجّى	أنجى
(نجّانا الله) الاعراف / ٨٩	(أنجانا) الانعام / ٦٣
(فلما جاء أمرُنا نجّينا هوداً)هود/ ٥٨،٦٦،٩٤ .	(أنَجاكم) ابراهيم / ٦
	(أنجاهُ اللهُ) العنكبوت /٢٤
(نجّاكُم الى البر) الاسراء / ٦٧	(أنجاهم) يونس / ٦٣
(نجّينا) فصلت / ١٨ ، الدخان / ٣٠	(أنجيْنا) يونس /٢٢
(نجّيناك) طه / ٤٠	(أَنجيْنا) الاعراف / ١٦٥
(نجّيناكم)البقرة / ٤٩	
(نجّيناهُ) يونس/ ٧٣الانبياء/ ٧١ ، ٧٤، ٧٦، ٨٨، الشعراء / ١٧٠، الصافات/ ٧٦، ١٣٤ .	(أَنجيْنا) هود / ١١٦ ، الشعراء / ٦٥ النمل/٥٣
(نجّيناهم) هود / ٥٨ ، القمر / ٣٤	(أنجيْناكم) البقرة /٥٠ الاعراف / ١٤١ ، طه / ٨٠
(نجّيناهما) الصافات / ١١٥	
(نجّيناهما) الصافات / ١١٥	(أَنجيْناه) الاعراف /٦٤، ٧٢،

(نُنجيَ) يونس /١٠٩ ، مريم/٧٢ ٨٣، الشعراء / ١١٩، النمل /٥٧
(نُنجيك) يونس / ٩٢ العنكبوت/ ١٥
(يُنجّي) الزمر/٦١ (أنجيناهم) الانبياء/٩
(يُنجّيكم) الانعام / ٦٣ ، ٦٤ (نُنجيكم) الصف / ١٠

فهذه المواضع أسند فيها الفعلان (نجّى ، وأنجى) الى الله سبحانه وتعالى . إذ لم يخصّ الاستعمال القرآني أحدهما بسياق معين .

ولذلك نرجّح أن (نجّى ، وأنجى) قد وردا بمعنى واحد في الاستعمال القرآني ، إذ إن صيغة(فعّل تشارك (أَفعلَ)في اثنين هما التعدية، والإزالة .[١٣]

المبحث التاسع

أولاً : وصف الفلك في القرآن الكريم

لم يرد في القرآن الكريم وصفاً مفصل للفلك . ولاسيما الفلك التي وردت مع أخبار نبّي الله نوح (عليه السلام) إلا أننا نتبيّن وصفاً عامّاً للفلك التي حمل فيها نوح (عليه السلام) وأهله ومن معه ، وذلك في الآيات القليلة التي أشارت على نحو موجز الى طبيعة هذه الواسطة وعلى النحو الآتي :

١. فقد ورد في الآيات التي تناولت صنع الفلك وتأكيد العناية والرعاية الإلهيتين في صنعها (وأصنعِ الفلك بأعييننا ووحينا) و (وأوحينا اليه أن اصنعِ الفلك بأعيينا ووحينا) . فأول صفة من صفات الفلك أنها صنعت بعناية ووحي إلهيين .

٢. ورد ذكر للمواد التي صنعت منها في سورة القمر / ١٣ ، في قوله تعالى (وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ) .

---

(١٣) شذا العرف / ١٤١ .

إذ وردت لفظة (ألواح) في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع أخرى :

آ . في سورة الاعراف / ١٤٥ (وكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ) .

ب . في الآية/ ١٥٠ من السورة نفسها (وَأَلْقَى الألواح وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ) .

ج . في الآية/١٥٤من السورة نفسها(وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الألواح .

فالألواح هنا غير الألواح التي وردت في الآية موضوع البحث ، فهي تعني ألواح الخشب التي بنت منها الفلك حين أمر الله سبحانه نبيّه نوحاً (عليه السلام) بأن يصنع الفلك الذي سيحمله وأهله ومن معه وقت الطوفان .

٣ . لفظة (دُسُر) وردت مرة واحدة في القرآن الكريم ، إذ جاء في كتاب (لغات القبائل) (الدّسر : المسامير الواحد : دَسْر ، بلغة هذيل) .[١٤]

وفي كتاب العين : الدّسار خيط من ليف تشدّ به ألواح السفينة والمسامير أيضاً تسمى دُسراً ... واحدها دِسار .[١٥]

وجاء في كتاب الدر المنثور (الدُسُر معاريضها التي تشد بها السفينة . وقيل : الألواح الصفائح ، والدسر العوارض .. وقيل : الدسر : ككل السفينة ... وقيل صدرها الذي يضرب به الموج) .[١٦]

وقد وافق المفسرون ما جاء في لغة هذيل من تفسير (الدّسَر) بالمسامير التي تشّد بها الألواح .[١٧] وفي معجم الكلمات الأكدية في اللغات الشرقية (دسر : الدوسر : نبات . وردت تسميته في اللغة

---

[١٤] لغات القبائل / ٢٦٥ .

[١٥] العين ٧/ ٢٢٥ .

[١٦] الدر المنثور / ٧ / ٦٧٦ .

[١٧] تفسير الجلالين ٢/١٩١ ، صفوة التفاسير ٣/٢٨٥ ، البحر المحيط ٨ / ١٧٦ .

الأكدية بهيئة (Disharra) ومنها الفارسية دَوِسَر . وفي اللغة الآرامية : دشرا) .[18]

وفي تهذيب اللغة / (جَمَلٌ دَوْسريّ ودَوْسر وهو الضخم ذو الهامة والمناكب وعن الفرّاء قال : الدّوسريّ القوي من الإبل ، ودَوْسر كتيبة كانت للنعمان) .[19]

ويبدو أن حمل معنى (دُسُر)على الضخامة والقوّة أنسب لسياق الآية .

٤ ـ وجاء وصفها بالجا رية في قوله تعالى (إنَّا لمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ) (الحاقة/١١) .

ورد لفظ (الجارية) في موضعين ، الأول في الآية موضوع البحث . والثاني في سورة الغاشية / ١٢ (فيها عينٌ جارية) .

جاء في كتاب الدر المنثور (حَمَلْناكم في الجارية) قال : السفينة .. وفي قولهِ (لنجعلها لكم تذكرة) أي تذكرون ما صنع بهم حيث عصوا نوحاً .[20]

والجري في اللغة : الجارية : مصدرها : الجَراء ، بلا فِعْل يقال : فعلْت ذلك في جرائها أي : حين كانت جارية .[21]

والجارية: الشمس والسفينةُ والنعمة من الله تعالى زفتيّةُ النساء والجمع جوارٍ .[22]

ومما تقدم يتبيّن أن وصف الفلك في القرآن الكريم جاء مختصاً بالفلك الذي حمل نوحاً (عليه السلام) وأهله ومن معه . وهو وصف موجز لايساعد على

---

(18) معجم الكلمات الآكدية / ١٢١ .

(19) تهذيب اللغة ١٢ / ٣٥٥ .

(20) الدر المنثور / ٨ / ٢٦٦ .

(21) العين ٦ / ١٧٥ .

(22) القاموس المحيط / ١٢٧٧ .

الوقوف على حقيقة هذا المصنوع من حيث حجْمه وطوله وعرضُه واختلافه عن سائر السفن التي يعهدها الإنسان قديماً وحديثاً . وكل ما نستطيع أن نعرفه أنها آلة أو واسطة للنقل صنعت بعناية ووحي من الله سبحانه ، وأنها صنعت من ألواح ودُسُر ولها قدرة على الجري في الأحوال الصعبة والشاقة كالطوفان مثلاً .

ثانياً : إلا أن وصف الفلك ورد مفصلاً في بعض كتب التفسير فقد جاء في الكشاف (وروي أن نوحاً اتخذ السفينة * في سنتين وكان طولها ثلاثمائة ذراعٍ، وعرضها خمسون ذراعاً ، وطولها في السماء ثلاثون ذراعاً، وكانت من خشب الساج ، وجعل ثلاثة بطون فجعل البطن الأول الوحوش والسباع والهوام . وفي البطن الأوسط الدواب والانعام ، وركب هو ومن معه في البطن الأعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد ، وحمل معه جسد آدم عليه السلام وجعله معترضاً بين الرجال والنساء ، عن الحسن كان طولها ألفاً ومئتي ذراع وعرضها ستمئة . وقيل إن الحواريين قالوا لعيسى ـ عليه السلام ـ ، لو بعثت لنا رجلاً شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من التراب فأخذ كفاً من تلك التراب فقال :

أتدرون من هذا ! قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : هذا كعب بن حام قال فضرب الكثيب بعصاه . فقال : قم بإذن الله . فاذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه ... قال : حدثنا عن سفينة نوح . قال : كان طولها ألف ذراع ومئتا ذراع وعرضها ستمئة ذراع . وكانت ثلاث طبقات . طبقة للدواب والوحوش وطبقة للإنس وطبقة للطير) .[٢٣]

وفي كتاب (الدر المنثور) (فلما ادرك الشجر أمره ربّه فقطعها وجففها وقال : يارب كيف أتخذ هذا البيت ! قال اجعله على ثلاثة (كذا)

---

* جميع المفسرين واللغوين يرون أن الفلك هي السفينة ، وأنهما من المترادف .

(٢٣) الكشاف / ٤٨٣ .

صورة . رأسه كرأس الديك ، وجؤؤه كجؤجؤ الطير . وذنبه كذنب الديك . واجعلها مطبقة ، واجعل لها أبواباً في جنبها وشدّها بالدُسُر ـ يعني المسامير ـ الحديد وبعث الله جبريل عليه السلام يعلمه صنعة السفينة . فجعل السفينة ستمئة ذراع وستين ذراعاً في الارض . وعرضها ثلاثمئة ذراع وثلاثة وثلاثون ، وأمر ان يطليها بالقار .. فلما فرغ منها جعل لها ثلاثة أبواب وأطبقها) .[٢٤]

(وعن ابن عباس (رضي الله عنهما عن النبي (ﷺ) قال : كانت سفينة نوح (عليه السلام) لها أجنحة وتحت الأجنحة إيوان ، وذكر أن طول السفينة كان ثلاثمئة ذراع وعرضها خمسون ذراعاً وطولها في السماء ثلاثون ذراعاً وبابها في عرضها ... وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن نوحاً لما أمر أن يصنع الفلك. قال: يارب وأين الخشب ! قال اغرس الشجر ، فغرس الساج عشرين سنة) .[٢٥]

ثالثاً : وصف الفلك في الكتاب المقدس :

جاء وصف الفلك في الكتاب المقدس/سفرالتكوين ٦،٧ (فقال الله لنوح ... ابنِ لك فلكاً من خشب السّرو واجعل فيه غرفاً تطليها بالزفت من الداخل والخارج .... ليكن طوله ثلاث مئة ذراع(نحو مئة وخمسة وثلاثين متراً) ، وعرضه خمسون ذراعاً)(اثنين وعشرين متراً ونصف المتر) وارتفاعه ثلاثين ذراعاً (ثلاثة عشرمتراً ونصف)، واجعل له نافذةً على انخفاض ذراع (خمسة واربعين سم) من السقف وباباً تقيمه في جانبه. وليكن للفلك طوابق سفلية ومتوسطة وعلويّة) .[٢٦]

---

[٢٤] الدر المنثور / ١٢ / ٤١٩ .

[٢٥] الدر المنثور ١٢ / ٤١٨ .

[٢٦] الكتاب المقدس / سفر التكوين / ٧ ، ٦ .

وجاء في كتابه (التفسير التطبيقي للكتاب المقدس) : (لم يكن الفلك الذي بناه نوح مجرد زورق صغير ، تخيّل أنك تبني مركباً يبلغ طوله مرة ونصف طول ملعب كرة قدم ، وارتفاعه ارتفاع مبنىً من اربعة ادوار ، لقد كان طول الفلك ستة أضعاف عرضه تماماً وهي نفس النسبة (كذا) التي يراعيها بناة السفن الآن .... ويقدر كثير من العلماء عدد الحيوانات التي دخلت الى الفلك بنحو (٤٥) ألف حيوان) .[٢٧]

وجاء في (موسوعة الكتاب المقدس) (وقد أعطى الله نوحاً تصديم هذا القارب الضخم المقفل المعّد للعوم فوق المياه المتعاظمة ، وقياسات الفلك هائلة إذ كان على نحو ١٣٧×٢٣×٢٤ متراً ، وكان للفلك هيكل مغشّى بالألواح ومطلّي بطبقة صفيقة من القار لمنع تسرب الماء ، وكان له سقف وله فتحة لإدخال الضوء من كل جهة تحت السقف بقليل ، وقد دخل نوح وأهل بيته والحيوانات الى الفلك من باب في جانبه وكان الفلك ثلاثة طوابق .. وقد أدخل نوح الى الفلك زوجين من جميع المخلوقات الحيّة وخزن في الفلك طعاماً للجميع) .[٢٨]

إن الموازنة بين الوصف الذي ورد في بعض كتب التفسير والوصف الذي ورد في الكتاب المقدس وتفسيره وفي كتاب موسوعة الكتاب المقدس ، تبين مدى التشابه الكبير بين الوصفين ولا سيما في ذكر القياسات التي تخص طول الفلك وعرضه وارتفاعه ، وكذلك من حيث البناء الهندسي وما تحتويه من طبقات ونوافذ وأبواب وسقف ولابد من عمل تخطيط للوقوف على نقاط التشابه بين الوصفين .

---

[٢٧] التفسير التطبيقي للكتاب المقدس / ٢٤ .

[٢٨] موسوعة الكتاب المقدس / ٢١٢ ، سفر التكوين / ٩٠٦ .

وصف الفلك في كتب التفسير	وصف الفلك في الكتاب المقدس وتفسيراته
الكشاف الرواية الاولى	سفر التكوين
١. القياسات	١. القياسات
الطول (٣٠٠) ذراع	الطول (٣٠٠) ذراع
العرض (٥٠) ذراعاً	العرض (٥٠) ذراعاً
الارتفاع (٣٠) ذراعاً	الارتفاع (٣٠) ذراعاً
٢. المادة : من الخشب الساج	٢. المادة : من الخشب السرّو
٣. البناء الهندسي : ثلاثة بطون	٣. البناء الهندسي : مكون من غرف مطلية بالزفت من الداخل والخارج له نافذة على انخفاض ذراع من السقف له باب جانبيةُ ، له طوابق سفلية ومتوسطة وعلويّة .
الكشاف الرواية الثانية	
الطول : (١٢٠٠) ذراع	
العرض : (٦٠٠) ذراع	

الدر المنثور الرواية الاولى	موسوعة الكتاب المقدس
القياسات	القياسات
الطول : (٦٠٠) ذراع	١٣٧م×٢٣م×١٤م
العرض : (٣٣٠) ذراعاً	
الارتفاع (٦٠) ذراعاً	
البناء الهندسي : ثلاث صور ، رأسها كرأس الديك وجؤجؤها كجؤجؤ الطير وذنبه كذنب الديك . لها أبواب في جنبها	البناء الهندسي : هيكل خشبي مغشّى بالألواح ومطليّ بطبقة من القار له سقف دونه فتحة له ثلاثة طوابق
المادة : وشدّها بالدُسُر . تطلى بالقار	

الرواية الثانية عن ابن عباس	التفسير التطبيقي للكتاب المقدس
القياسات	القياسات
الطول (٣٠٠) ذراع	الطول = مرة ونصف طول ملعب كرة قدم
العرض (٥٠) ذراعاً	الارتفاع = ارتفاع مبنىً من أربعة أدوار
الارتفاع (٣٠) ذراعاً	لقد كان طول الفلك = ستة أضعاف عرضه تماً
البناء الهندسي : لها اجنحة وتحت الاجنحة إيوان	وهذه هي النسبة التي يراعيها بناة السفن الأن . ويقدر كثير من العلماء عدد الحيوانات التي حملها بـ (٤٥) ألف حيوان

مادة البناء : شجر الساج .

إذ يلاحظ من هذه الموازنة التطابق الكبير بين الوصف الذي ذكرته كتب التفاسير والوصف الذي جاء في الكتاب المقدس / سفر التكوين / وشروحه وهذا التطابق يدل على أن الفلك الذي خص الله به نوحاً (عليه السلام) آلة وواسطة للنقل تختلف كثيراً عن السفينة حتى بأحجامها الكبيرة ولذلك نحن لا نتفق مع اللغويين والمفسرين في تفسير (الفلك بـ (السفينة) إذ إن الدارس يلاحظ من دون عناء ، أن لفظة الفلك اينما وردت في القرآن الكريم تفسّر على أنها (السفينة) وهذا ما لا يعضده الاستعمال القرآني . فقد فرّق القرآن الكريم بين دلالة الفلك والسفينة . إذ خصّ كل واحدة منهما بمواضع وسياقات معينة ، وهذا في ما نعرض له في الفصل التالي ، السفينة في الاستعمال القرآني .

المصادر والمراجع

١ـ القرآن الكريم .   ٢ـ الكتاب المقدس .

٣ـ أسرار التكرار في القرآن / الكرماني / تحقيق عبد القادر أحمد عطا / ط٢ / ١٩٧٦ م .

٤ـ اعراب القرآن / أبو جعفر النحاس / تحقيق د . زهير غازي زاهد / مطبعة العاني / بغداد .

٥ـ تفسير الجلالين / جلال الدين الحلبي وجلال الدين السيوطي / دار التراث / القاهرة .

٦ـ تهذيب اللغة/ الازهري/ تحقيق لجنة/ دار الكتاب العربي/ القاهرة/ ١٩٦٧م .

٧ـ التفسير التطبيقي للكتاب المقدس / شركة ماستر ميديا / القاهرة .

٨ـ الجمان في تشبيهات القرآن / ابن ناقيا / تحقيق د . أحمد مطلوب و د . خديجة الحديثي / بغداد / ١٩٦٨م .

٩ـ شرح المفصل / ابن يعيش / طبع ونشر ادارة الطباعة المنيرية .

١٠ـ شرح الرضي على الشافية / تحقيق محمد نور الحسن / محمد الزفزاف / محمد محي الدين عبد الحميد / دار الكتب العلمية .

١١ـ صفوة التفاسير / شيخ محمد علي الصابوني / دار القرآن / بيروت .

١٢ـ الدر المنثور في التفسير الماثور/ السيوطي/ دار الفكر / بيروت .

١٣ـ العين / الخليل بن احمد الفراهيدي / تحقبق د . مهدي المخزومي و د. ابراهيم السامرائي / بغداد / ١٩٨٤م .

١٤ـ القاموس المحيط / الفيروز ابادي / تعليق ابو الوفا نصر الهوريني / ط١ / دار الكتب العلمية / ٢٠٠٤م

١٥ـ الكتاب / سيبويه / تحقيق عبد السلام هارون / مكتبة الخانجي / القاهرة / ط٣ / ١٩٨٨م .

١٦ـ الكشاف / جار الله الزمخشري / تعليق خليل مامون شيحا / دار المعرفة / بيروت / ط١ / ٢٠٠٢م .
١٧ـ لغات العرب الواردة في القرآن / ابو عبيدة بن سلام / تحقيق د . عبد الحميد السيد طلب / الكويت / ١٩٨٤.
١٨ـ مجاز القرآن / ابو عبيدة معمر بن المثنى / تعليق د . محمد فؤاد سركين / مصر .
١٩ـ مختار الصالح/ عبد القادر الرازي/ دار الرسالة/ الكويت/١٩٨٣م.
٢٠ـ معاني البنية / د . فاضل السامرائي / الكويت / ط١ / ١٩٨١م .
٢١ـ معاني القرآن / الفراء ابو زكريا / تحقيق محمد علي النجار و احمد يوسف نجاتي / ط٢ / القاهرة م ١٩٧٨م .
٢٢ـ معاني القرآن واعرابه / ابو اسحاق الزجاج / تحقيق د. عبد الجليل عبده شلبي / عالم الكتب / بيروت / ط١/ ١٩٨٨م .
٢٣ـ معجم الكلمات الآكدية في اللغات الشرقية القديمة والاغريقية واللاتينية/ محمد داود سلوم / بيروت / ط١ / ٢٠٠٣م .
٢٤ـ مفردات ألفاظ القرآن / الراغب الأصفهاني / تحقيق صفوان داودي / ط١ / بيروت / ١٩٩٧م .
٢٥ـ موسوعة الكتاب المقدس / دار منهل الحياة / ١٩٩٣م .

وثائق الأوقاف (الوثائق الوقفية)

سالم الآلوسي

الملخص :

يتناول هذا البحث جانباً من جوانب الحضارة العربية الإسلامية، وهو (وثائق الأوقاف) . وتعدُّ الأوقاف من المشروعات الخيرية النافعة ، منها ما تقوم عليه المؤسسات والمعاهد العلمية ، الثقافية والدينية ، مثل المعابد والمدارس ودور العلم والمستشفيات ودور الرعاية الاجتماعية ، وأفضلها ما كان موصوفاً بالنظام والبقاء .

وفي البداية كانت مضامين الوثائق الوقفية وشروطها ، تحرر وتكتب في الدفاتر والسجلات القضائية وعلى الرقوق والجلود والكاغد . ومن الناحية التاريخية فان هذه الوثائق كثيراً ما تكون عرضة لتزوير او السرقة او الضياع او التلف بسبب الأحوال الطبيعية ، وفي ذلك خسارة وهدر للحقوق العينية والشخصية ولتلافي هذه الأخطار وصيانةً للحقوق ، ابتكروا أولو الأمر من الفقهاء والقضاة والكتاب العدول ، وسيلة تمنع التلاعب والتزوير والضياع ، وتأمّن الحفاظ عليها طويلاً ، وذلك بتدوين نصوص وشروط هذه الوثائق الوقفية بنقشها على الأحجار كألواح المرمر او حفرها على الآجر وبنائها في مداخل المؤسسات او على أماكن بارزة منها ليطلع عليها الناس ولتبقى مدة أطول من الزمن، وقد قصد أصحاب الأوقاف أعلام المتأخرين وتذكيرهم بالالتزام بها .

لقد ترك لنا الأسلاف أمثلة من هذه الوثائق الوقفية في عدد من المعالم التاريخية كالمدرسة المستنصرية ، والمدرسة المرجانية (جامع مرجان اليوم) وخان مرجان (خان الاورتمة) التي يمكن مشاهدة هذه الوثائق منقوشة على مداخلها أو داخلها .

وثائق الأوقاف (الوقفيات)

الأوقاف من المشروعات الخيرية النافعة التي كان النـــاس ولا يزالون في اشد الحاجة اليها والى خدماتها في شتى مرافق الحياة العلمية والاجتماعية والثقافية . والأوقاف ترتب على أصناف ، فـــي مقدمتــها وأفضلها : الأوقاف الخيرية وهي العماد الذي تقوم عليـــه المؤسســات والمعاهد العلمية والدينية كالمعابد والمدارس والمشافي (المارسـتانات) ودور الرعاية الاجتماعية وغيرها . ولهذا تعـــد مـــن افضـــل طـــرق الإحسان والإصلاح .

الوقف في اللغة والاصطلاح :

وقبل البحث في الموضوع لابدَّ من توضيح معنى الوقف فـــي اللغة والاصطلاح فنقول :

الوقف في اللغة ــ كما جاء عند أبي حنيفة ــ هو حبس الشـــيء حسياً كان او معنوياً . وهو مصدر من (وَقَفَ ــ يَقِفُ) وقد اشــــتهر إطلاق المصدر (الوَقْف) على اسم المفعول (الموقوف) ويجمع على (أوقاف) او (وقوف)[1] . ويطلق عليها الاحباس كذلك .

وفي مصدر آخر ان الوقف حبس الشيء ، تقول : وقف الـــدار ونحوها حبسها في سبيل الله . وتقول وقفها على فلان وله . وشـــرعاً حبس العين على ملك الواقف والتصدق بالمنفعة[2].

اما الوقف في المصطلح : فهو نظام يقصد به حفظ العقار من التبديد وتخصيـــص دخله لأســـرة مؤسس الوقف حسب الأنصبة التي

---

(1) الاعظمي (حسين علي) : أحكام الأوقاف ، ص ١٤ .

(2) المعجم الوسيط . (مادة و ق ف) .

يحددها في الوثيقة ، أو تخصيص هذا لمؤسسة دينية[٣].

ويرجع تاريخ الوقف الى العصر الأموي واستمر في العصور اللاحقة ولم يلبث ان انتشر في البلدان الإسلامية سريعاً وذلك لعاملين :

١. عامل يرجع الى التقوى لصيانة المساجد والقنوات والمشروعات الخاصة بالسقايات والمدارس والمستشفيات (البيمارستانات) .

٢. عامل يرجع الى إشباع حاجة اقتصادية .

والوقفيات او الاحباس وثائق لها أهميتها الخاصة دون غيرها من الوثائق السياسية لكونها تكشف عن عقود البيع والشراء والاستبدال وبيان الأبنية والمنشآت الموقوفة ـ أي التي يخصص لها وقف معيَّن . ووثائق الوقف على هذا النحو من أهم المصادر التي يجب الرجوع اليها عند دراسة الآثار المعمارية والمنشآت المختلفة في العصور الإسلامية وأكثرها أصالة ، لان بعض هذه الوثائق تتضمن كثيراً من الحقائق والبيانات عن هذه المنشآت . كما ان هذه الوثائق تحتوي الكثير من الاصطلاحات السائدة في العصور الإسلامية : معمارية او قانونية او إدارية او اقتصادية .

لقد كان للأوقاف ـ او الاحباس ـ ديوان خاص في العصر الأموي كان يتولاه قاض ينظر فيها خوفاً من ضياعها والحيلولة دون تجزأة الوقف بسبب الإرث . وقد استمر نظام الأوقاف (الاحباس) في الأقطار العربية الإسلامية الى وقتنا الحاضر[٤] .

وعن اثر الوقوف ـ او الأوقاف ـ على الحركة العلمية

---

[٣] سالم (الدكتور السيد عبد العزيز) : التاريخ والمؤرخون العرب ط٢ ، القاهرة ١٩٨١ ص ١٣٩ ـ ١٤٠ .

[٤] سالم (د. السيد عبد العزيز) ، المصدر نفسه ص ١٤٠ .

والثقافية بعد الغزو المغولي وسقوط الخلافة العباسية كتب العلامة الدكتور مصطفى جواد ما يأتي : ((وكانت الوقوف ــ أي الأوقاف من عوامل استدامة الحركة الأدبية في العصر المغولي في العراق ، فان وقوف المسلمين على المساجد والمعاهد الدينية والمدارس والربط ــ أي الخانقاه ــ والتكيات وعلى الزوايا ودور القرآن الكريم بقيت على حالها وشروط واقفيها ، واستمرت الموقوفات الدينية على طرائقها في حماية علوم الدين والفنون اللسانية ورعاية الفقهاء والمدرسين والأدباء والمتصوفة . فقد كان كثير من الأدباء يقيمون في المدارس والمساجد يعلّمون الأدب والشعر فيها .

وبعد سقوط الدولة العباسية عام ٦٥٦هـ (١٢٥٨م) واستيلاء المغول على العراق ، حاول جماعة من ظلمة الولاة ان يقتطعوا من الوقوف حصة للدولة سمّوها (الحصة الديوانية) فساءت حالة المدارس والمدرسين وغيرهم ، وهاج طلاب المدرسة المستنصرية وماجوا وضربوا مدير أمور الأوقاف . وفي عام ٦٨٣هـ حُذفت او ألغيت (الحصة الديوانية) فانفرجت الأزمة وزالت الشدة وزال الخطر عن الأدب والثقافة))[٥].

وبداية كانت مضامين وثائق الأوقاف وشروطها تحرر وتكتب على الرقوق أو الكاغد ثم تسجل في سجلات القضاء لضمان توثيقها وصحتها وأصالتها . ومن المعلوم من الناحية التاريخية ان هذه الوثائق الوقفية المدّونة على الرقوق والأوراق وفي السجلات كثيراً ما تتعرض للتلف او التزوير أو السرقة أو الضياع ، وفي ذلك خسارة للحقوق

---

[٥] عن مقالة بعنوان : الأدب العراقي في العصر المغولي . في مجلة المجمع العلمي العراقي . المجلد ــ ٣ (١٩٥٤ ــ ١٩٥٥) ص ٣٠٩ ــ ٣٣١ .

العينية والشخصية . وإزاء هذه الأخطار تنبه أولو الأمر من القضاة والكتاب العدول وذوي الحاجات الى ذلك فرأوا بثاقب بصرهم ونفاذ بصيرتهم ، دفعاً لتلك المخاطر ، اللجوء الى وسيلة تضمن الحفاظ على هذه الحقوق وصيانتها وتمنع التزوير او التلاعب او الضياع ، هي كتابة هذه الوثائق الوقفية ونقشها على الآجر او الأحجار في واجهات الأبنية والعمارات ومداخلها ، او على جدرانها الداخلية للأسباب الآتية :

١. انها اكثر ضماناً وديمومةً وبقاؤها مدة طويلة من الزمن .
٢. صعوبة التزوير وتحريف النصوص المنقوشة على الآجر والأحجار
٣. سهولة قراءتها من قبل مرتادي وزائري تلك المنشآت . والدلائل التاريخية تشير الى ان أصحاب الوقف ، بعملهم التوثيقي هذا قصدوا إعلام المتأخرين والخلف عن شؤونهم واعمالهم بضرورة الالتزام بالشروط المنصوص عليها في هذه الوقفيات .

ويحفل العديد من المعالم التاريخية والدينية والآثارية مثل المعابد والمدارس ودور العلم والمارستانات والخانات والسقايات والجسور والقناطر والقلاع والأسوار وغيرها من تلك المعالم العمرانية بأمثلة من تلك الوثائق الوقفية . وللتدليل على أهمية هذه الوقوف ــ كوثائق إثبات وتصرف ــ ندرج في الصفحات الآتية بعض الأمثلة منها :

١. وثيقة وقف المدرسة المستنصرية التي أنشأها الخليفة العباسي ابو جعفر المستنصر بالله سنة ٦٣٠هـ .
٢. وثيقة وقف المدرسة المرجانية التي بناها أمين الدين مرجان سنة ٧٥٨هـ .
٣. وثيقة وقف المدرسة المرجانية المنقوشة فوق مدخل خان مرجان (خان الاورتمة) سنة ٧٦٠هـ .

٤. وثيقة برج مدينة طرابلس الشام عام ٨٤٥هـ وهي من عصر المماليك البرجيين (الشركس) في مصر .

٥. وثيقة جامع طينال بطرابلس الشام .

أوقاف المدرسة المستنصرية وشروطها [٦]

كان الخليفة العباسي المستنصر بالله ، لبعد نظره ، ورغبة في إطالة بقاء هذه المدرسة ودوام عزها ، قد وقف عليها اوقافاً كثيرة تكفل لها بالبقاء ورفاهية العيش لمن ينتسب اليها ، فقد وقف عليها الدور والخانات والقرى والأراضي . قال الذهبي في كتابه (دول الإسلام ٢ : ١٠٣ طبعة حيدر آباد) : ((ان قيمة ما وقف عليها يساوي ألف ألف دينار . وقد بلغ ارتفاع وقوف المستنصرية في العام نيّفاً وسبعين ألف مثقال من الذهب ، وقد سرد الذهبي في تاريخه الكبير ، القرى والرباع الموقوفة عليها . وذكر ابن كثير ، ان المستنصر ، ((وقف عليها أوقافاً عظيمة ، حتى قيل ان ثمن التبن من غلات ريعها يكفي المدرسة وأهلها)) كما جاء في كتاب البداية والنهاية (١٣ : ١٥٩) . وهذه الأموال المتحصلة من الوقوف المستغلة ، كانت تصرف في وجوه المدرسة المختلفة : كخزانة الكتب ، ورواتب المدرسين ، ومعيشة الطلاب ، واجور الفراشين والخدم ، وأثاث المدرسة ، ونفقات الطعام ، وغير ذلك مما تتطلبه هذه المدرسة من ضروب الإنفاق .

شروط المدرسة

للمؤرخ البغدادي تاج الدين علي بن انجب المعروف بابن الساعي المتوفى سنة ٦٧٤هـ (١٢٧٥م) كتاب في مجلد واحد عنوانه

---

[٦] عن بحث للأستاذ كوركيس عواد بعنوان ((المدرسة المستنصرية)) منشور في مجلة سومر ، المجلد الأول ، الجزء ـ ١ لسنة ١٩٤٥ . ص ١٠٧ ـ ١٠٨ ، ١١٧ ـ ١١٩.

((شرط المستنصرية)) الذي ضاع فيما ضاع من تراث الأقدمين؛ وان أوفى من أورد هذه الشروط من المؤرخين كان صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤هـ (١٣٦٢م) فقد ذكر شروط المدرسة المستنصرية ، نقلاً عن ابن الساعي ، في حوادث سنة ٦٣١هـ (١٢٣٣م) قال ما هذا نصه بالحرف الواحد :

نص الشروط

((وشرط الواقف عظَّم الله اجره ، ان يكون عدةً للفقهاء ، بها مائتين وثمانية واربعين رجلاً من كل طائفة اثنان وستون ، وان يجرى لكل واحد منهم في كل يوم أربعة أرطال خبزاً ، وغَرْف طبيخ مما يطبخ في مطبخها ، وفي كل شهر ديناران غير الحلوى والفاكهة والصابون والزيت . وان يكون لكل طائفة مدرس وأربعة معيدين ، وان يكون لكل مدرس في كل يوم عشرون رطلاً من الخبز وخمسة أرطال من اللحم بخضرها وحوائجها وحطبها. وفي كل شهر اثنا عشر ديناراً ، وان يكون لكل معيد في كل يوم سبعة أرطال خبزاً وغرفان طبيخاً ، وفي كل شهر ثلاثة دنانير ، وان يكون في دار القرآن المجيد شيخ يلقّن القرآن ، وثلاثون صبياً ايتاماً ومعيد يحفّظ الثلاثين ، ويكون للشيخ في كل يوم سبعة أرطال خبزاً وغرفان طبيخاً ، وفي الشهر ثلاثة دنانير . وللمعيد في كل يوم أربعة أرطال خبزاً وغرف طبيخاً وفي كل شهر دينار وعشرون قيراطاً ، وللصبيان كل صبي في كل يوم ثلاثة أرطال خبزاً وغرف طبيخاً وكل شهر ثلاثة عشر قيراطاً وحبة .

وان يكون في دار الحديث النبوي شيخ عالي الإسناد يشغل بعلم الحديث ، وقارئ وطلبة ، ويكون للشيخ المسمع في كل يوم ستة أرطال خبزاً ورطلان لحماً ، وفي كل شهر ثلاثة دنانير ، وللمشتغلين

لكل واحد منهما في كل يوم أربعة أرطال خبزاً وغرف طبيخاً وفي كل شهر ديناران . وعشرة قراريط ، وللقارئ في كل يوم أربعة أرطال خبزاً وغرف طبيخاً وكل شهر ثلاثة دنانير . وللطلبة أسوة الأيتام الذين يتلقون القرآن في الخبز والغرف والمشاهرة .

وان يكون لخازن الكتب في كل يوم عشرة أرطال خبزاً واربعة أرطال لحماً وفي كل شهر عشرة دنانير .

وان يكون المشرف على المكتبة ويبدو ان وظيفة الخازن أرقى واهم من وظيفة المشرف وواضح من تخصيص الراتب والمواد العينية في كل يوم خمسة أرطال خبزاً ورطلان لحماً وفي كل شهر ثلاثة دنانير . وان يكون للمناول في هذه الخزانة في كل يوم أربعة أرطال خبزاً وغرف طبيخاً وفي كل شهر ديناران .

وان يكون بها نحوي يشغل بعلم العربية يكون له في كل يوم ستة أرطال خبزاً ورطلان لحماً بحوائجها وخضرها وحطبها وفي كل شهر ثلاثة دنانير .

وان يكون بها طبيب حاذق يشغل عشرة انفس بعلم الطب أسوة طلبة الحديث في الخبز والطبيخ والمشاهرة .

وان يكون بها من كل طائفة إمام يصلي بهم وقارئ للسبعة وداع يدعو ، وان تضاعف المشاهرات في رمضان ، وان يكون للناظر المرتب بها في كل يوم عشرون رطلاً خبزاً وخمسة أرطال لحماً بحوائجها وخضرها وحطبها ، وفي كل شهر اثنا عشر ديناراً . وللمشرف في كل يوم عشرة أرطال خبزاً وثلاثة أرطال لحماً وفي كل شهر سبعة دنانير . وللكاتب في كل يوم مثل المشرف . ومعمارية وفراشون وبوابون وحمامي ومزين وقيّم وطباخ وغلامه وخازن الآلات

وخزنة الديوان وغلمان الديوان ومزملاتي[٧]، ومؤذن ونفاط وقدّر لهؤلاء كلهم جرايات ومشاهدات)) .

نص وقفية المدرسة المرجانية سنة ٧٥٨هـ[٨]

سجلت الوقفية ونقشت على الآجر فوق محراب مصلى المدرسة وعلى جانبي المحراب وفي الآتي نص الوقفية :

((بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي وفق المطيعين لعمارة بيوت العبادات وألهمَ المخلصين بإشادة أعمدة دور الطاعات ورفع ذكر الولاة بتأسيس قواعد معالم المكرمات ودلّ أرباب السعادات على سلوك سبل الخيرات ومنح المحسنين بتشريف ان الحسنات يذهبن السيئات وحباهم بماله ان المتصدقين والمتصدقات . والصلوة على نبي الرحمة محمد المصطفى خير الأنام وآله وأصحابه مصابيح الدجى وبدور الظلام . اما بعد فيقول المفتقر الى عفو الملك المنان مرجان بن عبد الله بن عبد الرحمن ، بدّل الله سيئاته حسناتٍ .

أني هاجرت في الأرض مدة وجاهدت سنين في الطول والعرض ، ذات شمال ويمين ، متورطاً في مخاوف البر والبحر ، متورداً في متالف البرد والحر ، حين أداني الجد الصاعد وأدناني التوفيق المساعد ، فعلمت ان الدنيا دار الفرار وان الآخرة دار القرار ،

---

[٧] المزملاتي وهو : الذي يشرف على مزّملة المدرسة المستنصرية ، والمزملة هي التي يستسقى الماء منها طلاب المدرسة والموظفين .

راجع : السلامي : تاريخ علماء بغداد ص ٢١٣ تحقيق عباس العزاوي .

حسين أمين : المدرسة المستنصرية ص ٩٧ و ص ٩٩ .

[٨] عن بحث بقلم السيد ناصر النقشبندي ، بعنوان ((المدرسة المرجانية)) منشور بمجلة (سومر) ، المجلد الثاني ــ الجزء الأول لسنة ١٩٤٦ ، ص ٤٩ ــ ٥٢ .

وأيقنت ان أولى ما أنفقت فيه الأموال وأحرى ما توجهت اليه همم الرجال ما كان وسيلة الى أبواب رحمته محط الرحال ، وذخيرة ليوم المحاسبة والسؤال .

قال النبي عليه الصلاة والسلام . إذا مات الإنسان انقطع عمله ، إلا عن ثلاث : صدقة جارية ، وعلم ينتفع به ، وولد صالح يدعو له .

والصدقة الجارية هي الوقف ، فثمرت عن نية صادقة صافية وسريرة للخير وافية ، شرعت في عمارة هذه المدرسة المشهورة بالمرجانية وتوابعها المتصلات بعضها بالبعض ، في زمان المخدوم الأعظم الدراج الى جوار الله وجناته ، المستريح على أعلى غرفات جنانه شيخ حسن نويان . أنار الله برهانه وتممت في أيام دولت .... نور حدقته ونور حديقته المخدوم الأعظم الاعدل ، رافع رايات السلطنة على الأفلاك ، ناصب غايات المملكة الى السماك ، ساحب ذيل الرحمة على الأعراب والأتراك ، محيي مراسم الملة المصطفوية مزين شعار الدولة الجنكيزخانية ، شيخ شاه اويس ، خلد الله ملكه . ووقفت على الفقهاء وطلاب العلم والتفسير والحديث والفقه على مذهبي الإمام الأعظم محمد بن إدريس الشافعي المطلبي ، والإمام الأقدم ابي حنيفة نعمان بن ثابت الكوفي ، رضي الله عنهما . ووقف على مصالحها كما شرح في الوقفية الموقعة بتوقيعات قضاة الإسلام ، الموشحة بشهادات الأمراء والوزراء العظام بالرياحين أربعة واربعين دكانا واثنتى عشر عصارة في السوق الجديد المجاور للمدرسة والصاغة ، وتسعة وعشرين دكانا أخرى وثلاثة خانات ونصف خان إحداهن إنشاء الواقف ، ومواضع بالبدرية وبالامشاطيين وبالحلبة ثلاثة دكاكين ، وبالمشرعة أربعة عشر دكانا وخان جديد إنشاء الواقف ، تقبل

الله منه صالح الأعمال ، ثلاثة عشر دكاناً وعصارة وخانٍ فيه اثنتان وخمسون حجرة . وبالجانب الغربي بمحلة القصر داراً ومداراً وخاناً يعرف بالجواري وبالخليلات خان الزاوية ومداراً هي الآن من حقوق الخان المذكور . وبالحريم دكان الكاغد ، وبنهر عيسى ناحية عقرقوف ونصف القايمية وتل دحيم وبساتين بالحربية وبساتين بقرية الترك والجوبة وقراح الجاموس بالصراة مزرعة وبالقاطول ناحية زاد مان وبجلولاء من خاناباد النصف ومن بساتين بعقوبا وببوهريز وبخانقين دورى ونصف رزين جوي ، وارحية الماء ونعمتاباد ، ودولتاباد ، وبساتين بالبنديجين وبستان جديد ببوهريز إنشاء الواقف ، ونهر خرماباد وسائر أراضيها ومزارعها المدعو هزار نشته ، وذلك بين جبل حمرين وخانقين ، وقفاً صحيحاً شرعياً مؤبداً مخلداً محرماً بجميع ما حرم الله به مكة والبيت الحرام والركن والمقام ، لا يزال ذلك كذلك الى ان يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ، لا يندرس بمرور الإعصار ولا ينطمس بمرور الأدوار ، لا يؤجر من متغلب ومتعزز وجندي ومن يخاف غائلته ، بل يؤجر من رجل مسلم معامل بمكان الوالي على هذا الوقف ، من مرافعته بين يدي الحكام وقضاة الإسلام ، قادراً من أداء ما عليه من ضمان الوقف ، ومن فعل ذلك ، فتلك الإجارة باطلة ، وتصرفه حرام سحت ، ووصيتي الى حكام كل زمان وعصر واوان والى قاضي القضاة ببغداد ان يساعد الوالي على هذا الوقف وعلى استخلاص الحقوق الواجبة لوقف هذه المدرسة ، وان ينظروا إليهم بنظر الرحمة والرأفة ، فان الحاكم العادل في رعيته كالوالد الشفيق على ولده ، الا وكل من سنَّ سنة حسنة كان له اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة ، ومن سنَّ سنة سيئة فعليه وزرها

ووزر من عمل بها الى يوم القيامة ، وان لا يتعرضوا بمتولـــي هــذا الوقف ومستوفيه ومشرفه من استرفاع حساب او نصب وترتيــب ، ولا يداخلوهم في ذلك بشبه من الشبه ، ولا يعقد بهذه المدرسة ديواناً لفصل القضايا الشرعية والبارعونية ، فان هذا الموضع موطن العلماء ومنزل الصلحاء ، فطوبى ثم طوبى لمن استجلب ترحماً لنفسه ، وويل ثم ويـلى لمن صاحبته اللعنة في رمسه ، فمثل ما تعاملون في حياتكم تعاملون في مخلفتكم بعد مماتكم، فان المكافآت من الطبيعة واجبة ، كما تدين تدان ، وكما تزرع تحصد ، فان الدنيا غدارة غـــرارة وان طــالت مدتــها ، فأطالت وان نال صاحبها فما نال .

ومن غيّر شروط هذه الأوقاف او تصرف فيــها بخــلاف مــا شرطت في الوقفية فهو ظالم عند الله ، ألا لعنة الله علـــى الظـــالمين ، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، ومأواه جهنم وبئس المصير وأُلحِقَ بالاخسرين أعمال الذين ظل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً ، وما ذلك على الله بعزيز ، وشرط الواقف تقبل الله منه الحسنات ولا واخذه بما كسبت أيديه من السيئات ان لا يسـلم مـن أراضي الموقوفات من النواحي والبساتين ، والبسوط بالقرار الشمســـي شيئاً اصلاً ولا من المسقفات عــن الدكــاكين والخانــات والطواحيــن بالعرصة ابداً . ومن فعــل محكمة باطلـــة وشرطه مفسوخ وتصــرف من تصرف فيها بهذه الشبهة حرام سحت وفاعله مأثوم ملـــوم الخـــالق والخلق ، فمن بدّله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونـــــه ان الله سميع عليم . وكتب في شهور سنة ثمان وخمسين وسبعماية والحمــد لله وحده والصلاة والسلام على نبي الرحمة وشفيع الأمة وكاشف الغمـــة النبي الأمي العربي الهاشمي القرشي المكي المدنـــي ســيد المرســلين

ورسول رب العالمين وخاتم النبيين محمد النبي وعلى الـــه وصحبــه الطيبين الطاهرين الكرام المنتجبين البررة وسلّم تسليماً كثيرا)) .

نص الوقفية المنقوشة على الآجر فوق مدخل خان مرجان[٩] سنة ٧٦٠ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

أمر بإنشاء هذا التيم[١٠] المبارك والدكاكين ، المولى المخـــدوم الآمر ، الصاحب الأعظم ، الاعدل ، ملك ملوك الأمراء فــي العــالم ، صاحب العدل الموفور ، عضد السلطنة والإمـــارة ، حــاوي مرتبــة الوزارة والإمارة ، افتخار شهد الأوان ، المخصوص بعناية الرحمــن ، أمين الدين مرجان الاولاقايتي . وقفها على المدرسة المرجانيـــة ودار الشفاء بباب الغربة ، كذلك عقرقوف والنصف من القائمية، وتل دحيم ، ومزرعة بالصراة ، وبساتين بالمخرميـــة ، وبســاتين بقريـــة الـــترك والزادمان ، وخرماباد ، ورباط جلولاء المعروف بقزل رباط ، وزرين جوي ، ونصف دوري، وبساتين ببعقوبا وبوهريز وبالبندنيجين وخـــان دكاكين بالحلبة ، واربع خانات ودكاكين بالجوهريين ، وخان بالجـــانب الغربي ، ودكان كاغد بالحريم . كما هو محدود ومشروح في الوقفيـة ، شرحاً صحيحاً شرعياً . تقبل الله تعالى منه الطاعات فـــي الداريــن ، وبلّغه غاية المراد . وكان الفراغ منه سنة ستين وسبعماية والحمـــد لله

---

(٩) د. مصطفى جواد ، و د. احمد سوسة : دليل خارطة بغداد المفصل في خطــط بغداد قديماً وحديثاً. بغداد ـــ ١٩٥٨، ص ٢٢١ . وقد سبق للمرحوم مصطفى جواد نشر هذا النص الوثائقي في مجلة لغة العرب ٧ (١٩٢٩) ص ٦١٥ ـــ ٦١٧ .

(١٠) التيم : هو خان التجار بفارسية خراسان .

وحده . وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي العربـــي الصـــادق ، وعلى اله الطيبين الطاهرين وصحبه وسلم . كتبه الفقير الى رحمة ربه احمد شاه النقاش المعروف بزرين قلم ، غفر الله له ذنوبه .

*

وثيقــة وقــف

من زمن المماليك البرجيين (الجراكسة) تخص برج طرابلس[١١]

من المعروف ان من أهم التزامات الأمراء في دولة الممـــاليك البرجيين (الجراكسة) في مصر ــ وهي دولـــة إقطاعيــة ــ القيـــام بالخدمة الحربية التي هي الأساس الأول لحياة الإقطاع ، ولذلك تحولـت كثير من الاقطاعات في العصر المملوكي الى أوقاف خيرية ــ مساهمة من الأمراء في الخدمات العامة ــ لأغراض دينية واجتماعية وحربية ، مثل حماية السواحل والثغور من غارات الفرنج والصليبيـــــن بإقامــة الأبراج وشحنها بالسلاح وتجهيز المقاتلين ، وفك أســرى المســلمين ، ووفاء دين المديونين وللفقـــراء والمســاكين ، والأرامــل والأيتــام ، والمنقطعين والعميان واصحاب العاهات ، وذوي الحاجات من أرباب البيوتات ، وكسوة العرايا والمقلين، وستر عورات الضعفاء والعاجزين، وارضاع الأطفال عند فقد الأمهات او عجزهن عن الإرضاع ، وتكفين أموات الفقراء من المسلمين ، وإعتاق من أمكن إعتاقه مـــن الــرق ، وخلاص المسجونين ، والصرف على المحابيس بالحبوس (الســجون) ، وللإنفاق على الأضرحة والمساجد والبيمارستانات ، ورعاية الأطفـــال

---

(١١) من وثائق التاريخ العربي ــ وثيقة مملوكية : بحث للدكتور عبد اللطيـــف إبراهيــم ، منشور في مجلة جامعة القاهرة بالخرطوم . العدد ــ٢ لسنة ١٩٧١، ص١٢، ٢٨ ــ ٣٢ .

بمكاتب الأيتام فوق الاسبلة ، وطلاب العلم في المدارس والصوفية في الخوانق وغيرها .

*

وثيقة وقف برج طرابلس[١٢]

تعود هذه الوثيقة الى نائب الشام (السيفي جلبان المؤيدي) المتوفى سنة ٨٥٩هـ (١٤٥٥م) من المماليك البرجيين في عهد السلطان أبي سعيد جقمق . وقد انشأ برجين أو قلعتين صغيرتين في طرابلس وصيدا سنة ٨٤٥هـ . وفي الآتي نذكر ما جاء في وثيقة برج طرابلس : (أول الوثيقة ناقص) :

نص الوثيقة

((... جميع أبنية البرج الذي أنشأه مولانا ملك الأمراء الواقف المشار اليه ، أثابه الله تعالى ، ظاهر مدينة طرابلس المحروسة ، برأس المرج على ساحل البحر الملح ، بالقرب من ميناء طرابلس ، وبرجي السيفي ايتمش ، والسيفي طراباي ، الذي كان برجاً لطيفاً ، يعرف ببرج الصالحي ، وزالت عينه وأثره ودثر وخرب . وانشأ مولانا ملك الأمرا المشار اليه أعلاه ، مكانه البرج المذكور من ماله النامي المشتمل على باب خاص وسفل وعلو ومرامي[١٣] من الجهات الأربع ، ومنافع ومرافق ، وحدّه بكماله ، من القبلة والشرق والشمال الطريق ومن الغرب البحر الملح ... اما البرج ، المبدو بذكره أعلاه الذي أنشأه الواقف المشار اليه ، أثابه الله تعالى ، وقفه مسجداً لله تعالى ، وحصناً

---

[١٢] الوثيقة محفوظة في المكتبة الظاهرية بدمشق .

[١٣] المرامي هي فتحات الرمي المعروفة بالمزاغل في القلاع والحصون .

للمجاهدين في سيل الله تعالى والمرابطين ، وحبسه معبداً وحصنـــاً[١٤]، تقام فيه الصلوات الخمس ويأوي فيه أهل الذكر والمجاهدين في ســـبيل الله والمرابطين ، وتتلى فيه آيات القرآن ، ويعلن في أعاليـــه بـــالآذان ويسبح فيه بالعشي والإبكار ، ويعبد فيه من لا تدركه الأبصـــار ، وأذن للمسلمين ان يقيموا الصلاة ، ويصلون فيه الصلوات الخمس ومجـــاهدة الكفار ، والرباط فيه ... اما الحصص الخمس [فتصرف] على مصالح البرج السعيد المذكور أعلاه وما يحتاج اليه من عمارة وفرش وتنويـــر وسلاح وقسي وسيوف ونشاب وآلات حرب وجوامك[١٥]. لمن يذكر فيه وساير مصارفه الشرعية الآتي تعيينها فيه ...))

وقد شرط الواقف السيفي جلبان في هذه الوثيقة التاريخية المهمة شروطاً مختلفة ، من بينها الوظائف الآتية :

١. إمام مؤذن .
٢. عدد من الرجـــال المسلميـــن المجاهدين ، يحسنون الرمي بالنشاب والنبل والجرخ والمكحلة[١٦]، وسائر أنـــواع الحـــروب ، وعليـــهم ملازمة البرج والجهاد في سبيل الله تعالى ليلاً ونهاراً .
٣. رجل مسلم مقدَّم على المجاهدين بالبرج لعمل مصالحه واصلاح ما به من آلات الحرب .

---

[١٤] هذه الأبراج كانت تخدم أغراضاً دينية وحربية في آن واحد وهذه من طبيعـــة العصور الوسطى لدى كل المسلمين والمسيحيين .

[١٥] الجوامك : الرواتب .

[١٦] الجرخ : آلة حربية لرمي السهام والحجـــارة والنفـــط ، ويقـــال لمســـتخدمها (جرخي) ، وهي شبيهة بالمنجنيق ، المكحلة ــ جمعها مكاحل وهي المدافع التـــي تنصب على الحصون والقلاع وترمي القنابر .

٤.رجل مسلم يكون بارودياً بالبرج يصنع ما يحتاج اليه من البارود .

٥.رجل مسلم يكون رئيساً على المجاهدين بالبرج وعليه القيام بمصالحهم ومساعدتهم فيما هم فيه .

٦.بواب فرّاش بالبرج لكنسه وفرشه بالحصر والبسط وتنوير وتنظيف وإيقاد مصابيحه ، وحفظ آلات الحرب به .

٧.الناظر ونائب الناظر لمباشرة الوقف وعمل مصالحه ومصالح البرجين في طرابلس وصيدا .

٨.كاتب حاسب يكون عاملاً على الوقف لضبط مال الوقف وعمل حسابه .

وكذلك شرط الواقف السيفي جلبان ما يأتي :

(أ) كلما نقص عدد الجماعة المعينين في البرجين المذكورين في طرابلس وصيدا ، أقام الناظر في ذلك من تكملهم .

(ب) يكون النظر والولاية على الوقف للواقف نفسه السيفي جلبان أيام حياته ، ثم للأرشد من أولاده ، ثم لناظر المملكة الطرابلسية ثم لحاكم المسلمين الشافعي .

نص وقفية جامع طينال (بطرابلس الشام)[١٧]

((بسم الله الرحمن الرحيم . أمر بإنشاء هذا الجامع المعمور بذكر الله تعالى ، مولانا المعز الاشرفي العالي المولوي الكافلي السيدي المالكي المخدومي السيفي طينال المالكي الناصري ، كافل الممالك الشريفة الطرابلسية ، بلّغه الله آماله ، وتقبل في الصالحات أعماله ،

---

(١٧) د. عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب . بيروت ــ ١٩٨١ ص ١٤٩ ــ ١٥٠ ، نقلاً عن كتاب المؤلف المذكور : طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي ، الاسكندرية ، ملحق رقم ٣ ، ص ٤٧٥ .

ووقف عليه لمصالحه المعينة في كتاب وقفه جميع البستان المعروف بالحموي بظاهر طرابلس ، وجميع الحانوتين المتلاصقين لبابه .

وجميع البستان المعروف قديماً بالطنطاش بسقي طرابلس ، وجميع الحانوتين الملاصقين لسوق السلاح بجوار الحمام المعروف بأسندمر ، وهي الان ملك الواقف ، وجميع ثلث الخان بدار الوكالة القديمة ، وجميع القرية المعروفة بأزرونية من عمل عرفا جون طرابلس ، وشرط انه مهما فضل من ريع هذا الوقف عن أرباب وظائفه ومصالحه المعينة في كتاب يصرف للفقراء والمساكين والمقيمين بطرابلس والواردين اليها حسب ما يراه الناظر في ذلك من غير ان يرتب لاحد مرتباً في كل شهر أو يوم او كل يوم ، ومن غير ذلك او بدله ، او رتب شيئاً مستمراً كانت عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)) .

* * *

المصـــادر والمراجــع

١ ـ الكتب والمعاجم

١. أحكام الأوقاف ، للأستاذ حسين علي الأعظمي ، بغداد (١٩٤٨ ــ ١٩٤٩) .

٢. التاريخ والمؤرخون العرب . للدكتور السيد عبد العزيـــز ســـالم ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٨١ .

٣. دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديماً وحديثاً . تــأليف : الدكتور مصطفى جواد والدكتور احمد سوسة . بغداد ــ ١٩٥٨ .

٤. المعجم الوسيط ــ أصدره مجمع اللغة العربية في القاهرة ــ القاهرة ــ ١٣٨٠هــ ــ ١٩٦٠م .

ب ــ المجـــلات

٥. مجلة جامعة القاهرة في الخرطوم . العدد ــ ٢ لسنة ١٩٧١ .

٦. مجلة سومر ــ تصدرها مديرية الآثار العامة . بغداد .

المجلد ــ ١ ، جــ ــ ١ (١٩٤٥)

المجلد ــ ٢ ، جــ ــ ١ (١٩٤٦) .

٧. مجلة لغة العرب ــ أصدرها الأب انستاس ماري الكرملي . بغداد . المجلد ــ ٧ لسنة ١٩٢٩ .

٩. مجلة المجمع العلمي العراقي . المجلد ــ ٣ (١٩٥٤ ــ ١٩٥٥) .

جــ ــ الصور

١. وثيقة المدرسة المستنصرية .

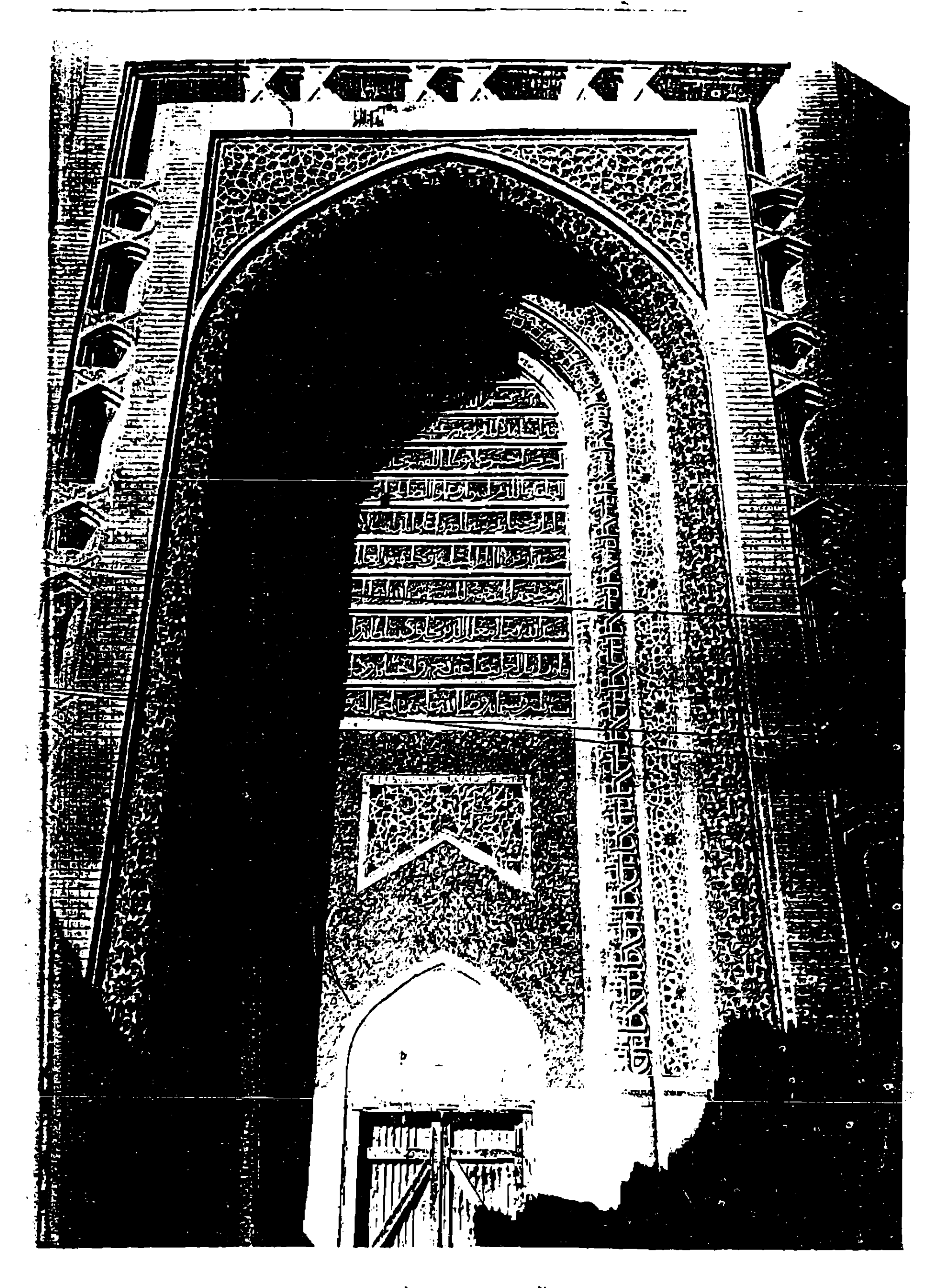
٢. وثيقة المدرسة المرجانية (فوق المحراب) .

٣. جانب من وثيقة المدرسة المرجانية .

٤. وثيقة وقف المدرسة المرجانية (خان مرجان) .

وصف الصور

١. باب المدرسة المستنصرية وفي الأعلى الكتابة .
٢. المدرسة المرجانية ـ نص الوقفية فوق المحراب .
٣. جانب من كتابات وقفية المدرسة المرجانية .
٤. نص وقفية المدرسة المرجانية في واجهة خان مرجان .



الصورة ــ ١ ــ

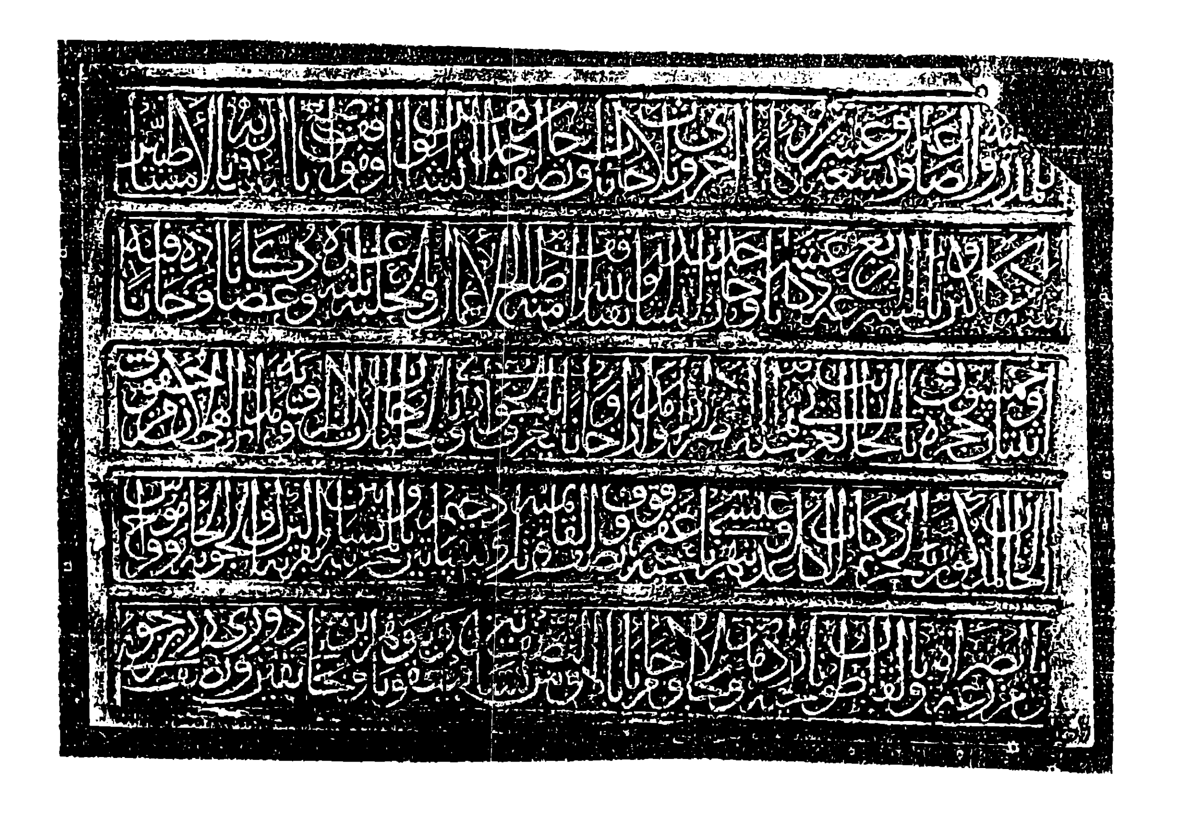
باب المدرسة المستنصرية وفي الأعلى الكتابة



الصورة ــ ٢ ــ

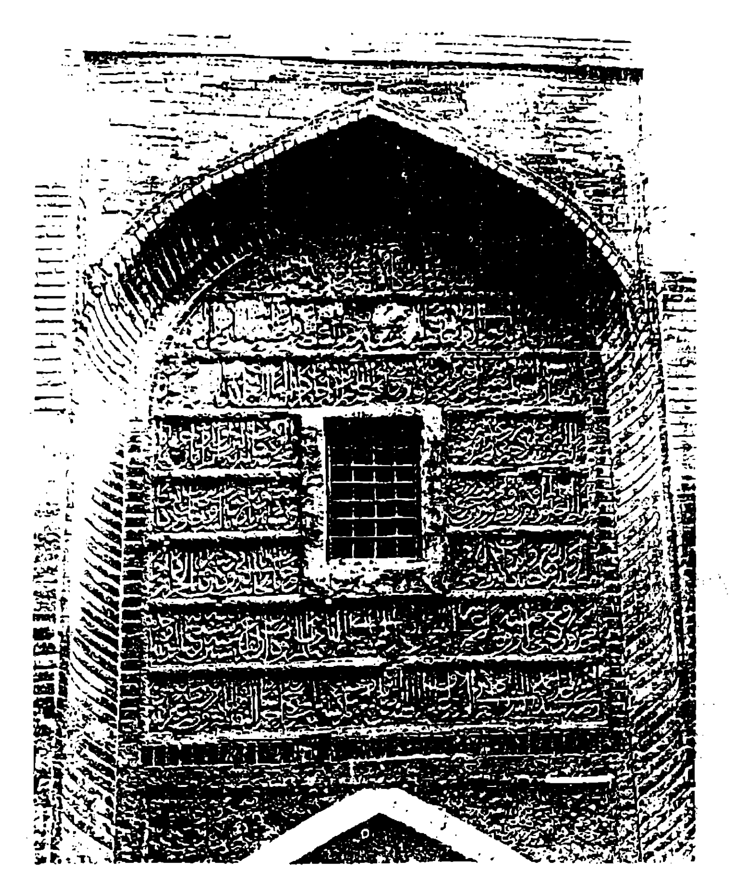
المدرسة المرجانية

نص الوقفية فوق المحراب



الصورة — ٣ —

جانب من كتابات وقفية المدرسة المرجانية



لوحة (٣١) واجهة مدخل خان مرجان

الصورة ــ ٤ ــ

نص وقفية المدرسة المرجانية في واجهة خان مرجان